المسكيني الصغير

الأعمال الكاملة

الجزء الأول

1

المسرحيات

منشورات



وزارة الثقافة

إهـــــــداء ٢٠١٣

وزارة الثقافة

المملكة المغربية

المسكيني الصغير : الأعمال الكاملة (الجزء الأول)
الإيداع القانوني : 20072170
ردمـــك : 9954-0-4124-9
منشورات وزارة الثقافة 2007
سحـــب : مطبعة دار المناهل

المسكيني الصغير

الأعمال الكاملة

المسرحيات

الجزء الأول

منشورات



وزارة الثقافة

تـقـديم

مفهوم الكتابة الدرامية عند المسكيني الصغير

(مسرحية «محمية لأموات نادرة» نموذجا)

د/ حسن المنيعي

كل حديث عن المسرح المغربي يدفعنا إلى الوقوف عند تجربة متميزة كان لها وما يزال إسهام كبير في هذا المسرح. إنها تجربة الشاعر والكاتب الدرامي المسكيني الصغير الذي ما فتئ ينوع في كتابته بغية الوصول إلى تحقيق ذخيرة فردية من النصوص تموضعه ضمن لائحة الكتاب المغاربة والعرب الذين يتقنون صياغة الفعل الدرامي الهادف والملتزم.

إنه ليس كاتباً دخيلا على المسرح، وإنما لديه تكوين جامعي في علم الاجتماع. لهذا فإن كتابة نصوصه لا تنطلق من تخيل اعتباطي، وإنما يقودها هاجس اجتماعي ثقافي سياسي تجسدت أبعاده في نظرية المسرح الثالث التي حرر بيانها الأول سنة 1980 (خلال المهرجان الحادي والعشرين لمسرح الهواة بتطوان)، والتي ساهمت في توسيع أفق الممارسة المسرحية الهاوية وذلك عن طريق إعادة النظر إلى ثوابتها التقليدية، والسعي إلى تثويرها على مستوى الكتابة النصية والركحية اعتماداً على التجريب.

من هنا، فإن دراسة هذه النظرية في إطارها التاريخي (1980 وما بعد) وتزامنها مع نظريات أخرى ومع المؤثرات الفكرية والسياسية في بلدنا يفرض علينا القيام بنبش عميق في تاريخ مسرح الهواة. وهذه ليست غاية هذه الورقة المتواضعة.

لذا نكتفي بالإشارة إلى أن المسرح الثالث قد وفَّر أرضية خصبة لاحتضان مسرح مغاير يأخذ، كما يقول المسكيني الصـــــغير فـــي بـيانه

«بمفهوم الثقافة المسؤولة، ولا يمكن أن يستقبل كل شيء ببراءة، كما أنه لا يُنيب عنه من يدعي المصلحة العامة والثقافة المرغوب فيها »[1].

إنه من هذا المنظور مسرح إيديولوجي جدلي يتفاعل مع القضايا الوطنية والإنسانية. وهذا ما جعله يرتكز على جملة من المنطلقات النظرية كالمكان المتحرر من جغرافيته، والزمان الذي يتجدد ويتعالق معه، ثم التاريخ الذي هو موروث ومتحرك، أي «حركة حسية يمكن استعارتها وتشخيصها بناء على الموقف من الآخر»[2]. وهذا يعني أنه قابل لأن يخضع لقراءة واعية وملتزمة على ضوء راهنيه الواقع التي يجب تعريته وخلخلته، كما أنه يشكل مادة معرفية يمكن استحضاره في الهنا والآن، وإعادة صياغته أو تحريكه وفق قناعة سياسية وإيديولوجية ليكون في خدمة الحاضر بكل مفارقاته وتناقضاته.

انطلاقا من هذا الثالوث «المكان، الزمان والتاريخ»، عمد الفنان المسكيني الصغير إلى قراءة التراث التاريخي العربي ليجعل منه مادة لمسرحياته باعتباره «حاضرا يقوم على التحدي، لا باعتباره فعل نسخ تلقائي للماضي»[3]. وقد نتجت عن هذه القراءة مجموعة من المسرحيات نذكر بعضاً منها على التوالي: سرحان – العقرب والميزان – البحث عن رجل يحمل عينين فقط – الجاحظ وتابعه الهيثم – الزعيم – رجل اسمه الحلاج – السيد جمجمة – عودة عمر الخيام إلى المدينة المنسية – يوم السعد والنحس في حياة هارون الرشيد – رحلة السيد عيشور – رحلة ابن دانيال الخ...

في نطاق أغلب هذه النصوص نقف على صفحات من التاريخ العربي والإنساني مؤطرة في أحداث قديمة وحديثة (حرب البسوس – حرب طروادة – معركة أنوال – حرب الخليج – فلسطين الخ ...) وكذا عبر شخصيات مشهورة (تأبط شرا- عنترة العبسي – نيرون – صلاح الدين الأيوبي – عمر الخيام – شهريار وشهرزاد – القرامطة – الجاحظ والحلاج الذي قرر الخروج من عزلته الصوفية لمحاربة الظلم والطغيان وممارسة فعل التغيير.

إن هذا المبدأ (أي ممارسة التغيير) يتردد دوماً في نصوص المسكيني الصغير التي تعكس الحاضر في الماضي، مما يجعل منها أعمالاً متحررة تنفلت من إكراهات التاريخ الموثق ليتمكن الحدث ؟ سواء كان ماضياً أو حاضراً ؟ من تحقيق راهنيته فوق الركح.

وهذا ما يدفعنا إلى إدراج هذه النصوص في خانة ما سماه الكاتب المسرحي الفرنسي أرمان غاتي A. Gatti «بمسرح المُمكِنات» Le théâtre des possibles. وهو جنس من الكتابة الدرامية «التي يعمل المكان والزمان في نطاقها على توليد عدة مواقف وأبعاد وحقب للحديث عن الإنسان الذي ينشأ من ذاته على مجرى التاريخ »[4].

وبما أن أرمان غاتي قد تمرد في مسرحه على مفهوم الفضاء والزمن التقليديين في المسرح، فقد جعل من كتابته الدرامية «مسرحاً متفجرا» يدين المسرح البورجوازي وذلك لعدم تمكنه من معالجة المآسي التي يعيشها الإنسان المعاصر[5]. كما أنه اعتمد ثالوثا وهو الماضي/ الحاضر/ المتخيل.

وهذا ما توخَّاه في نظرنا المسكيني الصغير في مسرحياته التراثية وكذا في مسرحياته التي لا ارتباط بها بالتراث. ولنا نموذج في هذا الصدد، وهي مسرحية «محمية لأموات نادرة» التي تتموضع أحداثها في أرض خلاء أي في مكان يخلو تماماً من الحياة، وفي زمن غائم. ورغم عدم إعلان الكاتب في هذا النص عن موقع الحدث، ولا عن هوية الشخوص، ندرك أننا أمام تاريخ معاصر.

ينفتح الفصل الأول من هذا العمل على حوار بين المحامي وكاتبه الخاص ليتبين لنا من خلاله أنهما يبحثان عن مقبرة، ويراقبان الطريق المؤدي إليها في انتظار حَمَّالين كُلِّفا بنقل نعش رجل. وحينما نصل إلى المشهد الثاني، تتضح خيوط البناء الدرامي الذي سيخضع لتصاعد عبر حركات الشخوص وكلامها على الخصوص: الشيء الذي يجعل من هذا الكلام حدثاً رئيسياً تنعكس أبعاده في عملية دفن مَيِّتٍ طَلَبَ من موكله المحامي أن يحمل نعشه حمَّالان عاديان، وأن يوزع ثروته على وارثيه حسب الوصية التي تركها.

ترى، من يكون هذا الميت؟ إنه رجل كان يملك في حياته أكثر من نصف الأسهم في الشركات والبورصات والأبناك النشيطة في العالم. لكن إضاءة الحدث تجعلنا ندرك أن وارثيه الثلاثة (وضمنهم امرأة) لا تجمعهم به أي قرابة دم. من هنا، يغدو الحوار على طول المسرحية بفصولها الأربعة انعكاساً لحالات إنسانية.

لقد كان الميت رجلا انتهازياً جمع ثروته عن طريق النهب والسرقة وإبادة الأجساد. لهذا، كانت وصيته تشترط على وارثيه أن يكونوا أقوياء مثله، وأن يؤسسوا جمعية لنصرته ونسيان حقدهم عليه. لم يَرُقْ هذا الشرطُ الوارثَ الثاني لأنه ليس من اختصاصه أن يمارس لعبة النسيان. لهذا نجده ينسحب من النص. أما الوارث الأول الذي كان يكره الميت، ويتمنى في نفس الوقت أن يقبل جبينه عندما كان زعيماً، فقد ظل حائراً أمام فحوى الوصية، كما أنه أحس نفسه داخل متاهة من الأوهام؛ ولكنه تمرد في الأخير حينما قرر القيام بإحراق النعش للتخلص من أوهامه. إلا أن تتابع الأحداث كشف لنا أن النعش فارغ، وأن مقبرة الغفران لا وجود لها، كما كشف لنا أيضا أن المحامي ليس إلا تابعاً غَبِيّاً لرجل طاغية.

إن ما يؤكد عليه هذا النص هو حتمية الموت بالنسبة للإنسان. ولكن موت الطغاة – الذي يتجسد في بنيته العامة – هو موت آخر يتطلب مبادرة إيجابية. وعليه، فبقدر ما كان المحامي يلح على دفن موكله الطاغية بقدر ما كان يحس بالاختناق، أي بقرب موته «لأنه كان وكيله في القتل والاغتيال». وهذا ما جعل النص ينتهي بموقف مفاجئ وذلك عندما أدخل الوارث الأول المحاميَّ في النعش، ثم أغلقه عليه جاعلاً بذلك حَدّاً للوصية المشؤومة، أي لاستمرارية لعبة الزعامة التي تسيء إلى حياة الأبرياء، كما هو الشأن بالنسبة للمعتقل المكلف بحمل أدوات الحفر، والذي فقد ذاكرته بفعل التعذيب.

إن هذا الإنسان/ الضحية هو الذي كانت تتحدث عنه المرأة التي قَدِمَتْ وارثة، كما يمكن أن نفهم ذلك في بناء المسرحية، ولكنها في الواقع هي زوجته. وكما تقول في المسرحية، فإن زوجها قد «ألقي عليه القبض وهو في حضنها، يده تداعبا شعرها. وكانت تشعر بحرارة جسمه تملأها فرحة ونشوة وحلماً...»[6] من هنا، فإن حضور هذه الشخصية في المسرحية هو إشارة رمزية إلى "زمن رصاصي" زمن القهر والقتل والدفن الجماعي في محمية لنماذج من الأحياء النادرة، أي لذوات فاعلة ومتمردة ضد الطغاة الذين كانوا كما يقول عنهم محافظ المقبرة « يأتون كالخفافيش، مُقنَّعين ليلاً، يَبقرون رَحم الأرض، ثم يرمونهم دفعة واحدة، كما تُرْمى الأعواد في المحرقة »[7].

نحن، إذن، إزاء نص لا يخضع لصياغة التاريخ أو الاسترشاد بأحداثه؛ ومع ذلك، فإنه يكشف لنا عن بعد من أبعاده، كما يجعله (أي النص) منفتحاً على عدة تأويلات باعتباره إنتاجاً درامياً يلتزم بمواصفات كتابة «المسرح الثالث» التي تقوم على خطاب فكري/ إيديولوجي يتوزع بين فكرة أولية (دفن الميت) وفكرة مضادة (مكان دفنه في مقبرة لا وجود لها) وفكرة ثالثة هو موقف الشخوص من عملية الدفن التي انتهت بإدخال المحامي قسْراً في النعش وبداية عودة الذاكرة إلى المعتقل وذلك حينما قال لمحافظ المقبرة: «سيدي المحافظ، صدقني أشتمّ عطر امرأة تسكنني».

بين فعل الوارث الأول (إدخال المحامي في النعش) ويقظة ذاكرة المعتقَل، وخروج كاتب المحامي عن صمته واتهام المحامي بتورطه مع الميت في القتل والاغتيال، تتجلى موضوعة النص التي هي إدانة لسياسة القهر الاجتماعي، والتبشير بميلاد وعي جديد، أي زمن جديد، زمن الإنسان الرافض والمتمرد.

لهذا عمد المسكيني الصغير في هذا العمل إلى توظيف شخوص متنافرة الهوية، وإلى اعتماد حوار مقتضب Dialogue laconique (باستثناء منولوج الميت) ليؤكد لنا على أن وظيفة المسرح

هي في الجوهر اجتماعية وسياسية. وكما ورد في البيان الأول «فإنها تتفاعل مع الكائن الإنساني وتتبنى فضح التناقض والسبب المادي للظلم في إطار علاقة المظلوم بالظالم».

إن هذه الوظيفة هي التي جعلت نصوص المسكيني الصغير ترفض مسرح المباشرة والخطابة والوعظ. ومن ثم، فإذا كان مسرح الطليعة من خلال كتاب العبث قد تمرد على المسرح العجوز، فإن المسكيني الصغير قد ابتدع مسرحاً فكريا وفنياً يتمرد ضد النص المهادن. وهذا ما يدفعنا إلى تصنيفه في خانة الكتاب الملتزمين الذين يحسنون صناعة الكلمات والمواقف الدرامية، ويعملون في صمت.

الدكتور حسن المنيعي

---

1 - المسكيني الصغير: بيان المسرح الثالثة، مجلة المدينة ع 6 السنة 1981، ص 79.

2 - المرجع السابق، ص 85.

3 - المرجع السابق، ص 80.

4 - جان بيير رنغال: قراءة المسرح المعاصر (بالفرنسية)، منشورات دنود باريس 1993، ص 98.

5 - نفس المرجع السابق،

6 - المسرحية، ص 94.

7 - المسرحية، ص 55.

العقرب والميزان

مقدمات.......

و في مرحلة اغناء ممارساتنا و مفاهيمنا، في إطار تعاملنا مع رؤية «المسرح الثالث» الفنية، خصوصا في مجال الإخراج أصبحنا ملزمين بالتفكير بشكل أعمق في مسألة الجدل الإبداعي، و كيفية تطويره عبر الممارسة تجذير أسس هذه الممارسة و ميكانيزماتها و أدواتها، و رحنا نؤكد لأنفسنا بأن علينا أن نفهم جدليا مفهوم الجدل في الإبداع، و علينا أن نعلم بأن الإبداع و جدلية الإبداع لا يمكن حصر قوتهما و زخامتهما، و سرعة فعلهما في وصفة أو و صفتين .....إننا بصدد بحر إبداعي عظيم لا حدود له يجب أن نشكل قوة ايجابية خلاقة بشكل أرفع في ظاهرة مده ..... و جزره.......

المخرج / عبد القادر عبابو

ليســـــت مهمتنا أن نثبت أننا علـــــى حق و إنما مهمتنا أن نكـــــشف أن الأمر كذلك ! !

الاختيار عملية تفرض على المحدد جدلية قائمة بذاتها تفتت السائد المسود، وتغوص في الذاكرة التاريخية.. تسهل دراسة صميم جوهر الأشياء : / المسرح شكلا ومضمونا/ مما يبلور وحدة الضدين من فعل نفسي و فعل إرادي، و فعل لا إرادي المرتبط أساسا بالإنسان و انفعالاته، و توتر إحساساته و مشاعره التي تكمن في الهدف والسيرة والصراع العام و الخاص، و العلاقة مع الآخر، و الظرف الذي يتماشى والزمن الفعلي ، و كذلك الشخوص النمطية التي تعني الصدق في التصوير، و أخيرا الفكرة البديل، التي يتبناها «المسرح الثالث» كعنصر أساسي الذي يكمل البناء الدرامي للشخصية المسرحية على المقياس العلمي.....

المخرج / بنيحيى عزاوي

فالتاريخ (ذاكرة الحدث الدرامي) بكل بساطة روح الزمان و المكان الذي يعيش فيه و يتفاعل معه، يتدخل في الأحداث، و الشخصيات، فيصبح من ناس المكان والزمان ... و ليس مجرد إسقاط .

و قد استطاع الكاتب أن يجعل من التراث الذي يبدو مملا و علبة جـــاهزة و ساقطة في أغلب المسرحيات .. قطعة متحركة .. و استطاع من خلال ثـــالوث " المســــــــرح الثالث " أن يعادل بين عنصر الاحتكام، و العنصر المـــعرفي و الإيديولوجي في عقلنة التراث.. و أن يتوصل بذلك إلى خلق صورة حقيقية لوجه التاريخ و التراث الحركي .

المخرج / سعد الله عبد المجيد

شخصيات المسرحية :

1) المكلف بالماكيــاج	
2) أحـــمـــد	المهلهل
3) محمـــود	همـــام
4) عائشـــة	البسـوس
5) جـــلال	كلـــيب
6) عامل في المسرح	الغـلام
7) صاحب الخمارة	الغـلام
8) السيد الغريب	النخاس
9) السيد المنسي	
10) السيدة المنسية	الجارية

الفصل الأول

المنظر :

خشبة المسرح .. مجموعة من الملحـــقـــات

نصف ديكور مبني .. يدل على أطلال مهدمة ..

في الجهة اليمنى حامل للملابس و حامل للمرآة ..

م. الماكياج : (المكلف بالماكياج ينتهي من معالجة وجه الممثل أحمد الذي يشخص دور المهلهل) هنيئا يا أحمد بحضور المهلهل .. حاولت أن أنقل ملامحه إلى وجهك (صمت) يبدو لي انه كان رجلا مشاغبا لا يتسامح ..... داخله فرن مشتعل .. (صمت) نار لا تبقي و لا تذر .. (صمت) ربما أكون قد أخطأت في تشكيل وجوه سابقة .. لكني اليوم أشعر أني قد انتصرت و نجحت تماما في إحضاره .. أنظر لقد حضر المهلهل .. وغاب وجهك .. حضر الشاعر المسكون بالثأر.

أحمد .م : (يتأمل باستغراب وجهه في المرآة) أين و جهي؟ و جهي اختفى لست أنا.

م . الماكياج : أنت الآن يا أحمد عدي بن زيد التغلبي ..

شاعر قبيلة تغلب، أخو كليب السيد القتيل

.. (صمت) كان أخوك أعز الناس. و سيد قبيلة بكر و تغلب.. حامي مواقع السحاب .. و مجير الوحوش من الصيادين..

أحمد .م : (يتأمل وجهه باستغراب زائد .. يحس باختناق بشيء يسكنه .. و هو ينظر إلى عمق المرآة .. و يدور صارخا) لا. لا. لا أريد، ابتعد أيها الوجه.

إبتعد أيها القناع المهزلة .. لا.لا انزع قناعك .. أحس باختناق .. إنه يمتصني كالعلقة .. يغتالني .. لا أريد هذا الوجه الملعون..

م . الماكياج : أنا لم أفعل شيئا يخفي وجهك الحقيقي (صمت) عالجته بمساحيق خفيفة متى أردت العودة إلى وجهك الحقيقي فاغسله ..(صمت) لا أستطيع أن امسح وجه المهلهل الآن يا أحمد ..بعد قليل يبدأ تشخيص الحدث ..

أحمد . م : (صارخا) أني اختنق .. أين وجهي .. إبتعد أيها الوجه اللعين .. قلت لك انزع قناعك عني ..آه

(تفشل يداه في الوصول إلى وجهه) يداي تعجزان .. أسرع (يتهاوى ببطء فوق ملحق).

م. الماكياج : (خائفا من تحول أحمد) ماذا جرى لم أفعل شيئا .. لا أستطيع أن أصبغ وجهك مرتين .. مخرج المسرحية يرى أنك تصلح لهذا الدور (صمت) صدقني يا أحمد أنت صاحب هذا الدور ..

أحمد .م : (بصوت مهزوم) لا.لا.لا أريد هذا الوجه .. أزل قناعك أريد وجهي.

(تصيبه غفوة .. ثم يستيقظ فجأة . و قد تملكته روح المهلهل) أنا المهلهل . أنا شاعر قبيلة تغلب .. من لا يعرفني فقد سمع عني (صمت) اسألوا سوق عكاظ . أنا أخو كليب القتيل .. أنا المسكون بالثأر .. هكذا تريدني الأقدار .. و انتخبتني الصدفة .. أن أكون عبر الريح والعواصف قلاعا مجنونا، تريدني أن ألعب دورها المشؤوم في يوم مشؤوم في عرض هذه الصحراء .. أنا المهلهل .. قاتل خصمي باسم العرف و عادات العشيرة .

م . الماكياج : أنت بطل هذه المسرحية.

أحمد .م : (يفاجئه صوته. فيهرع إلى سيف معلق) أنا بطل حرب البسوس.. أكبر من مسرحيتك هذه ..

(ضاحكا بهستيريا) أنا البطل الملعون لقناع ارث ملعون .. إقترب ..
إقترب.، من تكون؟ من تكون؟ مفتاح أم قفل صدئ لهذه الصندوق
المملوء بالبق و الأرضة .. قلت لك من تكون؟ .. فأنت ميت في حكم
سيفي .. سواء أجبت أم لم تجب .. لكنني أريد أن أعرف حتى أنتشي
بهزيمتك أمامي .. لأي قبيلة أو حزب تنتمي؟ (صمت) أضيفا حللت
بالقبيلة ؟ أناخ ناقته العرجاء.
(يقرب منه رأس سيف) آه لم تشرب قهوتنا بعد... تفضل .. هذا ديواننا
.. ومجلسنا المفتوح (صارخا) اسأله يا شيخ القبيلة عن نسبه ..
وأجداده.. أهو حر الدم أم ورث العبودية و القهر؟ (صمت) لا ..
أنت جاسوس قبيلة الخصم، جئت لتتسقط أخبارنا.. (صمت) أنت
مزيف كعملة العجم .. تجوب الصحراء .. مهووس كالسحرة.. بحثا
عن منفذ إلى الفريسة .. (صمت) اسأله يا شيخ القبيلة .. إن كان
تاجرا أي ثمن يعطي لهذه الصحراء ؟ من أجل زجاجة عطر .. من
السند (صمت) فضولي أنت تجمع أسرار الناس .أم متطفل على أعراس
البدو و الحضر؟ (صمت) تكلم .. من تكون إذن ؟ هل اختلطت ناقتك
بقطيع ابل القبيلة؟ فجئت تستعطفنا .. لتستردها يا رجل ؟
(صمت) أنت مطرود إذن .. مستجير بنا.. تركت عشيرتك النافرة..
(صمت) تكلم أيها الصعلوك الخارجي ..

م. الماكياج : أنا صانع وجهك يا أحمد ..

أحمد . م : تصنع وجهي في غيابي يا رجل ؟

م . الماكياج : سخرت كل مهاراتي .. و ضعت كل ما تصورت عن المهلهل ..
إني اسمع صوت نبراته تندفع من أعماقك .. صدقني يا أحمد .. أنت
الوحيد من يختزل اتساع الصحراء و عصبية هؤلاء الرحل.

أحمد .م : اسكت يا مزيف الوجوه (صمت) انصرف الآن فقد عفوت عنك ..
أنا لا أقتل رجل أعزل من السلاح ..(صمت) نفسي تأبى السقوط في
حضيض الغدر و الخديعة.. انصرف قبلما أتحدى عاداتي الحسنة..

م . الماكياج : أنا.. أنا ،

أحمد . م : اذكر غارة واحدة على الخصم حتى اعرف طول سيفك المسلول، من لا يغار ولا يغير لا حق له في هذه الأرض..

م. الماكياج : نحن اشتركنا معا في صناعة وجهك..

أحمد . م : انك تختفي يا رجل وراء مهنة لعينة.. (صارخا) هذا سيفي.. فأين حصاني (صمت) يا شيخ القبيلة.. أعط أمرك بالغارة .. (صمت) سأنتقم لك يا كليب.. أحصد.. كم رأس من قبيلة الخصم .. أكتب قصيدة مشتعلة من الفخر و الحماسة قربانا لروحك و ذكراك (صمت) بعد أن ازرع في صدور و عيون العرب جذر الصبار و الحنظل (صمت) أنا المهلهل..

يا رجل..فهل عرفتني الآن ؟ (صمت) أيتها الصحراء ..اشهدي..فقد هجرت مجلسي و كل الندامى .. فارقت كأسي و جاريتي (صمت) .. لم عد أناغي قمر البيداء.. هذا الضائع في رحم الظلمة .. يعصر في الكاسات الفضة و الحب(صمت) آه ما أشقاك يا مـــــهلـهل (صمت) . لماذا تنكرت أيها الكأس ؟ و تركت شفتي ناشفتين كأخدود لم يعرف الماء.. نفضت ثقلي من كل مجلس أعشقه (صمت) ها أنا ألبس ذرع الحرب.. و اغمس شعري في بركة من الدم الصحراوي.. أصنع أياما جديدة .. تخضب غرة تاريخ ميت (صمت) إستيقظ أيها الشعر .. فأنت النار و الحطب ..و الحارق و المحترق ..جثثا ممزقة و سيوفا مسلولة .. استيقظ أيها الشعر نواحا و عويلا لأمهات أطفال الخصم و حريمه .. خيولا جامحات ..و حقدا يشد لجامها في الليل و النهار.. (صمت) ها أنا يا كليب أشرب حقدي وحدي ..فتصيبني رعدة خدر غريبة يرميني إلى عمق الهاوية ..تراني كنت احبك يا كليب أكثر من نفسي؟ أم هي نشوة غرور طائشة ؟ .. أصابتني بألف سهم وسهم (صمت)من يغمض أشفار سيفي الساهر!؟ من يعيد إلى نفسي جرعة الكأس الشاعر!؟

إني أقتلهم باسم العرف.. يا شيخ القبيلة، فمن يحرس النخيل و الآبار من هجمة الروم و العجم ؟ (صمت) أيها الشعر الملعون المهلهل .. إستيقظ من غفوتك، و لتكن قافيتك القادمة زلزالا ينسينى حلم البارحة (صمت).. لماذا أنا بالضبط يختارني قدر مجهول .. لماذا أنا بالضبط تنتخبني الأقدار و العرف قربانا لهذه النار المشتعلة .. أجيبي أيتها النخلة الباسقة .. (صمت) أجيبي أيتها النخلة الحارسة عرش الشمس (صمت) من يلجم حصاني الجامح إذا كبا.. (صمت) إني أغوص أغوص يا شيخ القبيلة في الدم و في دمي أغوص (يعود ليضع سيفه فوق عنق المكلف بالماكياج) أنت نعم أنت.. أراك تتعقبني كظلي .. تنفث في داخلي هوس المغامرة.. لماذا تربطني بالمجهول.. تكلم من تكون ؟ من يقص هذا الخيط ؟ هذا الوهم ؟ هذا العرف الشبح ؟ آه..

م . الماكياج : (خائفا) لا تحاول يا أحمد .. فقد يؤلمني سيفك الخشبي ..

أحمد.م : (ضاحكا بهستيريا) سيفي من خشب ؟ هذا الحسام الخافق كراية حرب .. (صمت) اخبرني من أنت و إلا أزحت رأسك الفضولي عن منبته ؟

م . الماكياج : تسألني يا أحمد ؟ أنا صانع وجهك المهلهل.

أحمد . م : صانع حيرتي و قلقي و موتي (صمت) عرفتك أيها المزيف .عرفتك أنت الذي لا تنتمي إلا لنفسك (صمت) لكن روح كليب لا تهدأ إلا على نواح و عويل الخصم .. إنصرف اقتلع جذورك من الصحراء. لا شئ لك في هذه الواحة غير القتل ..

(صمت) أغرب عني و إلا نفضت كل الجمر على وجهك ..

م . الماكياج : حقدك أكبر من دورك ..

أحمد . م : ما تزال واقفا ..

م . الماكياج : أنا في انتظار صديقك محمود .. سأصنع وجهه.. وجه همام نديمك وخصمك، أخو القاتل..

أحمد . م : (يقترب منه) ماذا أسمع ؟ كيف عرفت الطريق إليه يا رجل.
م . الماكياج : أعرفه مثلما أعرفك .. سأحضره..
أحمد . م : لا لا. لا تفعل. إني لا أقوى على قتل نديمي فهذه خيانة لا تعرفها الألهة .. الكل يموت عبثا (صمت) هل عرفت يا رجل أننا نقتل و نقتل و نقاتل اليوم من أجل ناقة .. أرجوك لا تفعل أيها السيد الغريب ..
م . الماكياج : أنت بطل في قصة حرب البسوس..و حرب البسوس حكاية قديمة .
أحمد . م : تهينني يا رجل و أنا الذي أطالب بثأر أخي كليب ؟
م . الماكياج : تثأر من أجل ناقة ؟ و تمنع العرب من الماء و الكلأ و الحطب.
أحمد . م : من تكون يا رجل ؟ في كل مرة أراك تحمل وجها جديدا .. فاسمع صوتا يقتلعني من نفسي.
م . الماكياج : أنا صانع وجوه هذه القصة .. و كاشف للناس حقيقة هذه الحرب الدائرة بينكم (صمت) إني أرى ألف ناقة و ناقة تدك بالحديد والرصاص بيوت الأبرياء (صمت) حرب البسوس يا أحمد لعبة يجب أن تنتهي ..
أحمد . م : من تكون يا رجل ؟ (صمت) كيف السبيل إلى قتلك ؟ (يعجز عن تحريك سيفه) أقتله يا سيفي .. مزق أحشاءه .. هذا الغريب يخنقني .. آه إني أفشل أفشل ..
م . الماكياج : سوف ينكسر سيف التمثيل بين يديك ..
أحمد . م : (بعيدا عنه يتكلم بغير مبالاة) ابلغوا الناس في عكاظ و في كل أسواق العجم . في رحلة الشتاء و الصيف.. المهلهل لن يخلع درعه .. لن يستسلم . (يقرأ شعره بطريقة حماسية) فلست بخالع درعي و سيفي... إلى أن يخلع الليل النهار... و إلا أن تبيد سراة بكر فلا يبقى لها أبدا أثار
م . الماكياج : ترش الرمال بنار النفط المحرقة يا أحمد ؟

(يدخل محمود المشخص لدور همام)

محمود . هـ : أعتذر يا جماعة .. الطريق إلى المسرح أصبحت صعبة.. (يعطي وجهه للمكلف بالماكياج) . ها أنا..

م . الماكياج : أزمة النقل كالعادة ..

محمود . هـ : دونك وجهي .. هل أحضرت لي ملامح جديدة ؟

أحمد . م : من يكون هذا القادم؟

م . الماكياج : همام جاء يبحث عن وجهه ..

أحمد . م : (صارخا) عدوي ..

محمود . هـ : خصمك في المسرحية فقط .

أحمد . م : ستموت إذن بسيفي هذا ..

(تدخل عائشة التي تشخص دور البسوس .. تحاول تقليدها في دخولها مباشرة ..)

عائشة . ب : واذلاه.. واحر قلباه.،

محمود . هـ : ما وراء عائشة ؟ اعتقوا خالتي البسوس

أحمد . م : البسوس ؟ رأس الأفعى ؟

م . الماكياج : تسب خالتنا يا مهلهل ؟ ..

مسكينة .. كانت لا تملك في قبيلتها سوى ناقة واحده.. قتلها كليب أخوك..

(مخاطبا أحمد . م)

عائشة . ب : قتل ناقتي سراب .. اختلط دمها بلبنها اللذيذ.. واذل العرب !

محمود . هـ : لك منا أحسن منها..

عائشة . ب : من يتحمل الاهانة يا ابن أختي ؟

م . الماكياج : لا تنسى يا عائشة ..عفوا يا خالتي البسوس أن ناقتك هذه أشعلت النار في خيام العرب وزرعت بينهم الفتنة و الشقاق و الفرقة ..و طورت بينهم المذاهب و الاغتيالات.

عائشة . ب : و اذلاه .. لم يبق في هذا الربع غير الذئاب..

أحمد . م : (مشهرا في وجهها سيفه) تهينين أخي كليب في وضح النهار ؟ ..
(صمت) لو لم تكوني امرأة عجوزا لقتلتك بسيفي هذا..
م . الماكياج : يهددها بسيف التمثيل ..
عائشة . ب : أرأيتم كيف يتعامل معي قبل اللعب ؟
لن أشخص هذا الدور الحقير .
أحمد . م : عجوز شمطاء رقطاء ..
عائشة . ب : (تبكي) لن أشخص هذا الدور الذي يهينني..
محمود . ب : نحن هنا يا عائشة نحاول أن نشخص جميعا حقيقة مرة ..(يدخل الممثل جلال بلباس السموكين يحمل حقيبة دبلوماسية وبين شفتيه غليون .. وراءه عامل في المسرح الذي يلعب دور غلام كليب .. يجلس فوق قطعة متحركة .. يدفع به الغلام).
كليب قد حضر .
م . الماكياج : كليب قد حضر ..
احمد . م : كليب أخي لم يمت ؟ لن يغتال بعد ؟
جلال . ك : ماذا أسمع .. البعض يقتلني .. و البعض الأخر يحضرني (يأمر العامل الغلام بدفع الملحق الخشبي) أنا الحاضر الغائب .. (صمت) ماذا يشاع و يسمع عنا غلام ؟ (يأخذ المنظار المكبر المعلق في عنق العامل و ينظر..) ألمح شيئا يغطي السماء .. وأسمع دويا يهز النخيل..
العامل . غ : صوت رعد يا مولاي .. و ما تراه معلقا في صدر ضرع سحابة سخية .. سوف تصب و تمطر في حماك و معمرك ..
جلال . ك :(يتكلم باعتزاز) ماذا تقول العرب عني يا غلام في سوق عكاظ ؟
عامل . غ : أغنى من أوناسيس و روتشيلد ..
جلال . ك : أذكر ألقابي التي تروج على ألسنة العرب و العجم ..
العامل . غ : كليب أبو الأرصدة و البنوك و القوافل الجارية في الصحراء والماء .

جلال .ك : بأي النعوت يعرفني غيري يا غلام ؟

العامل .غ : متى حللتم يا مولاي بأرض العجم .. تكتب الجرائد و المجلات.. بكل اللغات .. جاء الصديق الذي يشتري أحذيتنا .. و نظاراتنا وأحزمة البطون .. جاء الذي يملك كراسينا ..و يفرغ براميلنا من الخمرة المعتقة .. جاء الذي يشتري و يبيع و لا يملك جاء الذي يمنح بسخاء .. جاء الضيف المتكرش البليد ..

جلال .ك : تقول بليد يا غلام ..

العامل .غ : إني أنقل الخبر حرفيا يا مولاي .

جلال .ك : بليد . هذا لقب طريف يا غلام، بأي أرض سمعته و قرأته لا غفر الله لهم ؟

(صمت) سأسحب كل أرصدتي .. و أبيع ما اشتريت من القصور والفنادق ..و المقاهي و البارات.وكل الأمكنة السرية ..و أتركهم فقراء يشحذون .

العامل .غ : في بلاد العجم يا مولاي ..

جلال .ك : لكني لا أستطيع .. ربما كانوا يقصدون مدخي ؟ .. اعتبره يا غلام خطأ مطبعيا .. أو نكتة باردة .. لا يهم . طالما أني بعيد من العشيرة (صمت) من تراه يقف بباب فندقي الخاص يا غلام ؟

العامل . غ : وسطاء .. و أصحاب مشاريع، و محترفوا دبلوماسية ..من بلاد العجم.. و رهط من الأشقاء العرب .. و مديرو دار الأزياء و العطور و الأحذية .. و امرأة مشهورة .. تقرأ الكف . و تتنبأ بزواجك المقبل .. من تريد يا مولاي أن ترى وجهه ؟

جلال .ك : إقرأ مطالبهم أولا يا غلام ..

العامل .غ : (يخرج نشرة طويلة و يقرأ) الوسيط الأول يا مولاي ..ينقل بصدق حسب قوله .. و في تقرير طويل وصفا وفيا عن الجارية الاسبانية ..

جلال .ك : باختصار يا غلام ..

العامل .غ : يقول يا مولاي ..جسدها غصن بان ..و ثغرها خاتم مرصع بالجوهر..
تحمل من التفاح .. ما يشبع جوعكم القديم .. تمتاز بعينين ترثان من الأندلس حزن العرب العتيق ..

جلال .ك : أسرع يا غلام ..

العامل . غ : الوسيط الثاني .. يقول بعد الوصف و التقدير و الحديث عن البورصة و الأسواق العالمية .. و رقصة برميل النفط .. بين الزيادة والهبوط في الدولار ..و بين الفلس و القرش و الريال و الدينار .. يقول يا مولاي أنه اشترى لكم جزيرة في عرض بحر الباسيفيك .. لا أحد يسكنها إلا أنتم و حريمكم الخاص ..و أنواع من الطيور الغريبه ..

جلال .ك : هذه الجزيرة ..لا تصلح إلا أن تكون مخبأ للعشق الشريف يا غلام..
أكتب في نهاية التقرير .. موافق موافق .. موافق ثلاث مرات حتى يسرع في التنفيذ ..

العامل .غ : الوسيط الثالث عربي، كتب مقدمة طويلة .. يريد جوازا يا مولاي لأرض العرب .

جلال .ك : طلب مرفوض .مرفوض يا غلام ..اكتب بلون احمر غليظ ..يمنع من الدخول في جميع نقط الدخول و العبور كل من يتكلم عربية فصيحة..
أسرع فالوقت من ذهب ..

العامل .غ : الوسيط الرابع .. يرسم خريطة غريبة يا مولاي .. يتنبأ باحتراق الأبار.. و بعدو يدنس حريمكم .. ويستعبدكم .. و يشير في الأخير يامولاي أن تسلحوا الجيل القادم من اجل حماية أرض العرب ..

جلال .ك :(صارخا) ضع نسخة أو نسختين من ملف هذا الفضولي ..و أكتب معلومات وافيه عن هذا الكاشف الغبي .. و ابعثه إلى أصدقائنا في البوليس الدولي .. (صمت) آه أريد الآن يا غلام .. أن أسمع أشعاري..وخطبتي و آثاري ..هل حفظها الأطفال و الطلبة في المدارس و الجامعات ..إني اشتاق إلى أن أسمع عن نفسي محفوظة شعرا و نثرا عند الغير.

العامل .غ : شعرك نشيد رسمي .. سجلته كل شركات الكاسيط و الاسطوانات في العالم.

جلال . ك : حسنا .. إلي به ملحنا .. أشد.. يا غلام.. وإياك أن تلحن و تخطأ فتثير غضبي.

العامل . غ : (يؤدي الشعر بطريقة موال .. من الممكن أن يؤدي ملحنا بطريقة معينة ..)

يـا لـك مـــن قبرة بمعمــري
لا ترهبي خوفا و لا تستنكــري
قد ذهب الصياد عنك فابشري
و رفــع الفـخ فمــــا تحـذري
خلالك الجو فبيضي و اصفري
و نقري ما شئــت ان تنقــري
فأنت جاري من صروف الحـذر
إلـــى بلـــوغ يومــك المقدر

(يصفق الجميع .. و يتابع جلال تصفيقه بحماس زائد).

جلال .ك : رائع ..لقد أبدعت ،، ما أروع شعري و أعظم وصفي .. (يأخذ المنظار الكبير .. ينظر إلى جهة معينة) ماذا أرى ؟ هل رأيت يا غلام .

العامل .غ : ناقة البسوس الفقيرة يا مولاي .تبحث عن الكلأ ؟

جلال .ك : ارمها يا غلام ..

العامل .غ : بأي نوع من السلاح تفضل أن تقتلها يا مولاي .. شرقيا أم غربيا ؟

جلال .غ : ما يقتل بسرعة ..

العامل .غ : (يشخص عملية سحب السلاح و الرمي) .. بوم .. بوم ،، بوم،

جلال .ك : بأي سلاح قتلت الناقة يا غلام ..!؟

العامل .غ : بفمي يا مولاي ..

جلال .ك : حسنا فعلت .. حتى لا نخسر كالعادة علاقتنا مع الأصدقاء و الرفاق من الأحسن أن نقتل خصومنا الوطنيين بسلاحنا المحلي. هذا أضمن للسلامة .. (ينظر بالمنظار المكبر) الناقة لم تمت يا غلام !؟

العامل . غ : السلاح الوطني ضعيف يا مولاي ..

جلال . ك : ضع في سلاحنا الوطني رصاصتين أو أكثر من صنع الرفاق والأصدقاء.. يجب أن نقتل الخصوم الوطنيين .. بطريقتنا حتى لا نثير الشبهات.

العامل . غ : (يشخص عملية القتل مرة أخرى) .

بوم . بوم . بوم . ماتت الناقة يا مولاي ..

عائشة . ب : (تشارك في التشخيص) وا ذلاه ..

وا مصيبتاه ..

جلال . ك : أنا لم أقتل سوى ناقة متطفلة عن الماء و الكلأ.

عائشة . ب : الأرض و الكلأ للجميع ..

محمود . هـ : أشعلت النار يا كليب .. من يطفئها بين قبائل العرب .. ما أشقاك .. فعلك أسود .. (صمت) تركت بيننا عادة الثأر و الغدر و الخيانات ..

أحمد . م : أخي سيد العرب ..

محمود . هـ : برصاص مشبوه قتلت الناقة ..

عائشة . ب : لن يسود السلام .

محمود.هـ : ستموت يا قاتل ناقة خالتنا البسوس ..

عائشة . ب : وا ذلاه .. وا مصيبتاه

(محمود يشخص عملية القتل بمسدس و همي)

محمود . هـ : طق .. طق .. مت أيها الخائن ،،

يا عدو الفقراء ..

جلال . ك : (يشخص عمليا الطلقات النارية) آه .. آه ثكلتك أمك يا محمود .. ضاعت الأرصدة .. من يجمعها .. كلها موضوعه بأرقام سرية ..

محمود . هـ :(يعيد إطلاق الرصاص) طق .. طق .. طق .. مت يا عدو الفقراء ، أيها اللص .. يا عدو العرب ..

جلال . ك : (في حالة احتضار وهمية) ها أنا أموت يا مهلهل .. أوصيك يا أخي بأرصدتي .. و بعلاقاتي السرية بأصدقائي العجم . إياك أن تؤم النفط

و تفتح الحدود .. الأقارب عقارب .. خذ بمشورة العجم دائما .. فهم مائدتك الخضراء .. و ملجأك الأخير .. آه ها أنا أموت رخيصا .. قبل زواجي العاشر .. أموت عقيما .. و مدانا من الكل.

العامل .غ : مولاي .. مولاي .، لم توص إلي بشئ يقيني من الجوع و المرض .. تركتني حافيا .. و عبدا بلا هوية ..

جلال .ك : اقتل هذا الغلام يا مهلهل أوصيك بقتله، فانه يعرف كل أسراري .. قص لسانه .. أخرص الحقيقة ..

العامل .غ : (يتقدم إلى الجمهور و يخاطبهم) .

أيها السادة و السيدات.

مـــــات كلـيـــب.

حامي مواقع السحاب و مجير الوحوش.

مات الذي يملك كل شئ و لا يملك شيئا.

هكذا تؤرخ كتبكم و أسفاركم.

و ترسمه أيام العرب .

نحن خدامه و غلمانه و رعاته الحفاة.

نحن صابونه و فوطته الملساء العطرة.

نحن طربوشه و عمامته و نعله.

نمسح عرقه النتن في الليل و النهار.

كليب هذا الرجل مات أيها السادة.

كان كباقي المتطفلين عن الكلأ و الأرض.

كان كباقي المأجورين.

يسرق منا حروف الشجاعة.

و يجبرنا باسم هذا الأرض المقدسة.

أن ننحني لضيوفنا العجم.

قتل الناقة و الناس ؟

و سن القتل و الفتنة بين الأخوان الأشقاء.
أيها السادة و السيدات مات كليب.
مات الذي اغتال في عيوننا زرقة السماء.
و ألصق بعراجين النخيل الأخضر.
صورة قمر ميت.
أيها السادة كل الصحف و المجلات الصديقة.
كل المأجورين و الكتبة في الخفاء ...
رثوه بقصائد عصماء ..
أشبعوه مدحا حتى النخاع
تم تقيأوا في الأخير بطولات وهمية ..
و مشاريع عربية.
أيها السادة مات كليب.
مات الذي يملأه سعار النفط.
في الليل و النهار.
أيها السادة و السيدات.
احذروا كليب الذئب.
فانه لم يمت في فروعه و في جيوب العجم، طالما هذا الماء و الكلأ تحيط به أسلاك مأجورة.
لكني سادتي أعدكم وعد الشمس القاهرة أن أكون قاتله.
وحارق الفروع المأجورة.

(يخرج)

أحمد .م : (وافقا بجانب جلال .ك .شاهرا سيفه) فليمت كل النخيل ..ولتفن كل المدن ..

م . الماكياج : أطنبت في التشخيص يا أحمد ..و اندماجك في الدور غير مطلوب الآن .. كليب حكاية تدين كل الدخلاء .. و مروجي الفتنة بين الأشقاء .. في بيروت و القدس و كل المدن العربية ..

محمود . هـ : انتهى التشخيص الحر .. فلنلتزم بنص الكاتب يا جماعة ..
أحمد . م : كليب أخي .. و أنا سيفه المسلول .. أنا الثأر.
محمود . هـ : انتهي التشخيص الحر يا جلال .. أعط وجهك للمساحيق ..
فأنت لم تحضر بعد ..
جلال . ك : (يقفز .. ضاحكا) ما رأيكم في وصيتي قبل موتي بدقائق ؟
أحمد . م : (يشتد اندماجه في الدور) كليب مات .. و هذه الحرب يجب أن
تأكل جسم الخصم ..
محمود . هـ : أيام اليوم ليست كأيام الأمس ..
أحمد . م : أنا المهلهل . و هذا الحقد .. يجب أن ينضج في دمي زلزالا حتى أدمر
بيوتكم و اذبح أطفالكم و احرق أشجاركم .. و أبيع حريمكم ..
(صمت) مات كليب .. و أنا وارث وجهه و سيفه و حصانه ..
(يضحك بهستيريا .. ثم يخرج يردد الجملة الأخيرة شاهرا سيفه) .
محمود . هـ : انتظر يا أحمد .. لم نبدأ التشخيص الجماعي ..
(من بعيد يسمع احمد و هو يردد جملته الأخيرة).

(ستـــــار)

الفصل الثاني

المنظر :

الخمارة .. صاحب الخمارة .. السيد المنسي .. السيدة المنسية .. الرجل الغريب.. أحمد .

الرجل . غ : (بالقرب من صاحب الخمارة و النادل في نفس الوقت ..) هدوء غريب يسود خمارتك.. (صمت) هادئة كغرفة عريسين جديدين (صمت) لكنني أشم رائحة الكلام تعتصر في حناجر هؤلاء الزبناء..

ص . الخمارة : كما ترى يا سيدي .. الكل أمام الزجاجة و كأسه .. (صمت) القانون ساري المفعول في عقول زبنائي .. (صمت) أريد أن أقول ليس من يشاغب، أو يجذف (صمت) كما تعلم الممنوعات كثيرة .. (صمت) نعم .. خمارتي لا تعرف عادة الزحام .. هناك ، المرأة المنسية (يشير إليها) منذ تعودت المجئ إلى هنا .. لم أجرؤ على الحديث إليها.. (صمت) زبونة ذكية . و هذا زبون منسي (يشير إليه) أحيانا يغني ..و أحيانا أخرى يتكلم برزانة فائقة (صمت) أنا لا أبالي يا سيدي .. فعالم الخمارة عجيب (صمت) لا شئ يدعو إلى الاهتمام.. ما يتنبأ به مخمر .. قد يكون صحيحا .. (صمت) و لكنني كعادتي لا أصدق مخمورا يناقش نتائج اجتماعات مجلس الأمن و القمة والإضرابات في جنوب إفريقيا ..

(صمت) أحيانا يناقش بصوت مرتفع الزيادة في أثمان السكر و الزيت و غلاء أجور البيوت في المدينة ..

الرجل . غ :هل تحس أن في صوته حرارة ؟

ص . الخمارة : أنا لا أستسيغه .. يهمني يا سيدي أن أفتح القناني بصدق .. وأقدم الكؤوس نظيفة لكل الزبناء ..

الرجل . غ : (لنفسه) أنا أفتش عن موضوع آخر ..

ص . الخمارة :(يستجيب لإشارة السيد المنسي، يحمل إليه «بيرة» .. و يتابع كلامه بغير مبالاة) .. يسألني إذا شرب أكثر من زجاجة .

الرجل . غ : يسألك ؟!

ص . الخمارة : يسألني هل عقرب ساعتي ما يزال يحتمل ثرثرة الليل ؟! و هل باب المرحاض ما يزال في مكانه بين نافذتي اليمين و اليسار ..

الرجل . غ : سؤال غريب .

ص . الخمارة : ذات يوم بكي كطفل رضيع .. و همس في أذني بأشياء مضحكة.

الرجل . غ : ماذا قال لك بالضبط ..

ص . الخمارة : تمنى لو أن حكومات العالم .. تحترم أثمان «البيرة» ..

الرجل . غ : أمنية غريبة ..!!

ص . الخمارة : كعادته أسند رأسه بين راحتيه .. ثم نادي بصوت مخنوق ومبحوح(صمت) ربما كان يتذكر (صمت) نحن يا سيدي نتذكر أحيانا أشياء كثيرة لا يتحملها حجم الكلام .. كنت أسمعه يحدث نفسه ..

الرجل . غ : ماذا كان يقول بالضبط ؟

(السيد المنسي يقف يتجه نحو المرأة المنسية التي تنظر إلى الأمام .. يخاطبها بغير مبالاة ..)

السيد . م : أنت دائما هكذا .. (صمت) نعم قبلما ننام و نطفئ شمعتنا تحدثنا عن مشروع الولادة ..

(صمت) أنت التي طلبت مني صراحة أن أساهم في إيجاد طفل

(صمت) أرجوك اسمعي جيدا (صمت) طلب غير معقول بين زوجين في عصر موبوء يا عزيزتي ..

(صمت) طفلنا سيكون أكبر من مشاريع الحكومة .. و التخطيط

الخماسي .. و ربما حكومات العالم .. (صمت) أنا لست ساذجا كنت أريد أن أقول أشياء لا يتحملها الكلام .. (صمت) يغريك ألان في جسدي أني رجل ..

(صمت) صدقيني يا عزيزتي فانا لا اطمئن إلى رجولتي .. لا أطمئن .. طفلي .. و أطفال الذين يشبهونني حزم أعواد حطب يابسة .. سوف يحرقها الجوع و المرض و الحرب .. و أنانية الكبار .. (صمت) كنت أريد أن أقول أشياء لا يتحملها حجم الكلام .. (صمت) (يعود إلى مكانه ببطء زائد) .

المرأة المنسية : (تتكلم و هي تنظر إلى الأمام دون أي حركة) وعدني إذا وصل يبعث إلي .. قال لي في الرسالة الأولى .. فرنسا جميلة .. و خارج الحدود كله جميل .. باريس مدينة العطر و الصابون و الشابوان و أنت امرأة يجب أن تغسلي رأسك بالشابوان .. سوف اشتري لك عطرا عالميا .. لا تيأسي .. سوف أبعث لك .. أنا الآن أحاول أن أتخلص من ديون الجوازالقديمة .

السيد . م :(بغير مبالاة) مشروع الأمس ليس كمشروع اليوم .. و هذا الذي يتكئ في عيني يجب أن يلمع .. و يضيء الطريق .. (صمت) أنا لست مسؤولا إذا طردوه من المدرسة .. فانا الأخر يا عزيزتي مطرود قبله .. بنهمة الكلام ..

الرجل . غ : انه يتكلم ..؟!

ص . الخمارة : كعادته يتكلم يا سيدي ..

السيد . م : (يتابع كلامه بغير مبالاة) جربت كل شيئ .. و بين صراع اليمين و اليسار تقف دائما مرحاض هذه الخمارة و زجاجة بيرة (صمت) أنا أفكر في ثمن إيجار الغرفة الضيقة .. (صمت) هكذا قلت لهم .. (صمت) عندما أطلقوا سراحي وعدتهم بان أفكر في غير هذا .. المهم.. (صمت) منذ ذلك الزمان و أنا أمارس عادة الحلم وحدي ..

الرجل . غ : هذا الرجل يثيرني ..

ص . الخمارة : عندما تشرب يا سيدي أكثر من كأسين .. تكتشف أنك تشبهه تماما . و عندك الكثير القابل للتعليق .. إشرب كأسك يا سيدي .

السيد . م : (يخرج جريدة قديمة) ما تقوله هذه الجريدة لا يمكن أن يحل عقدة لساني ..

الرجل . م : انه يقرأ..

ص . الخمارة : كعادته يتصفح نشرة سباق الكلاب .. و يتأمل الكلب الفائز..

السيد . م : أخبرتها بأنني بدأت في الأيام الأخيرة أشارك في سباق الكلاب السلوقية .. و أني أحفظ أسماءها و أعمارها و منشأها عن ظهر قلب.

ص . الخمارة : (للرجل الغريب) هل جربت يا سيدي أن تشارك بعمق في سباق الكلاب ؟

الرجل . غ : أنا عضو في نادي السباق ..

السيد . م : راهنت هذه المرة على كلب يدعي انه أسرع من جميع الكلاب المشاركة ..

(صمت) لكنه سخر مني .. (صمت) اعترف لك يا عزيزتي بفشلي في وضع الثقة .. (صمت) هذه الخميرة الممسوخة لم تنضج بعد .. (صمت) عندما رأيت صورته و قرأت وزنه أوحي إلي بأنه كلب ظريف.. يقدر ظروف أسرتي (صمت) نعم قرأت في عينيه رغبة في تغيير مجرى حياتي .. و في الأخير قررت أن امنحه ثقتي و أن انتخبه من وسط مجموعة من الكلاب السلوقية ..

(يردد بصوت مخمور).

أيها البحر امسح وجهي مرة واحدة.

بملحك الذي لا ينتن.

و دعني اصطاد محارة.

الأمس ليس كاليوم.

أنا الطعم أنا الصنارة .

أيها البحر امسح وجهي مرة واحدة.

ودعني أصطاد محارة.

(يدخل احمد م . في لباسه المسرحي بيديه سيفه .. يتأملهم جميعا واحدا واحدا) .

أحمد . م : أين اختفى قاتل أخي ؟

الرجل . غ : هذا موضوع جديد ..

ص . الخمارة : انه من عشاق خمارتي .. جاء الليلة قبل العرض المسرحي ..

أحمد . م : (يقف أمام الرجل الغريب يكلمه بغير مبالاة ثم ينتحي جانبا ..) إتق شر سيفي ..

الرجل . غ : انه يهددني ..

السيد . م : قلت له .. إذا لم يربح هذا الكلب، فهناك من يراهن عليه ..

أحمد . م : كأنني أسمع اسم أخي المقتول ..

السيد . م : (بغير مبالاة) صدقيني يا عزيزتي حاولت أن اعتمده في حل مشاكلي .. و لكنه عاد إلى جنسه و طبيعته ..

أحمد . م : (صارخا) أخي كليب أعز العرب (صمت) من تكون يا رجل ؟ (للسيد . م) أنا .. المهلهل .

المرأة . م : (بغير مبالاة و تنظر إلى الأمام دون أية حركة) حاولت أن أقنعه باني امرأة.

أحمد . م : (يثير و صوتها) إنها هي .. البسوس، اللعينة تتعقبني .. (صمت) آه ليتني أستطيع أن أقتلك مرتين ..

السيد. م : (ينظر إلى الجريدة) أخبار اليوم مؤسفة .. يسقط الأطفال كأوراق الخريف .. و في مدن أخرى يبتلعهم الضياع .. و تحت الخبر المشؤوم يشيدون باللقاء التاريخي بين الرجلين العملاقين ..

الرجل . غ : خمارتك بدأت تثير في نفسي الشكوك

ص . الخمارة : إنهم جميعا يشخصون أشياء أكبر من الصحو .. (صمت) إشرب يا سيدي كأسك .. فقد تختار دورا في يوم من الأيام ..

السيد . م : (ضاحكا ضحكة خفيفة) في كل خطبة أو تصريح يتأسف الكبار و يصفق الصغار ..

(صمت) في نهاية كل خطبة أو تصريح يختمون اللقاء بكلمات رقيقة للتعزية و الرثاء.. و يفشلون دائما في توجيه التهمة (صمت) إنهم يتمنون لنا جميعا حياة سعيدة ..

أحمد . م : (بغير مبالاة) أنا أبحث عن قاتل أخي ..

(يقترب من الرجل الغريب) أنت تشبه قاتل أخي

السيد . م : قلت لها أنا أحمل وجهه ..لكنني لست أنا (صمت) .

أحمد . م : هذا الصوت أعرفه ..

ص . الخمارة : (لأحمد .م) هل لك يا أحمد في كأس قبل العرض المسرحي؟

احمد . م : من يناديني؟ .. (صمت) وحدي أنا في هذه الصحراء أتعقب أثر أعدائي ..

السيد . م : تقول أخبار اليوم .. مهمة اللجنة فشلت(صمت) أنهم مجتمعون كعادتهم للتعرف عن القاتل و المقتول ..

لكن لا احد يدين القاتل ..

أحمد . م : (يقترب من السيد . م) قلت لك من تكون يا رجل ؟

السيد . م : (بغير مبالاة يتابع كلامه) هذه كأس لا تعرف حدودا .. و أنا لا أضمن لك أن تقول رأيك الصريح ..

أحمد . م : أواه يا كليب .. ها أنا أهان مرتين .. (صمت) مرة عندما هاجرت كأسي و مجلسي .. مرة عندما رفعت سيفي ..

السيد .م: (دائما بغير مبالاة) إحقد يا رجل حتى تكفر عن ذنبك .. (صمت) الكبار في مأدبة السلام يقرؤون الفاتحة في تأبين حمامة بيضاء .. قدمت لها مشوية بشحم خنزير .. إحقد يا رجل حتى تكفر عن ذنوبك ...

إحمد. م. : متى تنتهي هذه الحرب؟

السيد . م : (بغير مبالاة) لماذا أحلم وحدي ؟

(صمت) ليتني أستطيع أن أفسر للناس .. لكل الناس .. (صمت) لا أحد منهم رأى الثعبان الذي رأيت (صمت) يفتح شدقيه ..و يبتلع المدينة بكل ما فيها من الواجهات و معارض أفرشة النوم الفاخرة (صمت) ثعبان في حجم الطوفان (صمت) شئ واحد عجز الثعبان عن ابتلاعه (صمت) ماسح أحذية كان يشبه ابني المطرود (صمت) كل ما تقوله الجرائد لا يدق رأس مسمار في باب مرحاض (صمت) أستطيع أن أتنبأ بطقس الليلة المقبلة.. ضياع وتشرد .. برودة و قلق .. مواء قطة جائعة ......(المرأة المنسية تبكي) تبكين ..احلمي مثلي بالثعبان ياسيدتي .. (صمت) لست وحدك (صمت) كل هده الرؤوس المغروسة بين أكتاف ممدودة تحمل في أعناقها حبال مشانق الليل و النهار ..(صمت) الناس في قاع المدينة يشنقون مرتين .. (صمت) مسكينة أنت لم تقدمي للغرباء صورة جسدك الملونة (صمت) نعم .. عندما كنا نجتمع و نناقش فضول الشرطة السرية كان أصغرنا يملك القوة و الإشارة بالمستقبل (صمت) ربما كنا نحفظ يا سيدتي جميعا أشعارا كثيرة من ديوان الحماسة، و رجل اسمه نير ودا ..(صمت) كنا نصفق بحرارة و نحن نختم اجتماعنا بعد الموافقة على معاداة المأجورين و المشبوهين جهرا .. (صمت) أنا الأخر تمنيت أن املك شجرة خضراء .. كنا ننتظر ...

المرأة المنسية : (بغير مبالاة) إنتظرته .

السيد . م : (بغير مبالاة) إذا لم يتصيده الموت أو السجن أو الخيانة في زقاق المدينة القديمة فهو لا يزال على قيد الحياة .. (صمت) العادة جعلتني أهتم بطقس اليوم و البارحة ..ما جاء في المطبوع يا سيدتي كان يشجعنا على الأشغال في أية دقيقة (صمت) عندما يجوع الإنسان يدرك قيمة نبتة الحنظل في الصحراء (صمت) .

أحمد . م : القاتل يخنقني في مكان معين (صمت) يترصد ني .. و أنا يجب أن أنهي هذه الحرب .. لأعود إلى مجلسي و جاريتي ..

السيد . م : طردوني لأني أفصحت ، قلت لهم .. الجيفة تزداد انتفاخا .. و أنا لا أحمل أنف كلب سلوقي ..

أحمد . م : (يوجه كلامه إلى السيد . م .) من تكون ؟ هذه الصحراء امتلأت بالصعاليك .. أنت سارق خيول القبيلة ..

السيد . م : (بغير مبالاة) انتهت الطريق الواحد ..

و هذه الكأس لم تعد تعرفني ..

آه ما أشقاني ..

ص . الخمارة : (يناديه فينزل سيفه) لم تشرب كأسك بعد يا أحمد ؟

أحمد . م : (صارخا) الثأر .... الثأر .....

ص . الخمارة : دورك في هذه المسرحية مشتعل يا أحمد ..

الرجل . غ : المشهد غريب ..

(المرأة المنسية تضحك بهستيريا)

أحمد . م : إني أسمع صوتها يحز أوداجي ..

(صمت) هذه المرأة أحرقت دمي .. أريد رأسها معلقا ...

الرجل . م : انه يطلب رأسا أدمية ..

السيد . م : (بغير مبالاة) أخبار اليوم تقول مات في الجانبين العديد من الأطفال..

احمد . م : (يقترب من السيد . م) تتحدث عن معركة يا رجل ؟ (صمت) هل بلغك صرير سيوف قبيلة ثغلب في نحور قبيلة بكر ؟ (صمت) أتحفظ بعض أشعاري ؟

السيد . م : (يتابع بغير مبالاة) احترقت كل أشجار الحدائق .. و لم تعد النافورة الخضراء ترش الموسيقى و الماء الملون .. و مات سمك البركة العجيب..

احمد . م : انتهت المعركة .. هذا الخراب فداء كليب ..

(ينادي ص. الخمارة بغير مبالاة) يا غلام .. هات خمرتي .. ودع

جاريتك الرومية تغني أغنية لا أفهمها (صمت) خمر بني قريظة لذيذ (يجول بينهم متبخترا) اشربوا يا ضيوفي .. سأسمعكم قصيدة جديدة في انهزام الخصم (شبه سكران يرفع سيفه) استرح في قبرك يا كليب .. إسترح .. آه نحن ما نزال في بداية الليل ..

السيد . م : العدو واحد كهذه السوق الذي لا يشبع تجاره من الزيادة في أثمان الخبز ..

أحمد . م : إشربوا .. نحن في بداية الليل .. تعالوا نتحاكى أخبار رحلة الشتاء و الصيف

السيد . م : كل الشوارع محاصرة ..

أحمد . م : لا أريد خمرة خرساء يا غلام ..

الرجل . غ : خمارتك غريبة ..

ص . الخمارة : لا شئ يدعو إلى الغرابة يا سيدي .. تستطيع أن تعترف لهم متى شئت .. هنا نتبادل الأدوار ..

المـــــرأة : (تردد بصوت حزين).

كان يردد بصوت هامــــــس.

المنجل لا يصدأ في الحصـــاد.

و هذا الوشم عهد في ساعدي..

سنبلة .. و شمس ضاحكـــة.

من يملا مطامرنـــــــــا.

و يجمع حزم القمـــــــح.

من يحفر البئر و يسقــــــي.

فجرا ظامئا في عيون مرمـــدة ؟

من ينضج في الساعد الموشوم.

يقظة القبضة الضاربـــــة ؟

لا شئ يوقـــف السيـــــل.

إذا جرف الجبل إلى الهاوية.
لا شئ يوقف العاصفـــة.
إذا اقتلعت كل الجـــذور.
كان يردد بصوت هامــس.
المنجل لا يصدأ في الحصاد القادم.

أحمد . م : يا غلام .. اسأل زبناء الخمارة من يحمل خبرا طريفا عن جيش الروم القادم و ارتفاع سعر الدولار ..

السيد . م : مجلس الأمن يفشل .. في الاتفاق عن إدانة العدو .. الحق للفيتو .. الحق للكبار

احمد . م : آه لا احد .. (صمت) هذه الليلة باردة .. و أنا أريد أن أنسى .. (صمت) خمرتك مغشوشة ..

المرأة . م : (في وضعها الأول تردد بصوت خزين)
ردموا البئر الــــذي حفـــــــــر.
قتلوا الخصوبــة في التـــــــــراب.
و اغتالوا الطفل في الرحم قبل الولادة.
هــــذه المدينـــــة موبـــــــوءة.
طاعـــون أفـــرخ في العيـــــون.
كالعادة يخصون الطفل فوق العتبـــة.
كالعادة يغسلـــــون مخـــــــه ..
بالنفط و الزيـــت و الفوسفـــــاط.
هذه المدينة موبـــوءة موبـــــوءة.
طاعــــون أفــرخ في العيـــــون.

السيد . م : الرصاص القاتل .. لا انتهاء له .. حصار المدينة سيطول .. كالعادة مجلس الأمن .. و لجنة المساعي الحميدة تفشل في الاتفاق عن إدانة العدو ..

أحمد . م : يا غلام .. ابلغ الناس .. أني أحتفل .. اصرف كل الناس الزبناء ..
عن الخمارة .. أشتهي ليلة تختصر ما مضى من ليالي الحقد .. (صمت)
لا أريد وجها يعرفني .. من يعرفني فهو ضدي ..
(يقترب من المرأة المنسية التي تشخص الآن دور الجارية)
كيف حصلت على هذه الجارية أيها النخاس ..
(يقترب من الرجل الغريب) أطلق لسانك ..
ص . الخمارة : اختر دورك .. يا سيدي .. تعلم الليلة فن التشخيص .. اعترف
فالمسرح اعتراف..
الرجل . غ : الأدوار متشابهة ..
ص . الخمارة : هذا دورك يا سيدي ..
احمد . م : (يتابع الحديث إليه بغير مبالاة) لماذا سكتت يا نخاس و انطويت عن
سرك ؟ .. و في الصمت موتي .. هل أبلغوك بأني أحتفل ؟ بالرغم من
هذا الخراب و الدمار ؟ (يقترب من المرأة / الجارية).
آه كم أنت جميلة .. اذكر محاسنها يا نخاس ..
الرجل . غ : (يشخص دور النخاس واقفا بجانب الجارية) نعم .. نعم يا مولاي ..
أمامك موهبة و فن و جمال .. معجزة و آية .. إنها تحفظ لسان العرب و
العجم .. و تنظم الشعر و تغنيه.. تبكي الأطلال و الأمجاد .. وتهتف
بشعر الحماسة (صمت) .. تضرب على كل الآلات .. لا يفوتها نغم..
و لا حركة و تر .. أنظر يا مولاي .. جمعت بين جمال حلب و يافا
ودمشق و البصرة و فاس و حضرموت ..
احمد . م : رائع .. رائع .. كم تطلب في بضاعتك يا رجل ؟
الرجل . غ : اطلب يا سيدي ..
أحمد . م : من يبيع لا يتردد .. كم تطلب يا رجل ؟
الرجل . غ : أسرار مؤتمر القمة الأخيرة يا سيدي .. و نية المجتمعين من العرب في
محاربة العدو المشترك ..

أحمد . م : (ضاحكا) رخيصة .. كل هذا الجمال و الروعة تبيعه بأثمان تافهة (صمت) أكتب .. أو صور بأي آلة شئت (النخاس يخرج آلة فوتوغراف و قلم و ورقة) هذه وثائقنا .. (صمت) نحن اجتمعنا من أجل أن نقول في سوق عكاظ للعرب لا تحاربوا في الأشهر الحرم ..

الرجل . غ : أبقاك الله .. ما أكرمك يا مولاي ..

أحمد . م : أنا لا أكذب في كرمي .. تستطيع أيها النخاس الغريب أن تنقل عني بسرية .. و من مصدر موثوق به أنا .. اتفقنا أن نزيد في ميزانية الدعاية للأشهر الحرم ..

الرجل . غ : أبقاك الله يا سيدي ما أكرمك ..(أحمد يشير إليه بالانصراف ويقترب من الجارية ..)

أحمد . م : و الآن لم يبق إلا أن ننسى محنة الضمير .. يا جارية .. دعيني أكفر عن ذنبي .. فأنا فارغ .. فارغ .. فاملئيني .. (صمت) ما اسمك يا جارية ؟

المـرأة . م : اسمي شمس يا مولاي ..

أحمد . م : ماذا تقولين ؟ هذا اسم محرق ؟

المـرأة . م : لم أفعل شيئا يغضبك يا مولاي ..

أحمد . م : (لنفسه) هذا الاسم فاضح و قاتل ..
أين ولدت يا جارية ؟

المـرأة . م: لا أعرف يا مولاي عن نفسي إلا ما سمعت من بائعي .. (صمت) ولدت في القدس و ترعرعت في أكثر من مدينة ..

أحمـد . م: أواه .. لقد اشتريت فضيحتي .. (صمت) ابتعدي عني .. أريد جارية باردة

المـرأة . م : هل أغني لك !؟ أي التواشيح تحب يا مولاي ؟

أحمد. م : أواه.. اشتريت فضيحتي.. (لنفسه) كيف أقنعها بأني شيخ قبيلة و ..

المـرأة . م : مولاي عندي ما يريحك و يشفي غليلك .. و ينسيك ..

أحمد . م : يا غلام .. أريد ماء .. من أين يأتي هذا الصهد .. ابتعدي يا جارية .. لاأطيق هذه الشمس ..(صمت) يا غلام يا غلام ..أين ذهب النخاس الغريب ؟ أريده حالا ..

الــرجل .غ : أنا بالباب انتظر .. هل ترغب في أخت الجارية !!

احمــد . م : خذها يا رجل و أعطني أسرار عشيرتي ..

الرجــل .غ : مولاي أبقاك الله .. بعتها مثلما بعتك .. فالسوق مفتوح ..

احمــد . م : اقترب أيها النخاس الغريب .. (صمت) هل تعرف معني أن أخون ؟

(يقرأ الخبر بصوت مرتفع) .

السيد . م : العدو يخترق الهدنة .. و يكتسح أراضي جديدة ..

احمد . م : ماذا أسمع ؟ من اخبره أننا في الأشهر الحرم ؟ هذه أسراري .. و أنا اعرفها ..(صمت) شمسك فضحتني ..آه أين اذهب ؟

الرجـل .غ : كم تدفع يا مولاي .. فبراءتك عندي ؟

احمد . م : اقترب .. أعطيك ما تريد ..

الرجـل .غ : هذه بضاعة جديدة .. إشتر يا مولاي .. أنت الآن برئ ؟

احمد . م : لا أصدق .. قبل قليل كنت الخائن ..

الرجـل .غ : أنت الآن برئ .. فاشتر مني براءتك ..بعد قليل تقرأ بصوت مرتفع أسباب هجوم العدو و سيقول التحليل أن هناك جهات غربية كشفت للعدو أو باعت له أسباب الهجوم عنكم ..

احمد . م : تكلم ماذا سأقرأ ؟

الـرجل .غ : اقرأ جريدتك .. هناك عنوان كبير جدا يقول .. جاء هجوم العدو بسبب نوم حراس الحدود ..

احمــد . م : لا أصدق .. لا أصدق .. أنا الآن برئ في نظر العشيرة ؟ أشكرك .. لقد نجوت من تهمة الخيانة (صمت) يا غلام .. افتح أبواب الخمارة.. فأنا مضيف كل الزبناء .. شرقيين و غربيين (صمت) (بسكر زائد) اشربوا وارقصوا فقد نجوت ..الهجوم تم بسبب نوم الحراس ..(ضاحكا

بهستيريا تم يستلقي فوق كرسي و يغفو) .

السيـــد . م : (يتقدم يخاطب الجمهور) .

أيها الناس احذروا جرائد الصباح فحقيقة ما يجري أكبر من العناوين المطروحة

أيها الناس اغسلوا قبل قراءة الخبر كل الحروف المتفائلة

كل الحروف التي تصف اجتماع الإخوة الأخير بالنفط و الحامض الحارق

احرقوهـــا حتـــــى تبـــرأ مـــن طاعــــون الخيـــانـــــــة

أيهـــا النـــــاس اعترفــــــوا للكـــــأس و الليــــــــل

أنـــكــــــــم فاشـــلــــون فـــي الإشـــــــــــــارة

فـــاشـــلــــــون فــــــي الصمـــــــــــــــــت

فاشلـــــــون فــــــي الـــــكــــــــــــــلام

وأنكم تحملـــون لسانـــــا مثقـــوبـــا بــــلا شفتــــيـــــن

وأنكـــــم تحملــــــون وجهـــــا بـــــلا عـــــينـــيــــن

أيها الناس اعترفوا للكأس و الليــل أنكـــم فاشلــــون مثلــــي

في انتظار الفعـــــل الـــــذي يأتـــــي و لا يـــــــأتــــي

احمـد . م : (يستيقظ من غفوته صارخا)

أين أنا .. أريد وجهي .. من يزيل هذا القناع ..

أيها الناس .. ساعدوني لا أريد هذا الوجه الملعون

(يكسر السيف الخشبي و يخرج يردد الجملة الأخيرة ..)

ستـــار

الخروج من معرة النعمان

كلمة

من السهل ...

أن تقول وتكتب كل شيء، تتخيله ولكن من الصعب...

أن تشخص ذلك.. في المسرح !؟!

المسكيني الصغير

شخصيات النص :

1 ـ ابن القارح
2 ـ أبو العلاء المعري
3 ـ العميد
4 ـ مساعد العميد
5 ـ مسؤول الإحصاء
6 ـ الخليفة المنصور بالله
7 ـ الحاجب
8 ـ منجم الخلافة
9 ـ رجل الإشهار
10 ـ شهبندر التجار
11 ـ أبو المعارف
12 ـ الفقيه أبو الجوزاء
13 ـ الفقيه أبو النور
14 ـ أبو المكارم
15 ـ المرأة
16 ـ الشاب
17 ـ يعقوب
18 ـ الجلاد
19 ـ شخصيات أخرى

الدعوة الى الخروج

(بقايا لبيت مهدم.. أبو العلاء المعري، يتكئ على بقايا جدار مهدم.. يبدو عكازه بعيدا منه.. أوراق مبعثرة.. جرة ماء.. حصير.. سجادة..)

ابن القارح : (يقترب من أبي العلاء المعري)، أخرج يا شيخنا من محبسك المزمن.

أبو العلاء المعري : أأخرج من بيتي يا ابن القارح !؟

ابن القارح : تغير الزمان والمكان يا شيخ المعرة... ولم تعد السماء تحمل نجومها البراقة.. آه.. ماذا أقول لك، أنا العائد المحموم إلى أرض يغتالها الغرباء صباح مساء (صمت) ليتك تقتنع يا شيخي.

أبو العلاء المعري : تعود من رحلتك ناقما يا ابن القارح.. وقد منحتك أمس جواز مرور إلى الجنة والنار.

ابن القارح : خيالك المهووس أتعبني، وسخطك الدفين فضحني أمامهم، (صمت) صدقني يا شيخ المعرة.. الناس غير الناس، خارج محبسك.

أبو العلاء المعري : ها أنت تعود إلى عادة الشعراء الناقمين، تهرب من مجلس الفضيلة، وقد حظيت بمقابلة نبغاء الأمة.

ابن القارح : (ضاحكا) أغرقتني في بحور ملهاتك، أبحث عن جذر الحروف المهملة، والأفعال والأسماء المسكونة (صمت) إني أستيقظ خارج أمة الشعر المهزومة، فأرى بأم يعيني ملاهي العجب العجاب (صمت) ورعية مغلوبة، مقلوبة الأنساب والأصول والفروع، يركبها لسان العجمة، يسوقها نخاسون باسم العمامة والعقال، واللحية.. باسم الشرائع والدساتير الممنوحة في الظلمة، (صمت) دعني أنتفض مثل

البركان عاريا في خيمة الرمل والمؤؤودة، باسم الشرف والدم (صمت) إني أكفر بالعروض والقافية الملعونة.. هيا يا شيخ المعرة.. أنظر وتأمل مداد أمة الشعر والبلاغة الذي تحول إلى دم نازف.. فقد تعيد كتابة ما كتبت، وتكفر بالذي صنعت وأجزت، وترجع عن أحكامك المسبقة، نادما في حق المارقين الذين أدخلتهم عمدا إلى الجحيم (صمت) سوف تضحك كثيرا، وتبكي كثيرا من نفسك المستهترة.. وأنت تشاهد بعيني هاتين، وبعيون رعية مصلوبة.. كيف انقلب سوق عكاظ إلى سوق للنخاسة، وبورصة للمزاد العلني.. وكيف أجاز خليفة المؤمنين للسماسرة والخدم، ممارسة الفتاوي، والقضاء في الناس (صمت) ملهاة الشعر، والفصاحة، والبيان، يشخص أدوارها اليوم ندماء الخليفة بالنيابة المطلقة (صمت) وأنت يا شيخ المعرة ما تزال بمحبسك تنضد الكلام، تناقش مصدر بعر الجمال، والنوق، ومن تراه هلهل الشعر قبل المهلهل في قواميس مهجورة.

أبو العلاء المعري : (منتفضا) لا أصدق يا ابن القارح، أتموت النخلة الباسقة في بغداد، ويجف ضرع الكرمة في تراب المعرة !؟ وتتلاشى أوراق زيتونة الشام !؟ لا لن ينضب نهر دجلة والفرات (صمت) إني أسمع صوت النيل وأم الربيع، وصوت أطفال أبرياء في رحاب القدس، يرتلون البسملة.. يلعنون الشيطان الرجيم (صمت) نعم... أنت... أشك أنك ما تزال تحمل ذاكرة رجل أودعته أمانة رؤاي... !!

ابن القارح : (يمد إليه عكازه) هذا عكازك يا شيخ المعرة، و أنا عيناك ، لم يبق إلا أن تلمس بأذنيك ما أبصره و أرنو إليه .

أبو العلاء المعري : امتلأت يا ابن القارح.

(تسمع طقطقة أحذية قادمة... مسؤول الإحصاء ومراقبة الأملاك المخزنية، مع عميد الشرطة، ومساعده مختلفين في اللباس والرتبة..)

مساعد العميد : (يدخل قبلهما منفعــلا.. يتفقد المكــان بحــذر، صفارته في فمــه، يلوح بعصاه، يصيح، ويصفر عند رؤية ابن القارح والمعري في لباسهما التاريخي).عصابة... عصابة متنكرة يا سيدي العميد !؟

العميد : (يدخـــل شاهرا مسدسه.. يتبعه مســؤول الإحصــاء ومراقبــة الأمــلاك المخزنية...) هيا كن حذرا... فتش المكان جيدا !؟

مساعد العميد : مكانكما... نعم (يتابع التفتيش والتصريح بالموجودات وبصــوت منغوم) حصير سيدي... جرة ماء فارغة، سيدي.. سجادة بالية، سيدي... كتب صفراء وأوراق مبعثرة سيدي... (صمت) المكان خال من السلاح، وأدوات الشغب سيدي.

العميد : حسنا آمرك بالشك في كل شيء..ربما كانا متنكــرين مطلوبين للشرطة الدولية، وللعدالة الوطنية... أوشريدين بلا عنوان... !!

مسؤول الإحصاء : أرى أنهمــا هاربان يا سيدي من دفع ضريبــة الدخل والسكن والنظافــة، (يفتح حقيبته يخرج كتابا). نعم.. في دفتر العقار، ومراقبة الشاغر والمسكون من أملاك المخزن المصنفة.. يعتبر هذا البيت خاليا من السكان.. ومرشح للهدف (صمت) نعم صاحبه مجهول الهوية، وبلا وارث معروف.. بقعته الخالية معروضة لمستثمر أجنبي صديق، لإقامة فندق ومرقص، وبار، من الدرجة الممتازة.

العميد : تري ماذا يفعلان هنا !؟

مسؤول الإحصاء : (بعد التحية) أحدهما ضرير يا سيدي العميد .!!

ابن القارح : أنا عيناه يا سادة.

العميد : (ضاحكا).. سوف تتعب عينيك كثيرا.

مساعد العميد : (يلوح بعصاه في وجه ابن القارح) لم لا تعترفا، تكلم أنت (لابن القارح) إعترف أنك واحد منهم... وأنك تستغل عاهة هذا الرجل في إخفاء حقيقتك المرة.

مسؤول الإحصاء : مثل هؤلاء يكشفون عورة الدولة للغرباء.

العميد : (صارخا..) التسول جريمة، تخدش سمعة الخليفة المنصور بالله، ويحجب عنا مداخيل السياح والأصدقاء.

مسؤول الأحصاء : أحسنت التقدير والتفكير، يا سيدي العميد.

ابن القارح : عفوك أيها السادة.. أنتـــم أمام شيخ المعرة.. سجين المحبسيـــن.. رجـــل أمضى ربع قرن، يكابد وحده، يتأمل كونا غامضا مضطرب الأركان.. عاش بعيدا عن جوقة المنافقين (صمت) أتجهلون مكانة الرجل إلى هذا الحد !؟!

العميد : بدأت تستجدي، وتتسول يا رجل، باسم التاريخ والتراث من غير إذن ولا ترخيص، من وزارة السياحة والاستثمار والخوصصة !؟

مسؤول الإحصاء : الكل محفوظ للدولة... أموات وأحياء، أغنياء وفقراء، لصوص وأجراء.

ابن القارح : (يتابع بغير مبالاة) ماذا تقولون، إذن.. عني إذا أفصحت، وبحت لكم بسري المكنون !؟

الجميع : سر !!؟

ابن القارح : أنا ابن القارح، أنا من حمل رسالته المشهورة.

مساعد العميد : (بعد التحية بالقدمين) يتحدث عن رسالة ملغومة يا سيدي !!

العميد : لا أصدق، ضرير يعارض المبصرين !!

ابن القارح : (حائرا) رسالة الغفـران يا سادة، أشهر من نار على علـــم، ألم تسمعـــوا برحلتي العجيبة إلى الجنة والنار !؟ (صمت) طوبى للمجازين التائبين من نبغاء الأمة، آه لو حظيت مثلهم بمقام في الجنة. (صمت) سوف تستغربون مثلي.. نعم بيت واحد من الشعر يغفر الذنوب ويضمن للنابغ منهم دخول الجنة !!

العميـــد : (ساخرا) أسمع حماقة !!

مساعد العميد : (بعد التحية بالمقدمين) سيدي العميد، عنصر جديد في النـــازلة، أنفي لم يخطئ.. هذان من جماعة محظورة..

مسؤول الإحصاء : لا تستغربوا من ثورة المعتزلة.

ابن القارح : صدقوني يا سادة، رأيت العجب العجاب... بعض في الجنة، وبعض في النار.

مساعد العميد : (بعد التحية بالقدمين) سيدي العميد.. أنا المساعد مسرور الخاضع، حفيد السياف الراكع.. قضيت في رتبة مساعد 15 سنة، في سلك الشرطة والتفتيش، قيل لي أني مرشح للرتبة الممتازة بالأقدمية والطاعة والخنوع، متزوج ولي أربعة أطفال وبنت واحدة. (صمت) أتعثر أحيانا في دفع إيجار بيتي، وإشباع بطني، (صمت) ألفت انتباهكم سيدي العميد... انطلاقا من إحساسي بالواجب وإخلاصي للخليفة.. نحن أمام مصدر للفتنة والكفر والزندقة.

ابن القارح : (يتابع) ليتكم مثلي رأيتم ما رأيت، حوريات يا سادة، أبكارا، وإوزا يستمتع بطعمه، ولحمه اللذيذ، ثم ينهض طائرا جامعا عظامه وريشه، يسعى كأن شيئا لم يكن... تصوروا يا سادة، معجزة الخلود (صمت) حياة بلا فناء، وأنهار خمر معتقة وحليب، وولدانا مخلدين... وقصورا من العقيق والمرجان.

العميد : (ساخرا) أحلام !!

مسؤول الإحصاء : دعاة وهم، وضلالة يا سيدي العميد.

مساعد العميد : (بعد التحية العسكرية بالقدمين) كراكيز مدسوسة ياسيدي العميد ... تحركها خيوط أعداء الخلافة من الخارج.

أبو العلاء المعري : (ينتفض غاضبا، يحرك عكازه، يمينا، ويسارا.. ثم يسقط من شدة التأثر) ماذا أسمع في مجلسي يا ابن القارح (صمت) هذه معصية كبرى (صمت) بيوت تنتهك، وتهم جاهزة على مقاييس الأبرياء (صمت) أكتب يا ابن القارح باسمي رسالة الندامة !؟ أنا أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي.. أشهد أني قد خرجت من عزلتي.. وأني أرى بعيون الرعية أشجارا تحترق بالبصرة، وطيورا شادية، تموت في مرابع الشام، وعواصم تدوسها أقدام اللصوص والقراصنة،

أكتب يا ابن القارح !؟ فقد أضلني الكلام والخيال.. ونسيت حقيقة الجحيم فوق الأرض، ومن يدير هذا الجحيم !؟ (صمت) أكتب يا ابن القارح عني !؟ من مات مظلوما جائعا عاريا في أمصار الخلافة فقد سرق لباسه، وطعامه، حاكم ظالم مستبد !؟ ورهط تابع مرتد، ها أنا يا ابن القارح.. أنهي درسي الطويل المزمن، وأختم حلمي المرعوب في معرة النعمان بالندامة.. أعزل تخونني أسماء السيوف، والرماح، والنبال، (صمت) فأمنحني عينيك لعلي أصنع فعلا يفعل فعل البارود، في هذا الزمان الموبوء.

(يسقط أرضا.. يهرع ابن القارح لمساعدته).

ابن القارح : الله.. أكبر.. الله أكبر... يا شيخ المعرة.

مساعد العميد : (بعد التحية العسكرية بالمقدمين) سيدي العميد، إنه يحرض الناس !!

مسؤول الإحصاء : يملي كعادته نموذجا من رسائله الملغومة.

أبو العلاء المعري : (صائحا) أين أنت يا ابن القارح.. امنحني عينيك !؟

ابن القارح : (يدنو من المعري) ضاع مني القرطاس والقلم يا شيخ المعرة، وتعدد المشهد في عيني.

مسؤول الإحصاء : سيدي العميد.. انتهت جولة التفتيش والمراقبة.. أكتب بالخط الأحمر العريض.. عثرنا عليهما متنكرين بحوزتهما رسائل ملغومة !

(يشير إلى مساعده، بإلقاء القبض عليهما..)

إظلام

دار الخلافة
ديوان الخليفة المنصور بالله

الحاجب : (بانحناء أمام الخليفة) هل تأذن يا مولاي، بدخول عميد الشرطة، والعسس، والعيون ؟

الخليفة المنصور بالله : (يداعب دمية في حجم قرد.. ويلهو كطفل..) ليتني أصدق حكاية الرجل العجيب.. (صمت) سأكون مسرورا لو أرضيت ندمائي في سهرة المساء.

(يشير بأصبعه بإدخال عميد الشرطة.. الحاجب يغيب ثم يدخل، يتقدم عميد الشرطة...)

العميد : (بانحناء.. يحمل ملفا ضخما..) أدامكم الله يا مولاي..

الخليفة المنصور بالله : (يتابع ملاعبة دميته) هيا.. افتح فمك جيدا.. أريد أن أسمع صوتك.. نعم أنت العميد المكلف بالمراقبة، والحراسة، والأمن، والبحث عن أشقياء الخلافة. حسنا ماذا تحمل إلي من أخبار منعشة..!؟ (صمت) حدثني إذن بتفصيل.. قل لي بماذا همست لكم عيوننا الجاحظة.. أين قبضتم عليه متلبسا.. هيا !؟

(ضاحكا بهستيريا)

العميد : (بانحناء..) مولاي.. كان المشتبه به، يدير شبكة متخصصة في إثارة النعرات بين الناس، يزرع الفتنة، والشكوك، في عقائد وأعراف الرعية.

الخليفة المنصور بالله : أريد نموذجا من سلاح هذا الرجل الغامض المدسوس.

العميد : (بانحناء..) ينتج يا مولاي، في الخفاء أشعارا ورسائل ملغومة.

الخليفة المنصور بالله : (ضاحكا) هو الآن في سجني (يصفق) قابع كالفأر، أتخيله مرعوبا يقشعر بدنه المغرور من رطوبة الجدران، (فرحا)

أستطيع أن أنام وأحلم يا دميتي (للحاجب) لا تنس يا حاجبي الذكي أن تسأل منجمي الفقيه، متى أخرج للقنص وفي أي ساعة محظوظة أطلق نبالي المسمومة، لا أحب أن أطلق كلابي الجارحة في يوم كوكبه منحوس. (يدنو من العميد) سأوصي بترقيتك إلى عميد العمداء (صمت) قل لي هل رأيت بأم عينيك أظافره الطويلة وملامحه، حين ينتفض ويكفر !؟ ويقرأ على الناس أشعاره الجاحدة !؟

العميد : مولاي جمعنا أخباره، وكل بصماته على الكتب والأوراق.

الخليفة المنصور بالله : آه.. ما أروع أن أكون خليفة هذه الرعية اللطيفة.. (منتفضا) أنا الخليفة.. يجب أن يعرف.. أني الخليفة هنا، ولا أحب هذا النوع من المزاح... (صارخا) أنا الخليفة !!

الحاجب : عاش الخليفة.

العميد : عاش مولانا الخليفة.

الخليفة المنصور بالله : (منتشيا.. وهو ينظر إلى مرآة صغيرة..) حسنا سأبارك عرس الحلفاء.(يتحدث إلى دميته..) إنهم يا دميتي ينظرون إلي بوجوه حليقة، وعيون زرقاء ساحرة، تشبه لون البحر.. (صمت).. من يمنحني الأمان والسكينة.. (صمت) إنها فرصة نادرة يا دميتي للسباحة في عينيك متى أشاء.

العميد : (يتابع) بعد البحث والتنقيب، يا مولاي، تبين لنا بمساعدة الحلفاء، أن الرجل الغامض، كان يضمر كراهية وعداء.

الخليفة المنصور بالله : (منتفضا) ماذا أسمع يا دميتي، أحس بدوار !؟!

العميد : (يتابع) كان يا مولاي، يدبر في السر أمورا مرفوضة.

الخليفة المنصور بالله : (يخاطب دميته) هل تسمعين يا دميتي العزيزة، ما أسمع !؟ (صمت) إنه رجل غير مهذب، (صمت) ربما كان يكره القطط ومداعبة البيغاوات الجميلة، (صمت) ويخشى مثلي ركوب الخيل.

الحاجب : كان يكره الكلاب السلوقية يا مولاي.

الخليفة المنصور بالله : (غاضبا) لا.. إنه يكرهني.
العميـــد : يقال يا مولاي، أنه محرض كبير في المنطقة.
الخليفة المنصور بالله : (للحاجب) لا أفهم قول صاحبك.. (العميد) تحاول أن تكون مخلصا..أمام دميتي.. (صمت) انتظر وسام ترقيتك يا عميدي العجيب.
العميـــد : (يتابع) مولاي، يقال أنـه أشاع في أتباعـه أفكارا حاقدة، ضـد خلفـاء مهازيل، تتحكم فيهم النسوة، والموالي الغرباء المخنثين.
الخليفة المنصور بالله : يا للمفاجأة !! ماذا أسمع يا حاجبي الوقـور.. هذه خيانة.. من تراه دخـل حمامي الخاص ونقل أخبار خروجي للقنص !؟ (لدميته) نعم... آوه... دميتي لا تتحمل الإهانة، (يداعبها) أعرف أنك لن تتحملي إهانتهم الرعناء (للعميد) أفصح، ماذا قال عن دميتي البريئة !؟
العميـــد : (مترددا) لم يبق من الخلفاء إلا أسماء وألقاب جوفاء، وعروش بلقاء.
الخليفة المنصور بالله : (صارخا..) أنا الخليفة.
العميـــد : أنت الخليفة يا مولاي..
الحاجب : عاش مولانا الخليفة.
العميـــد : (يردد بحماس) عاش مولانا الخليفة.
الحاجب : مولاي، ما تزال دمغة السلطان، تدمغ باسمك مدن الخلافة.
الخليفة المنصور بالله : لكنـي أسمع أصواتا غريبة، تتـردد فـي بغـداد والقاهـرة، ودمشـق، وحضرموت... هل تسمعون ما أسمع !؟
العميد، الحاجب : (معا) نسمع، ما يسمع مولانا الخليفة ونكره ما يكره، مولانا الخليفة.
الخليفة المنصور بالله : أنا لست أنتم أيها الأغبياء.. أنا الخليفة.
الحاجب والعميد : (معا) نحن الأغبياء... عاش مولانا الخليفة.
الخليفة المنصور بالله : (يقترب من الحاجـب.. يضع أذنه على صـدره) مـاذا يجري هنـاك يـا حاجبي الوقور، خلف أسوار المدينة !؟

الحاجـــب : أبواب المدينة مقفلة.

العميـــد : عيوننا في كل مكان.

الخليفة المنصور بالله : لماذا أسمعهم وحدي (صمت) اكتشف يا عميد الشرطة والعيون والعسس، ما أسمع.. فأنا أخشى الخفقان المهموم !؟

الحاجـــب : (يشعر بخوف ورعب) مولاي !!

الخليفة المنصور بالله : (ضاحكا) إني أسمع في صدرك حب الرعية !!

العميـــد : إنها يا مولاي خفقات القلوب، تدق بانتظام في صدور الرعية..!!

الخليفة المنصور بالله : (فرحا) أحسنت يا عميد الشرطة.. ماذا يقول هذا القلب الحالم المستـــور، عندما أغيب، وعندما أكون بين الحضور !؟ (صمت) آه.. لن أغفر لهم يا دميتي..

العميـــد : (يقدم بانحناء ملفه الضخم..) هذه نتائج البحـــث يا مـــولاي، بالصـــور، والأرقام والأسماء.

الخليفة المنصور بالله : (يتسلمه ويبدأ في رمي أوراقه واحدة.. واحدة) أنظري يادميتي لوائـــح الأعداء.. (صمت) لماذا لم يجربوا إرضاء، وإغراء الرجل الغاضب.. فقد يرق قلبه.. وتمتد يداه إلينا (صمت) قل له (للعميد) أصمت قليلا مثل الأبكم، سوف يمنحك مولاي إمارة مدينة النحاس !؟

العميـــد : حاولنا يا مولاي إغراءه.

الحاجـــب : الرجل عنيد يا مولاي.

العميـــد : منحناه إدارة بيت السكة والمال، فرفض.

الخليفة المنصور بالله : (غاضبا) عنيد.. عنيد.. يا دميتـــي، ويسره كلابـــي السلوقيـــة (صمت) مـــا أفظع هذا الرجل الغريب في دولتي.. إنه يثيرني، يخنقني صوته.. (صمت) هيا يا عميد شرطتي النبيه.. إغسل جماجم الرعية بكل أنواع الزيوت المستعملة.. لا أريد حرفا من حروفه وأقلامه النارية، يعلق ببال رعيتي الفاضلة.. أحرقوا أوراقه وأقلامه..

ضعوا عبر مداخل المدن وساحاتها المفتوحة نطعا يداعب الرؤوس الهائمة (ضاحكا بهستيريا) آه.. ما أروع المشهد..

الحاجب : مولاي، أرى أن تباركوا فتوى العلماء، ونصيحة الحلفاء.. حتى يقام فيه حد الكفر والزندقة.

الخليفة المنصور بالله : (يقفز من الفرحة) نعم الفكرة.. نعم الفكرة يا دميتي !!

العميد : مولاي.

الخليفة المنصور بالله :(يقاطعه) أقترح استبداله بأكلة القطط والكلاب السلوقية.. هيا.. (للحاجب..) أدخل منجم الخلافة ؟

(الحاجب يدخل منجم الخلافة)

منجم الخلافة : (خائفا بانحناء) الأمان، الأمان يا مولاي.

الخليفة المنصور بالله : (يتأمله.. ويلمس ثيابه..) هيا.. أتخشى سيفي الغائب !؟ وأنت تعلم أني لن أستله من غمده الصدئ، في وجه الأصدقاء.. ماذا رأيت، وباحت لك به النجوم، والكواكب والأجرام !؟

منجم الخليفة :(خائفا..) الأمان.. الأمان يا مولاي.. لن تسعفني العبارة.

الخليفة المنصور بالله : (يدنو منه) ماذا يجري في غيبك... لا تقل لي سأفقد كلابي السلوقية !؟

منجم الخلافة : كوكبك يا مولاي، خارج المدار، يبحث عن ضوئه البهي، غاضب كالبركان، يقذف رشه الأسود (صمت) لا تخرج للقنص يا مولاي، فحصانك سوف يكبو، وتصبح للوحوش فريسة.

الخليفة المنصور بالله : (غاضبا) أيها المنجم المنحوس.. تستحضر صوت عدوي في نبوءتك السوداء. (صمت) أواه يا دميتي، تخونني كواكب الغد، أنا الذي أحببت كلابي السلوقية.

منجم الخلافة : مولاي، في باب الحاصل والمحصول، من كتب التنجيم لخادمها المخدوم، السيد الرجيم، رأيت طائر الرعد الموعود، يبقر ناطحات سحاب، يعصر في الكؤوس عناقيد غضب من دخان ورماد.. مولاي.. سوف تشرب كأسك الأخيرة وحيدا مثل جمل أجرب.

الخليفة المنصور بالله : لا.. (يرمي دميته جانبا) أريد كوكب السعد.. (يعــود إلى احتضان دميته ويعانقها بشدة) أحضروا كوكب السعد..سوف تشربين معي كأسي الأخيرة آه.. أراه.. وأسمع صوته النبي.. يشق أسوار مدن الخلافة.. يغتال كلابي السلوقية، يمنعني من لحظة القنص.. آه.. أريد أن أصطاد، أرى صيدي مدرجا بالدماء هنا، وهناك، يملأ الصحراء (ضاحكا بهستيريا).. لا.. نعم أريد أن أصطاد..... لا.. نعم ...... لا.. !!

(يعانق دميته.. منكمشا.. خائفا.. من صوت يسمعه وحده).

إظلام

في مدينة من مدن الخلافة

(يبدو في الخلف.. علامات إشهار مرفوعة.. ملونة ومضيئة بأسماء وألقاب الشعراء، والفقهاء المشهورين.. محمولة على الواجهات..)

أبو العلاء المعري : (يحرك عكازه.. خلف ابن القارح..) ماذا رأيت يا ابن القارح.. أين نحـــن في هذه المنطقة !؟

ابن القارح : رفضوا الاعتراف بنا يا شيخ المعرة (صمت) نحن الآن بعض من تاريخ بلا هوية، تائهين في أزقة، وشوارع، الخلافة.

أبو العلاء المعري : أتخشى الوحدة يا ابن القارح في مـــدارك المجهول !؟ (صمت) هذا أنـت قائم موجود.. اختر لنفسك قدوة لنفسك الواجفة (صمت).. إنس قصائدك المقنعة، في المدح والهجاء (صمت) إنتم إلى عمل تصنعه الآن في الطريق مع الناس، (صمت) سوف تجد شيئا يقيك من الحيرة والضلال.

ابن القارح : (يتابع) الناس في هذه المدينة علامات إشهار، ومكاتب سمسرة، وبضائـع مهربة، توزع في الليل والنهار، وقوادون محترفون، يبيعون في المزاد أصول قبائلهم للعجم الحاقدين.

أبو العلاء المعري : (يحاول الاقتراب من ابن القارح..) ما تزال شاعرا يا ابن القارح، يسكـن جوفك طعام الولاة الخانعين (صمت) دعني أنظر بعينيك، أمتص وجه المدينة (صمت) أشتاق إلى اللون، حين يذوب في الكلام والعيون.. صدقني يا ابن القارح، سوف تسقط مدن الخلافة ذات يوم، ويشتعل الغبار تحت سنابك الفرسان والخيول.

ابن القارح : (يتابع منفعـلا) أرى فـي الشـــرق والغرب، وعبـر عــواصم الخلافـــة المهمومة، شركات يديرها أحفاد الشعراء والفقهاء، وبورصات

وأبناكا منتصبة كالمقاصل، تستبيح أرزاق الرعية.. آه ليتني أستطيع وصف المشهد.

أبو العلاء المعري : (يردد بدون مبالاة)

خرجت إلى ذي الدار كرها ورحتلـــــي،
إلى غيرها بالرغـــم والله شاهـــــــد،
فهـل أنا فيمـــا بيـن دينـــك مجبـــر،
عدمتـــك يا دنيـا فأهلـــك أجمعـــوا.
على الجهـــل طاغ مسلـــم ومعاهــد،

ابن القارح :ها أنت ترحل مرغما خـــارج بيتك ومجلســـك يا شيخ المعرة.. فقهاء الأمة، أصدروا في حقك فتوى الطرد والنسيان والملاحقة.

أبو العلاء المعري : طوبـــى للمطرودين من ملتهـــم يا ابن القارح.. فقد أجـــازوني هذه المـــرة جهرا، وقد كنت وحدي أحترق في السر بنار السؤال والجواب، قل لي ماذا رأيت بصحبتي في هذه الطريق !؟!

ابن القارح : (بدون مبالاة) سخرت أمس مني، وتسخر مني اليوم.

أبو العلاء المعري : (يتابع) اليوم تشرح بالجهر، وبكل الأصـــوات واللغات للنـاس، معنى أن تكون فتيلة حبلى بالضوء والنور لكل القناديل، والفوانس المنتظرة.

ابن القارح : انتهت مهمتي يا شيـــخ المعرة، لم أعـــد رسولك الموعود بجنـــة الخيال.. أيقظني واقع هذه المدينة.

أبو العلاء المعري : (ساخرا) أتفشل يا ابن القارح في اقتناص توبة التائب المأجور !؟ وأنـــت الذي أعليت شأن الجلاد والسلطان في أشعارك الفاسدة... لم لا تندم مرة واحدة!؟!

(يردد شعره هامسا)

تستروا بأمـــور في ديانتهـــــم.
وإنما دينهم ديـــن الزناديــــــق.

نكذب العقل في تصديق كاذبهم.
والعقل أولى بإكرام وتصديـــق.

ابن القارح : أنت نادم يا شيخ المعرة !؟

أبو العلاء المعري : سأصنع من ندمي رعدا وعواصف.. وبحـرا هائجا يطفئ غضب المنابر المنسية.. (صمت) انتبه، أسمع طقطقة أحذية قادمة !؟

ابن القارح : تتخيل كعادتك يا شيخ المعرة !؟

أبو العلاء المعري : (يصيخ السمع.. ويتتبع مصدر الصـوت..) نعـال ترتج.. وتترنـح في الطريق يا ابن القارح تسحق الزيتون والنخيل، تنشر الوباء والمجاعة.

ابن القارح : لا.. لن أصدق.. خيالك المهـووس يا شيـخ المعرة.. لن أنقل عنـك أيـة رسالة.

أبو العلاء المعري : (يحاول الاقتراب منه) أنا مغروس في تراب نفسي.. أينعني الصحو تمرا فوق عراجين نخيل البصرة الباسقة..(صمت) أحس بنبض القول الفاعل، يورق ويخضر في لساني... لماذا تختفي هذه الأصوات القادمة !؟

ابن القارح : أنت خارج يا شيخ المعـرة.. عن مجالس دمشـــق، وبغداد، والقيروان.. خارج.. خارج.

أبو العلاء المعري : لا.. أنا لسانهـم.. أنا الحافظ المحفـوظ.. دفعت ثمن وقايتهم من العجمة.. من أجل معرة فصيحة اللسان والبيان.

ابن القارح : (ضاحكا..) أنسيت من تكون في ملفات الشرطة والمباحث المدسوسـة !؟

(صمت) ليتني أقنعك بحجة النسيان، وأنت المصيب في حكمتك.

(يردد شعرا)

وجدت الناس في هرج ومرج.
عراة بين معتزل ومرجـــى.
شان قلوبهم عزف ونـــزق.
وأصحاب الأمور جباة خرج.

أبو العلاء المعري : تذكرني بنفسي الحائرة.

ابن القارح : تجاوزت في القــول حال الحـــال.. وركبـــت مجاز الحـــروف، والكلمة، والمحال.. لم تقنعك في الأرض عقيدة الناس (صمت) ماذا كنت تريد، وقد شربت كأس عزلتك حتى الثمالة !؟ (صمت) سوف تغير جلدك، وأنت تري بعيني أناسا من قومك يلبسون العجمة تاجا ودمالج، وأقراطا ترن في أعراسهم الصاخبة (صمت) يقدمون كل يوم عفتهم قربانا دامع العيون يتبرؤون من قاموسك الأصفر.

أبو العلاء المعري : (يردد شاردا)

أراني في الثلاثة من سجونـــــي

فلا تسأل عن الخبر النبيـــــت

لفقدي ناظري ولزومي بيتـــــي

ولون النفس في الجسد الخبيــث

ابن القارح : لن يقبلوا عذرك وزهدك، يا شيخ المعرة.

أبو العلاء المعري : (ينتفض.. يحرك عكازه بالهواء..) الصـــوت !!؟ الصوت ياابـن القارح يملأني، يكبر في مسامعي.. يمد راحته إلي.. (صمت) كأنه غريق... لا تغادر المكان.. نستطيع معا إنقاذ الصوت البريء من تحت نعالهم.. لعله صوت طفل في رحم امرأة من يافا من.. جنين.

ابن القارح : لماذا تمنــح لنفسك حق الخيال.. أنت مطرود ومرفوض يا شيخ المعرة.. أرجوك، دعني أبحث عن مخرج في هذه المدينة الموبوءة.

أبو العلاء المعري : (يتابع بغير مبالاة) أسمعه يا ابن القارح. صافيا.. يناجي نجمتها القادمـة، يحمل علامة الطفل الموعود.

ابن القارح : لن تجديه دروسك، في معرفة أصل العلة، والمعلول في الفعل والجملة.

أبو العلاء المعري : (يندفع باحثا) الصوت يا ابن القارح، يهزنـــي.. كما الريح تهز أغصـــان شجرة في الطريق.

ابن القارح : لن تصمد طويلا شجرة يابسة (صمت) أنصحك بالخروج.
أبو العلاء المعري : لا لن أخرج من ذاتي.
ابن القارح : كيف أقنعك برارة المشهد، يا شيخ المعرة.. وأنت ترى وتشاهد بعيني!؟
أبو العلاء المعري : سأكشف وجه المعنى المطلوب للناس، أفضح مكامن الكلام المحظور في دروسي القادمة (صمت) أمنح للصوت الجديد، حق الاختيار والرفض.
ابن القارح : ها أنت توجه رسالتك الملغومة.
أبو العلاء المعري : أفكر في تخريب ما بنيت فوق الرمل والماء.
ابن القارح :. لن أكون شاهد عصرك.
أبو العلاء المعري : (يحاول الاقتراب منه) انس أنك عشت وهما، ورأيت بعيني الغائبة (صمت) أنت الآن من طينة أخرى تختار وترفض.. تؤسس للحروف معاني جديدة.
ابن القارح : ليس من حقك أن تختار وترفض يا شيخ المعرة.. فقد وقعت لهم كل الأوراق.. ورضيت بتغيير الاسم والهوية والقبيلة (صمت) أنت الآن قابع في فخ عقالك..آه..أحس أني خدعت في انتمائي إليك (صمت) من أين لي أن أجد أرضا تقبلني أترا ماشيا في الجبهة واللسان !؟
أبو العلاء المعري : أرفض يا ابن القارح !؟
ابن القارح : (ساخرا) باعوا حصتك في الماء، والشمس، والتراب... باعوا صورتك للعجم والقراصنة (صمت).
أفرغوا ثمن الخيانة اللذيذة في أشداقهم، وتحت سراويلهم الفضفاضة، وناموا، يحملون بالزيادة في أسعار بورصة النفط والغاز (صمت).. أنت مطلوب للردع، والعقاب يا شيخ المعرة.. مطلوب للحساب.
أبو العلاء المعري : (يشد رأسه) يستبد بي الصوت يا ابن القارح.. قل لي ماذا رأيت حولك وأمامك (صمت). أنا في مخاضي النازف.. كتلة من

الفكر الغاضب.. كتلة من القول النابض.. أراها تتشكل بين راحتي بارودا، يغزو بطون الصحارى.. وفكرة في حجم الشمس، تحرر الموؤودة، وجباها معروفة، وسواعد مغلولة.

ابن القارح : ليتك تصمت يا شيخ المعرة.. حتى نكمل انسحابنا من ربع القبيلة المهزومة.

أبو العلاء المعري : الصوت أكبر، من الصمت.. أكبر مني.. لن أغادر سحنة القمح والرمل.. أنا بعض من هذه الأرض، يا ابن القارح.

ابن القارح : تتكلم في المحظور، يا شيخ المعرة.

(صوت صفارات.. إنذار.. صوت من الخارج.. تتبعه دقات الطبل ونفخ في البوق).

الصوت : (من الخارج)

أيها الناس.. اسمعوا وعوا باسم سلطان الأمة. وباسم إمام الأئمة.. صلاتكم باطلة.. وصومكم لا يجوز. إن خالفتم مضمون الفتوى.. في حق الرجل المطلوب، للحد والنقمة.

(يختفي الصوت)

ابن القارح : إنذار مشؤوم.

أبو العلاء المعري : (يتابع بغير مبالاة) أنا في المعرة.. وفي دمي تخضر المعرة وتورق، أشتم وردها اليانع، وأتخيل راحة صبية، تخضبها حناء فاس العالمة.

ابن القارح : كأني أسمع شعرا رقيقا، ينساب من شفتي رجل زاهد، لا أصدق!!

أبو العلاء المعري : ألم تدعوني إلى الخروج.. فلم تغلق الأبواب في وجهي!؟ (صمت) خرجت لأدخل اليوم، حاملا سيفي الذي لا يصدأ. (صمت) ليتهم قرؤوا بالجهر ألواحي.. وانتصروا لهذا الصوت المفرد.

ابن القارح : أنت متهم بالزندقة.. بالتناقض.. بالتجديف (صمت) ليتك تخرج سالما.

فقد رصدوا جائزة كبرى، لطيورك الجارحة..

أبو العلاء المعري : (منتفضا) أنا في المعرة، وفي دم المعرة.. تخضر وتورق.

(يدخل رجل الإشهار بزي غريب، محملا بالملصقات التي تحمل صورة الرجل المطلوب حيا أو ميتا... يشرع في تعليقها..)

رجل الإشهار : (يفاجئه وجودهما)... هيا يا ســـادة.. أيقظوا كل الحواس فيكم.. (يتابع تعليق الصور في أماكن متفرقة) إمسحوا عيونكم من بقايا الرمد والنوم البليد.. من يحالفه الحظ... يربح السعادة... نعم، الجائزة مغرية. طويلة عريضة (ضاحكا) تمنيت لو أني أعرف فجأة الرجل المطلوب... سوف أرضي حلفاء السلطان، وأحد من هجمة الإرهاب والجريمة المنظمة.. هكذا يصرحون.. (صمت) أسأل نفسي مثلكم.. ماذا أعمل بأموال طائلة تفوق خيالي المسكين !؟ إعذروني، فقد تمنيت أن أشبع أولا.. وأكل خبزا رطبا.. وأكسو جلدي.. وألبس حذاء غاليا في السوق.. (صمت) عانيت كثيرا يا سادة، قبلما أحصل على مهنة الفضح والإشهار.. إنها تشبه مهنة جلاد مكروه.. لكني ماذا أفعل في هذه المدينة ؟

أبو العلاء المعري : (بدون مبالاة) لن تشبع يا رجل.

رجل الإشهار : دلني عليه.. أعدك، سأشبع حتى التخمة.

أبو العلاء المعري : (ساخرا) لن تستطيع يا رجل.. إنه صوت يختصر كل الأصـــوات.. أنت واحد منه وفيه (صمت) لماذا لا تصرخ فقد تكتشفه يوما منتصبا في عينيك، وفي ساعديك، ينتظر بداية ضغط الزر، ورمي الحجارة.

رجل الإشهار : (يتأمل صورة الرجل المطلوب..) كلما نظـــرت إلى ملامـــح هذا الرجل، أحس أني قريب من مخبئه.

أبو العلاء المعري : قريب من نفسك يا رجل.

رجل الإشهار : (يدنو من المعري) ماذا أسمع.. كأني بك تعرفه، أو قرأت عنه.

أبو العلاء المعري : أعرفك أنت.. أسمع صوته فيك.

رجل الإشهار : (مندهشا.. لابن القارح) هذا الرجل بصيرته قوية.. لماذا لا يقـــدم خبرته لشرطة الخليفة والبيت الأبيض !؟

ابن القارح : يتخيــل أحيانا يا سيدي أشيــاء كثيرة.. لكنه لا ينفذ، يتناســى في الصبـاح أحلامه.

رجل الإشهار : هيا يا سادة.. أيقظوا كل الحواس.. امسحوا عيونكم من بقايا الرمد والنـوم البليد (صمت) الجائزة مغرية، لاتنسوا قراءة شروط الفوز والفائز ؟

أبو العلاء المعري : (ساخرا) الفائز !!

رجل الإشهار : نعـم.. صدقني يا سيدي.. الفائز المحظوظ، ينقل جوا إلى البيت الأبيض.. ويستقبل بحفاوة، من رجال الفن، والمال والسياسة.

(ينسحب رجل الإشهار..)

ابن القارح : لم يبق إلا أن نسرع في المشي.

(يقترب من صورة الرجل المطلوب)

أبو العلاء المعري : (يتحسس وجوده..) ماذا رأيت !؟

ابن القـــارح : في الصورة المعلنة.. يشهر الرجل المطلوب سلاحه.

أبو العلاء المعري : (منشرحا) بدأت القبيلة تقرأ بعض ألواحي المهجورة.. تفسر للنـاس معنى أن ترفض وأن تختار.

(يدخل شهبندر التجار، يحمل حقيبة يدوية..)

شهبندر التجار : غرباء في طريقي.. (يقترب منهما..) تشاركان في البحث عنه!؟

ابن القارح : (بدون مبالاة) قبل قليل علقوا صورة الرجل المطلوب (صمت) كما تـرى يا سيدي. وعدوا المخبر بجائزة مغرية.

شهبندر التجار : آه أقدم نفسي.. أنا شهبندر التجار هذه المنطقة، وأمينهم المختار (صمت) ملامحكما ليست غريبة.. نعم.. تستطيعان الاستفادة من نصائحي في البيع والشراء (صمت) أي نوع من التجارة تمتهنان !؟.. (صمت) أنا من يملك مخازن لكل السلع والبضائع المشهورة، والوكيل

الناطق المفوض (صمت) كما تريان من أجل حماية السوق والتجار..
أحمل حصة الحماية.. للقبض عليه.

ابن القارح : من يكون هذا الرجل الغامض المخيف في الصورة !؟

شهبندر التجار : رجل ليس كباقي الرجال (صمت) يتعدد في الزمان والمكان،
ينتشر في العيون كالرمد.. يختار سلاحه الغريب.

أبو العلاء المعري : (صارخا) أين أنت يا ابن القارح !؟ أحس أن المعرة تبيع
أطفالها.. تغتال طيورها في وضح النهار..

شهبندر التجار : (يتابع) من أجل حماية السوق.. أصدرنا في حقه ألف فتوى
رداءة.

أبو العلاء المعري : أين أنت يا ابن القارح ؟

شهبندر التجار : ما زلت أنتظر.. أي نوع من البضاعة تحملان.. !؟ قطع
غيار،، أم توكيلا رسميا من أصدقائنا في المنطقة !؟

ابن القارح : نخرج، لكي نختار بضاعتنا الغريبة.

شهبندر التجار : لم لا تختصرا الطريق.. متاعب السوق كثيرة.. أمامكما فرصة
نادرة..
(يشير إلى صورة الرجل المطلوب) لا أخفيكما دوري في المنطقة.. أنا
من يعوض المخبر الممتاز.. سأمنحكما ثمن الشم والشك.

أبو العلاء المعري : (بدون مبالاة) يشكلون من الصوت عدوا، يا ابن القارح، الله...
أكبر!؟

شهبندر التجار : لم يبق أمامي وقت للفسحة.. سأبحث عن محظوظ في
تجارة المفرد والجملة.. (ينسحب)

ابن القارح : (بدون مبالاة) كلما خطونا يطول الطريق يا شيخ المعرة.

أبو العلاء المعري : (ينتفض.. يسقط من شدة انفعاله.. يهرع ابن القارح
لمساعدته..)

حكاية الرجل الذي شبه لهم

(بقعة ضوء تظهر في الخلف، شرفة في قصر الخليفة..يتوسط الخليفة المنصور بالله أصدقاءه وحلفاءه. كل واحد منهم، يمسك بمنظار مقرب.. يراقب المشهد).

الخليفة المنصور بالله : أنظروا يا سادة.. تأملوا المشهد.. هو ذا الرجل المشاغب المقلق.. إنــي أقاضيه باسمكم، وباسم ملة الرعية من أجل سلامة، القوافل، والوفود، والأسواق، ودفع الأذى والبلية.. (ينادي الحاجب..) أيها الحاجب.. أدخلوا الذي شبه لهم للمحاجة أمام فقهاء الملة والدين (ضاحكا) إني أمنحه حق التعبير والكلام والدفاع عن نفسه قبل إقامة الحد عليه، وتحديد بنود العقاب.

(حارسان بأزياء غريبة يدخلان أبا العلاء المعري).

(يتركانه وسط الركح.. يتخبط باحثا عن عكازه وعن ابن الفارح... ثم تختفي الشرفة) (بقعة ضوء في الجهة اليمنى، تظهر ثلاثة فقهاء برؤوس حليقة ولحي طويلة... يتوسطهم كبيرا الفقهاء ومفتي ديار الخلافة أبو المعارف...)

أبو المعارف : (واقفا..) تكلم يا رجل.. ليتك اكتفيت بمحبسك القديم.. وانتهيت في صمتك الأبدي.. هات برهانك في إبداء حق الرفض والاختيار، حتى يقتنع فقهاء الأمة.. ويكون لك حجة عليهم وعليك في الدفاع، والتبرير، فداء لروحك الحاقدة..

(صمت) لقد بلغنا، أنك أعليت شأن العقل الضال، في قيادة الذات المستهترة.. وألغيت لغة القلب والعاطفة.. وتساءلت تساؤل المشركين حول الممكن والمستحيل، وأكثرت السؤال..

ولم تدر أنك فتحت باب التحريض ضد السلطان، والثابت والمتحول، بين الناس في الحال والمحال.

أبو العلاء المعري : (بدون مبالاة، يردد شعره هامسا..)

وكم غرت الدنيا بينها وساءنـــــي.

مع الناس مين في الأحاديث والنقل.

سأتتبع من يدعو إلى الخير جاهـدا.

وأرحل عنها ما أمامي سوى عقلي.

أبو المعارف : عقلك المظلم يحرضك يا رجل.. أيها السادة، يا فقهاء الأمة الأجـلاء.. إنه يؤكد أمامكم إيمانه الغريب، واجتهاده المريب، (صمت) فقد قرأت، وتأملت في كتبه، كما في رسائله وأشعاره الفاجرة.. زندقة ماكرة.

الجميـــــع : (بأصوات متناغمة) كفر.. كفر.. وعصيان.

أبو المعارف : بالأمس القريب يا سادة.. جدف وحرف المعتاد، وأجاز وأنصف، وأعطى لنفسه حق التقسيم والتقويم، لشعراء وفقهاء الأمة.. البعض، أدخله جنة رضوان، والبعض الأخر، ألقاه عاريا في بطن النار الموقدة، (صمت) شطط لا يغتفر.. وسلطة تخالف إرادة الله والسلطان.

الجميـــع : (بأصوات متناغمة) كفر.. كفر.. وعصيان.

أبو العلاء المعري : (يردد شعره..)

أنا الجائر الظالم.

ومولاي بي عالم.

فيالك من يقظـــة.

كأني بها حالـــــم.

أبو المعارف : أيها السادة.. هذا الرجل يحمل رأس بغــل، يستعصي إقناعه والاقتناع به، فأي الكبائر والتهم تحمله إياها، في مثل هذه النازلة !؟

الفقيه أبو الجوزاء : ننعته بالضلالة والفتنة، والخروج عن المعتاد.

الفقيه أبو النور : نحمله يا سادة، أسباب المجاعة، والبطالة، والقحط، وانخفاض أسهم النفط في البورصة والأسواق.

الفقيه أبو الجوزاء : نرجع عليه اجتهاده الغريب في اللغة، والدين، والفلسفة.
أبو العلاء المعري : (بدون مبالاة..)

وما آدم في مذهب واحد

ولكنه عند القياس أوا دم

أبو المكارم : أيها السادة في اتهامنا المدسوس له.. نضل نحن، ونخرج قبله عن الشريعة والملة.. إنكم تسقطون عنه كل التهم الفاجرة.. وترفعون بين الناس مقامه.

الجميع : (بأصوات متناغمة) نتبرأ منه بالإجماع، وننكر انتماءه للقبيلة والأمة.

(يصفقون بحرارة.. ثم يختفي مشهد الفقهاء الثلاثة.. يبقى أبو العلاء المعري يتخبط باحثا عن سند وعن عكازه..)

(بقعة ضوء في الوسط، يظهر شبح امرأة، تتقدم في لباس شفاف أبيض.. تتحرك بتغنج على نقرات عود.. تدور حول شيخ المعرة الذي يحس بوجودها..)

أبو العلاء المعري : (لا يصدق أذنيه) تخونني أذناي.. (صمت) شيء ما يحدث في هذا الفضاء.. أأسمع أم أتخيل وجود أحياء !؟

المرأة : (ضاحكة) إنه دفء الجسد، وصهد الأنفاس، يفوح من الصدر الناهد المقهور (صمت) أنا الغائبة في شعرك، أنا الموؤودة في خيالك.. أبحث عن جسد يدفنني في مخابئه اللذيذة.

أبو العلاء المعري : (يشد أذنيه، متبرما) لا.. لا.. لن يسرقني هذا الخاطر العابث المجنون.. أنا وحدي.. وحدي !؟!

المرأة : لست وحدك يا شيخ المعرة.. أنا أنت في معرة النعمان في الظل والجسد، (صمت) أتحمل إصرارك المر، ورأيك الغاضب في الحياة.. أنا من يعذبها زهدك الغريب، وسخريتك القاتلة.. أنا الحياة !!

أبو العلاء : تعب كلها الحياة.. فما أعجب إلا من راغب في ازدياد.

المــرأة : (تتابع هامسة) ماذا لو جنيت من دفء الجسد ما يشفي علتــك المزمنــة،
وقطفت من رقة الجديد، والخدود، والعيون ولأرداف، جملا مشتعلة، تملأ كؤوس أشعارك الناشفة.
أبو العلاء المعري : (يتابع ترديد شعره)

الجسم والروح من قبل اجتماعهمــا
كانا وديعين لاهمــا.. ولا سقمــا
تفــرد الشـــيء خيــر من تآلفـــه
بغيـــره وتجر الألفة النقمـــــا

المــرأة : أناني أنت يا شيخ المعرة.
أبو العلاء المعري : (كأنه يفتش عن مصدر الصوت..) هذا الصوت يعرفني.
المـــرأة : أنا ضحيتك القديمة، وفريستك التي تموت بين يديك كل يوم ببطء واقفة.
أبو العلاء المعري : (يتابع ترديد شعره)

نهاني عقلي عن أمور كثيــرة.
وطبعي إليها بالغريزة جاذبــي
وبما أدام الرزء تكذيب صادق
على خبرة منا وتصديق كـاذب

المـــرأة : (تتابع حركاتها الراقصة.) أتنكر أنك تحمل بذرتي العجيبة !؟ فهي لن تموت أبدا (صمت) إزرعني في عينيك.. امنحني مدارا فيك وحولك، وجودا في صوتك ومجلسك.. حتى أتكلم وأفصح.. فأنا الموضوع الحاضر الغائب، وأنا الشكل والمعنى.
(ضاحكة.. تدور حوله.. ثم تختفي..)
أبو العلاء المعري : (صارخا..) لا.. لا.. هذا الصوت يعيدني إلى المحرقة.
(يسقط المعري.. ويحاول الوقوف.. يشعر.. بوجود شخص قادم نحوه يصيح.. يتقدم شاب يواجه المعري).

أنت.. (يبحث يمينا يسارا.. يتلمس المكان بعكازه) تكلم.. أعرف أنك
لا تتحمل المشهد (لنفسه) لن يخدعني سمعي (صمت)
(يمد يده.. يتقدم.. يصطدم بالشاب الواقف أمامه) جسد ووجه
أمرد... لا أتوهم.. جسد.. نعم جسد حي، منتصب أمامي، من أنت
!؟ (يشتد اضطرابه..) تكلم.. من تكون !؟

الشاب : لن يخدعك سمعك الحاد.. وإحساسك الصادق يا شيخ المعرة
(صمت)
رأيتني.. وتراني بأذنيك وقلبك (صمت) أنا الخارج من سحنتك،
أبحث عن لون دمي الهارب وهويتي.. وعنوان يأخذني إليك.

أبو العلاء المعري : (يتلمس من جديد جسد الشاب)
من تكون.. لا أحمل مالا ولا ذهبا يغريك بقتلي.

الشـــاب : أنا المقتول قبلك.

أبو العلاء المعري : لن تنفعك مصاحبتي يا هذا المجهول.

الشـــاب : انتهت رحلتي إليك يا شيخ المعرة.

أبو العلاء المعري : صدقني يا هذا.. لن أفيدك... طلقت مجلسي، ودروسي، ولم
يعـد علمي يجدي الناس.

الشـــاب : (يتابع) رافقتك في الســر والجهر، وتحملت غضبك وثورتك
العـــارمة، وأنت تقذف شهبك الحارقة (صمت) لا تعلن دهشتك
واستغرابك الآن، قبلما تستحضر صورة طفل أنت من شكلته.. ثم
أعدمته.. ماذا كنت تنتظر من طفل أرضعته أفكارا مضطربة، وأنشأته
في ظلمة العزلة حاقدا ساخرا من الدين والدنيا (صمت) لماذا رفضت
أبوتي، وتركت أمي عانسا تموت مهملة في المعرة ؟

أبو العلاء المعري : (تشتد حيرته) من تكون يا أنت !؟ (لنفسه) هذا صوت الخاطر
المعلون، يقتحم خلوتي.

الشـــاب : أنا الخـــارج الغائب من صلبك، فمتى تحررني من قيد العـــدم
والأسئلة المرة!؟

أبو العلاء المعري : لا أنت تضل الطريق (صمت) أنا لست دنياك ولا آخرتك.

الشـــاب : أنا الوارث ملامحك.. جئت لأدفع ثمن انتمائي إليك (صمت) أعـرف أنك نسيت في غمرة أنانيتك، أن تناغي طفلك المنتظر.. تقبل جبهته.. تختار له اسما، تمنحه سيفا يحمي القبيلة، وهذا الوطن الممتد في الدم والعروق (صمت) أنا بعضك الطفل المراهق الذي تركته يردد أشعارك المهووسة، حول الموت والبعث والقيامة (صمت) لبست بعدك قناع المؤمن والكافر والزنديق.

أبو العلاء المعري : (منتفضا) من تكون يا هذا (لنفسه) الخاطر الحـــربائـــي يعود من جديـــد، يختفي وراء براءة الأطفال. !؟

الشـــاب : (يتابع بغير مبالاة) أنا من ولدت بين أوراقك وحبرك.. لن يروقك وجودي اليوم (صمت) لكني حضرت لأعلن للناس فظاعة الإيمان بك (صمت) إنهم يبحثون الآن عنك في ملامحي ولغتي. يقتلونك ألف مرة في الليل والنهار عبر شوارع بغداد والقدس.. يقتلعون من لساني حروف الهجاء.

أبو العلاء المعري : (صارخا) لا.. لا.. الخاطر الحربائي.

(يحاول الاقتراب من مصدر الصوت.. يتخبط متعثرا في خطواته.. تتعالى أصوات صفارات، وأضواء كشافات تتقاطع في الظلام..)

(يختفي الشاب.. يصرخ المعري.. يتستغيث.. يدخل ابن القارح).

أنت.. أين أنت يا ابن القارح.. حررني من حرقة السؤال.. وقيود هذا الخيال المتعب.. إني أحترق، وأذوب في ظلمة المحال.. امنحني عينيك حتى أفتح الباب الموصد، وأخرج من تراب هذا الجسد الطامع في الغرس، والماء، والضوء والإمارة.. (صمت) أنا غير هذا الطين المشوي بالرغبة الملعونة.. أرجوك.. أخرجني من رماد شجوني، أخرجني.. إني أختنق !؟

ابن القارح : (يتابع بغير مبالاة) المدينة مضربة عن الفرح.. تبكي بمرارة طفـل يتيم.. دموعها حجارة.

أبو العلاء المعري : إنها تختار يا ابن القارح.

ابن القــارح : (يتابع بغير مبالاة) في طريقي إليـــك، كبوت كما يكبو الحصـــان.. وفي سقطتي لمست رجلاي جثثا من أطفالها.. كانوا هنا وهناك، يحلمون بالنهار قبل لحظة القتل والاغتيال.. يرددون ببراءة جمل الرفض والاختيار، في وجه عسس السلطان وجنود الخليفة.

أبو العلاء المعري : (يحس بغبطة..) طوبى لمن يختار اسم القبيلة عنوان بيته، ورجولته القادمة (صمت) أتخيلهم يا ابن القارح، يزرعون زمنهم المشتعل في السواعد والجباه، والعيون، واللسان، (صمت) أخبرني ماذا رأت عيناك حتى أرى وأتأمل.

ابن القــارح : يحاكمون سحنة الرجل الذي شبه لهم !!؟

أبو العلاء المعري : (يحث نفسه) أيكون هو المطلوب !!؟

ابن القــارح : عما تتحدث يا شيخ المعرة !؟

أبو العلاء المعري : (يتحرك متعثرا) أحسه صوتا يؤنبني.. يبحث عن حنجرة.. أحســـه فعـــلا ضارخا، يبحث عن ساعد معروف (صمت) قبلما تعود من رحلتك، جاءت تراودني، تقدم ابنها المحتمل، تقتلع خيالي من محجري، كما تقتلع الحجارة.

ابن القــارح : ها أنت تقترب من باب الخروج يا شيخ المعرة !؟

أبو العلاء المعري : (منتفضا) لا.. لا.. أنا غير هذا الطين المهين، وغير هذه النطفة العابرة.. أنا سرير نفسي، أن الوسادة.

ابن القــارح : (يقاطعه) إنهم يصدرون أحكامهم في حق أطفالهم الرضع.. يتنافسـون في صناعة المشانق والسجون. وأنت في محبسك، ما تزال تنادم حروف العلة.. تنفي زيادة الكاف والنون.

أبو العلاء المعري : لا.. لن أعود لها.. لن أستسلم يا ابن القارح.

ابن القــارح : تتردد كعادتك يا شيخ المعرة.

أبو العلاء المعري : (يردد شعره)

هذا ما جناه أبي علي
وما جنيت على أحد

غدا يقرؤون بالجهر ألواحي المهملة.. يدركون أني كنت ضد طقوس العادة والعبادة.

ابن القــارح : أنت أعزل في هذه الحرب الموبوءة.

أبو العلاء المعري : أنا المحروق بعقلي يا ابن القارح.

ابن القــارح : البذرة ماء وتراب.

أبو العلاء المعري : البذرة فتنة الفتنة.

ابن القــارح : تنفي انتماءك يا شيخ المعرة للمعرة !؟

(صوت قصف وصراخ وعويل..)

أبو العلاء المعري : ماذا يقع، أتخفــي عني ما رأت عيناك !؟ (صمت) إني أسمــع.. وأتخيـــل الواقع صوتا وصورة.

ابن القــارح : يدمرون باسم الفتوى المعلنة ما تبقى من بيتــك القديم (صمت) ويعلقـــون على الباب المشقوق، ملصقات إشهار للسهرة القادمة.

أبو العلاء المعري : لا.. إنهم يجرمون في حق الكلمة.

ابن القــارح : أنت في ملفات مباحثهـــم الذكية بيــت فاجــر، وزنديـــق كافر، أتبــاعــك مشبوهون في الأرض يا شيخ المعرة.

المــرأة : تقفان في وسط الطريق !؟

أبو العلاء المعري : (يحدث نفسه).. هي.. نعم، تعود المرأة الخاطرة !؟

ابن القــارح : لاتتردد في إعلان الحقيقة يا شيخ المعرة.. هذه المرأة تخرج مــن رمــاد القبيلة، عارية دامية.. تعود بصوت جريح مستنجدة تفتح جراحنا القديمة، (صمت) سيدتي الموعودة، وكما ترين، لا نملك من دنياهم شيئا سوى ألواح مهترئة.. وبعض عزاء ورثاء، وحكما بالية.. لن تشفي جراحك وقلبك المكلوم.

المــرأة : (منتفضة صارخة) أخجل أن أفصح، أن أقول (صمت) أنا.. أنا مغتصبة!!

ابن القارح : يا للفضيحة، سيدتي الموعودة، أنت تذبحيننا بسكين صدئه.

المـــرأة : (تتابع بغير مبالاة) أأخرج من مذبحة يا جمـاعة لأدخل نعش القبيلـــة مرغمة !؟ (صمت) أرى أنكما نعشي المنتظر، في هذه المدينة المبهمة.

ابن القــارح : نحاول الخروج يا سيدتي.

أبو العلاء المعري : (صارخا) لا.. تعود المرأة الخاطرة !!

المــرأة : (تقاطعه) ستفرخ البذرة دودا بأشـــداق لاعقة.. تمتص ما تبقـى من رحيق الرحيق.

ابن القــارح : (كأنه يستعطفها) سيدتي الموعودة.. إنسي هموم المعرة.. غدا نكتب كتابا في خلوتنا، وعن ملحمة الأمة.

المــرأة : (ضاحكة) تمنحاني كفنا مطروزا هذه المرة، لأظـل بين الكتب الصفـراء شبحا لأسماء مقبورة، ورسالة في النحو والصرف وأشعارا مكررة.. (صمت) أواه.. من يغسل هذا الدم المسفوح.. من منكما يندم !؟ من يعتق خواطري المهمومة !؟

أبو العلاء المعري : اختر يا ابن القارح !؟

(تختفي المرأة.. بقعة ضوء تظهر حارسين، يدفعان أعواد مشانق بدون حبال.. بعد انسحابهما.. يدخل شهبندر التجار..)

شهبندر التجار : أيها السادة.. إنه الحـق والعدل الناطق.. أعطاكـم مثلمـــا اليـــوم أعطـانا (صمت) نعم أنتم محظوظون، السوق فتح أبوابه.. من منكم يعشق دخلا كبيرا في حسابه السري المرصود (صمت) محاكم مولانا الخليفة، وقضاته يقررون بالإجماع، أمام الملأ شنقا لأعدائه المخالفين (صمت) إنه العدل يا سادة، يقرره خليفة المؤمنين في عهد العولمة من الآن وإلى يوم الدين، سوف يشنق أعداءه الساخطين بحبال من حرير.. عاشت العدالة. (صمت) أيها السادة باسم التجار.. وباسم القرار الحكيم، أعلن بابتهاج أمام كل السماسرة، والوكلاء، وكل المقاولين والمضاربين في سوق الجملة والمفرد.. باب مناقصة جديدة..

لاستيراد حبال من حرير.. لمشانقنا الجديدة، رأفة بالأعناق والحناجر العاطلة... عاشت العدالة، عاش خليفة المؤمنين.

(يختفي مشهد المشانق.. بعد انسحاب شهبندر التجار..).

إظلام

البحث عن متهم

(بقعة ضوء.. مجلس الخليفة المنصور بالله...)

الحاجب : (بعد تقديم التحية) مولاي تعدد الرجل الذي شبه لهم، وانتشرت عدواه بين الرعية.

الخليفة المنصور بالله : رعيتي مشبوهة !؟.. (يداعب دميته) أريد واحدا منهم يختصر أوصافه، حتى نقيم الحد عليه، ونقطع دابر الفضيحة.

الحاجب : مولاي.. أنت تحاكم رعيتك كلها.

الخليفة المنصور بالله : أوه.. تبدو قاسيا يا حاجبي أمام دميتي المسكينة.. (صمت) أنسيت أنهم وعدوني بالقبض عليه، أليس كذلك يا دميتي !!؟

الحاجب : مولاي، رعيتك تحمل نفس السحنة، والدم، واللسان، والعلامة.

الخليفة المنصور بالله : لا.. لن أقبل عذرك في العفو عليه (صمت) ألصقوا بواحد منهم تهمة التحريض، وإثارة الفتنة (صمت) هيابا حاجبي، ناد مستشاري يعقوب..

(يخرج.. ثم يدخل.. يقدم المستشار)

الحاجب : مستشارك يعقوب يا مولاي..

الخليفة المنصور بالله : (يستقبله فرحا كطفل) ماذا دهاك يا يعقوب.. يا هدهدي الذكي.. بلغني أن عدونا المطلوب، تعدد في الأمصار، واجتاز حدود الخلافة !!

يعقوب : مولاي

الخليفة المنصور بالله : لا تعتذر يا يعقوب، باسم الحلفاء والأصدقاء أتفشلون في القبض عليه !؟

وقد منحت جندهم وفرسانهم الأرض والسماء.

يعقـــوب : تخوننـــي العبـــارة يا مولاي.. (صمت) ذاب الرجل المطلـــوب في الشمس والتراب والماء.

الخليفة المنصور بالله : أيخسر حلفائـــي يا يعقوب الذكي لعبة المكـــر والخديعة.. فـــوق مـــوائـــدك الخضراء !؟

يعقـــوب : مولاي.. احترقت كل النوادي، وضاعت أسهمك الرائعة.

الخليفة المنصور بالله : تحملني عار الهزيمة يا يعقوب !؟

يعقـــوب : مولاي.. أبشـــر ستبقى محروسا بين أضراسنا الصفراء، تدفـــع مـــردود الخراج، ومداخيل النفط، والفوسفاط من أجل أن تبقى حاكما بين الجواري والغلمان.. يرددون اسمك المنغوم أيام الجمعة.

الخليفة المنصور بالله : أنا الخليفة يا يعقوب.

يعقـــوب : مولاي، أنت خليفة الخلفاء.

الخليفة المنصور بالله : أواه.. أأفتقد قمر القبيلة، وخيمة القنص يا دميتي، وآبار الصحراء !؟

يعقـــوب : مولاي، تخيل ومنذ الآن أنك كنت شيئا في هذا المكان..!؟

الخليفة المنصور بالله : يا للفضيحة.. من تراني أكون بين القبيلة !؟

يعقـــوب : مولاي، انتهت لعبة المكر والخديعة، وتغيرت أوراقك الرابحة.

(ينسحب يعقوب إلى الخلف.. ثم يخرج..)

الخليفة المنصور بالله : (منتفضا.. يعانق دميته.. صارخا..) أنا الخليفـــة يا دميتي.. أنت تعرفين أنا الخليفة

(يقدم الحاجب مجموعة من المناديل للخليفة فوق صنيـــة.. ليمسح دموعه ودموع دميته.. يتابع الخليفة بكاءه وعويله).

إظلام

في مجلس أبي العلاء المعري

(بقعة ضوء.. ثلاث شخصيات في لباس أسود.. كل واحد منهم يحمل فانوسا... يتقدمون ببطء نحو أبي العلاء المعري الجالس وسط الركح..)

أبو العلاء المعري : (ينتبه إلى وجود أشخاص..) انفض المجلس.. من تراه يقتحم خلوتي.. يطمح في علم لن ينفعه !؟.. انصرفوا.. ماذا تريدون مني..!؟

الثلاثة معا : نحن طلابك.. وأتباعك..وكتابك الأبيض المفتوح يا شيخنا، وهذه فوانسنا،تذبل بين أيدينا (صمت) نريد شيئا منك، يفتح الأبواب الموصدة، يقهر الظلمة.

الشخصية 1 : (تتقدم خطوة.. تحرك فانوسها.. وكأنها تبحث عن أبي العلاء المعري)

ازرعنا في وهم الفطنة.. حتى ندرك ونعلم، نجتاز عقمنا المطلق.

أبو العلاء المعري : (بدون مبالاة) أنا لست الربان، ولا الراكب في هذه السفينة. (يردد شعرا)

ناديت حتى بدا في المنطق الصحـــل
تخالف الناس والأغراض والنحـــل
رجوا إماما بحـــق أن يقـــوم لهـــم
هيهات لا بل حلـــول تم مرتحـــل
و لن يزالوا بشـــر في زمانهـــم
مادام فوقهـــم المريـــخ أو زحـــل

الشخصية 2 : (تتقدم هي الأخرى..) شربنا من عقلك المهووس حيرة السؤال يا شيخنـا، ولـم تقنعنا الإجابة !؟

أبو العلاء المعري : حـروفـي لا تشبـه حروفكم، في العقـــل، والنقـــل، في الفعـــل، والفاعـــل، والجملة.

الشخصية 3 : نحن ألواحك يا شيخنا.. فاكتب بعض اليقين حتى نبرأ من الفتنة!؟

أبو العلاء المعري : (صارخا)أصدق إلي أن تظن الصدق مهلكة، وعند ذلك، فاقعد كاذبا وقم؟!

الشخصية 1 : سهامك الموجعة القاتلة، ترتد إليك يا شيخ المعرة، وصيدك المأثـــور، ما يزال طليقا في غايته، يسابق الريح والزمن.

الشخصية 2 : ها أنت تؤمن في كفرك، تهدم وتبني، تخالف المعتاد.

أبو العلاء المعري : (متبرما منهم) ابتعـــدوا من محرقتي يا جماعـــة، فقد أضلتني حروفـــي فتساءلت، وأضلني المشهد، فرأيتكم بقلبي حكاما ظالمين، ونساكا فاجرين.

(يردد شعرا)

تعالى الله فهو بنـــا خبيـــــــــر

قد اضطرت إلى الكذب العقول

نقول على المجاز، وقد علمنـــــا

بأن الأمر ليـــس كما نقـــــول

الثلاثة معا : نحن ميناؤك، وضفتك، يا شيخنا الموهوب، فمتـــى تفرغ حمولتك فينـا !؟

نحن اليتامى فمتى تطرق بابنا، يا أبانا الغائب المجهول !؟

أبو العلاء المعري : (يحاول الابتعاد منهم) أنا الفارغ الممتلئ بشجـــوني، أعود من رحلتي الوهم (صمت) أسواقكم ليست أسواقي، لن أبيع فيها بضاعة، ولن أشتري.

(يردد شعرا)

إذا سألوك عن مذهبي فهـو بين

وهل أنا إلا مثل غيري أبلـــه
خلقت من الدنيا وعشت كأهلها
أجد كما جدوا وألهوا كما لهـو
وأشهد أني بالقضاء حللتهـــا
وأرحل عنها خائفـــا أتألـــه

الثلاثة معا : (يضعف نورفوانسهم)
فوانسنا تذبل بين أيدينا يا شيخ المعرة.. يبتلعها الصمت والظلمة.

أبو العلاء المعري : (بدون مبالاة) أراكم مندسيـن في وهم الظلمـة تفرخـون مثلما الــدود في جسد الجيفة.. تغتالون أطفالكم (صمت) ابتعدوا لن يفيدكم علم السؤال.. من يسأل يملك الإجابة بحد السيف، والنطع، والمشنقة... (صمت)
(يضعون فوانسهم، ينسحبون وهم يرددون)

الثلاثة معا : ضاعت سفينة الفوانس يا شيخنا، في لجة بحرك الهائج...
(تختفي أصواتهم..)

إظلام

بيت الدمى

(بقعة ضوء.. الخليفة المنصور بالله وحده في غرفته مع مجموعة من الدمى العملاقة)

الخليفة المنصور بالله : ابشــري يا دميتــي.. ولك أن تعلني بالجهر، بشراك السعيدة أمام الملأ
(صمت) غدا أسك نقودا باسمك، أحفر عليّ وجهها الذهبي، لا غالب إلا الله، حتى أغلب الأعداء، وأطرد أشباح النحس المريب (صمت) سأمنحك إمارة عريضة الأطراف في الشرق، وصداقة في الغرب (صمت) لا تنسي يا دميتي، وأنت تتوجين أميرة الأميرات المخضرمة، أن تدفعي لسيدة الدمي العظيمة، سيدة الشرق والغرب، خراج النفط والفوسفاط (صمت) أوه.. لا تنسي أن تظهري طاعتك العمياء (صمت) أحذري يا دميتي الرائعة (صمت) إنهم يكيدون لي ولك في الليل والنهار، وأكيد لهم كيدا (صمت) نعم.. سأضع طابعي، ودمغتي الأثرية على الجباه، والوجوه الكالحة، وكل المؤخرات السمينة كما تدمغ الأبقار والحمر الوحشية (ضاحكا..) أيتها الدمى، لا تعصي أوامر سيدتنا الدمى العظيمة، فهي الآن وكعادتها تمارس عادتها السرية، تحيي عيد ميلادها، وذكرى يومها النحوس (يخاطب إحدى الدمى) لا تحزني، سأنكس أعلام أحلامي، وأصوم من أجلها شهرين متتابعين، وأطعم ستين مطرودا من التعليم والعمل.
(يدخل الحاجب)

الحاجــب : (بانحناء) مولاي..

الخليفة المنصور بالله : (يتابع) أنظري يا دمــاي.. لم يبق من الخدم سوى هذا الحاجب الثرثــار، يتمسح بي كقطة جرباء (يلتفت إليه) ماذا تريد مني.. !؟

الحاجب : (بانحناء) مولاي..

الخليفة المنصور بالله : (يتابع) حاجبي المسكين.. أثبت الطب أنه عقيم الذاكرة والنسل واللسان

(صمت) لم يفته أن يقرأ علي قبل صلاة العشاء، أخبار المطلقات، والهاربين عن زوجاتهم (صمت) يضع خطا أحمر، وعلامة استفهام عندما يتعلق الأمر بموت طفل، أو امرأة عجوز، أو شيخ، في أرض اسمها فلسطين.

الحاجب : مولاي..

الخليفة المنصور بالله : (يتابع) أعتز بتقريرك المفصل، يا حاجبي المسكين (صمت) سأجعل رتبتك الوضيعة، تسمو فوق الرتب، هذه المرة بين دماي.. (صمت) ماذا يمكن أن يقع، إذا كنت أنا الخليفة المنصور بالله، قد شيدت لهم سجونا متطورة، تحترم شروط البقاء، من أجل الحد من الشغب، وممارسة الزندقة والهرطقة.

الحاجب : (بانحناء) مولاي

الخليفة المنصور بالله : (يتابع) إنه ينقل إلي أخيارهم الحامية (صمت) أكثرهم صياحا وصراخا، يطمع في مائدتي...

نعم في مثل هذا الحماس المضحك، ينضج الخبز والجسم، والعقل، واللسان، في التعبير عن مشاعرهم الرقيقة..

الحاجب : (يحاول إثارة انتباه الخليفة) مولاي..

الخليفة المنصور بالله : أنا مرغم على الاحتفاء بأصدقائي والتضامن معهم..

(صمت) لا تقلقي يا دماي.. سأعود لأحكي لك حكاية طائر الحجر، وحصان الريح الأسمر. (صمت) إنها حكاية رائعة.. من الممكن أن تكون موضوع خطابي، ومداخلتي الصريحة أمام مجلس الأمن، والجامعة العربية، وممثلي الدول الأكثر فقرا في العالم.

الحاجب : (بانحناء) مولاي.. في انتظار أمرك المطاع.

الخليفة المنصور بالله : (يتابع..) أيتها الدمى الحبيبة، بمناسبة زفافي العاشر،
والقضاء على عدوى الكافر، أدعوكم لرحلة قنص رشيقة (صمت)
اختاروا الوحوش الظريفة وارموها بأي سلاح تشاؤون (ضاحكا..)
أوه.. ما أروع هذه الصحراء (للحاجب) أشتم دخانا يا حاجبي..
ورائحة بارود.. من تراه يحتفل بعيد ميلادي !؟
الحاجب : (بانحناء) انتفض طائر الحجر، وحصان الريح الأسمر يا مولاي !!
الخليفة المنصور بالله : لا.. لا.. لم أنت تردد على مسامعي أخبارا قديمة!؟
أيها الحاجب الثرثار.. أطلق سراح كلابي السلوقية، ودعها تلاحق
الطرئد، تحاصر صعاليك الصحراء (يأخذ منظاره المقرب) أنظري،
وتأملي، المشهد يا دماي.. إني أقهر الأعداء..
الحاجب : مولاي.. أنت في بيت دماك، تلهو.. تتخيل.
الخليفة المنصور بالله : (صارخا.. ويجنون.. يدور أمام الدمى)
لا.. لا.. الطريدة بين يدي.. يا حاجبي..
(ينسحب صارخا)

إظلام

ساحة الشنق والإعدام

(بقعة ضوء.. ثلاثة مشانق في الخلف.. وعلامة مرفوعة كتب عليها بخط أحمر «مرحبا بكم بساحة الشنق والإعدام» يقف أمامها جلاد مدجج بأسلحة متطورة. ولباس غريب)

الجـــلاد : ابتعدوا يا سادة.. لا تقربوا الخط الأحمر.

أبو العلاء المعري : أين نحن يا ابن القارح !؟

ابن القـــارح : قريبان من ربع ساحة الشنق والإعدام.

الجـــلاد : (يتحسس سلاحه.. يدنو منهما..) أتيتما باكرا قبل موعد الشنـق، ستكون فرجة رائعة.. أنتما مثلي تعشقان منظر المشنوق، حينما يختنق ويلفظ أنفاسه، ويتمدد (صمت) منظركما غريب.. أكنتما في حفل تنكري !؟

ابن القـــارح : (مندهشا)، تحتفلون بيوم الشنق والإعدام !؟

الجـــلاد : (يتابع..) كأنـي بكمـا غريبـان عن المنطقـة (صمت) أمامكمـا مشانـق مستوردة.. نعم، لأول مرة يشنق المخالفون بحبال من حرير.. رأفة بعنق المشنوق، واحتراما لحقوق الإنسان (صمت) مادام الوقت يسمح لي بالكلام.. أنصحكما باتخاذ مكان قريب للفرجة، حتى تريا آثار الحبل، حينما يعقد على العنق ويشتد (صمت) بالنسبة لي أمارس وظيفة ممتازة.. أمام الملأ... ولعبة تدهش الناظرين.

ابن القـــارح : من تراه يكون محظوظا بهذا الحفل والحفاوة !؟

الجـــلاد : (يتابع) لم يحددوا المتهم المطلوب، لكنهم عازمون على الانتقام.

ابن القـــارح : يا للغرابة، تعدون المشانق للخيال !!

الجـــلاد : (ساخرا) أراهن أنكما غريبان عن المنطقة.. لا غرابة في الأمر يا سـادة، إذا تخيل قضاة الخليفة مجرما قبل ارتكاب الجريمة.. (صمت) إنه

حرص مولانا الخليفة المنصور بالله... على إشاعة الأمن والأمان.

أبو العلاء المعري : (يخطو.. يردد شعره)

خذي رأيي وحسبك ذاك منـــي

على ما فـــي من عوج وأمـــت

وماذا يبتغي الجلســـاء عنـــدي

أرادوا منطقي وأردت صمتـي

ويوجـد بيننـــا أمـــد قصـــي

فأموا سمتهم وأممت سمتـــــي

الجـــلاد : (يتابع.. لابن القارح..) كما ترى أنا المكلف المسؤول، والساهر علـى مشانق الخلافة.. (صمت) أتذمر أحيانا من عملي المتعب، لكني أحس برغبة شديدة في الحضور، وأنا أعد عقدة المشانق.

أبو العلاء المعري : (بدون مبالاة) ماذا رأيت يا ابن القارح !؟

ابن القـــارح : يتخيلون المجرم قبل الجريمة !!

أبو العلاء المعري : لزوم ما لا يلزم !!؟

الجـــلاد : (بعيدا منهما يتفحص حبال المشانق) إنه الخيال يا سادة، عدو محرض، مرفوض في مدن الخلافة (صمت) أصارحكما.. أشعر بالذنب، حينما أتخيل براءة المشنوق أمامي.

أبو العلاء المعري : (غاضبا)

هل آن للقيـــد أن تفكــــه

إن قبيح الفعـــال حكـــــه

بكل أرض أميـــــر ســـوء

يضرب للنـــاس شر سكـــه

قد كثر الغـــش واستعانـــت

به الأتـــــداء والأركــــه

فما سكـــة بحـــــال إلا

وقد موجـزت بسكـة
ولم يجد سائل عليمـا
يزيل بالموضحات شكـه
كم فارس يقتدي بسكـة
فخلهم والـذي أرادوا
وصل بالقدس أو مكـة
صكهم الدهر صك أعمـى
تكتب أيدي الفناء صكـة

الجـلاد : لست مسؤولا عن خطئكما، إذا حـان وقت زيارتهم المفاجئـة (صمت)
أوامرهم مطاعة، وأنا أتردد في التنفيذ الفوري، (صمت) تعلمت منهم أشياء كثيرة.. أهمها عندي، لا أتخيل في حضرة المشانق المنتصبة.

ابن القارح : الخيال حياة يا رجل

الجـلاد : اتق شره.. فقد يحرضـك على الخـروج من المعرة.. (صمت) لاأدري.. لماذا أشعر برغبة في الحديث معكما.!؟

ابن القارح : من حقك أن تتخيل يا رجل، فالخيال نعمة.

الجـلاد : (ضاحكا..) لا أستطيع أن أهجـر مهنة مريحة، وأضيع راتبا مهمـا يعيـل أولادي الأربعة (صمت) ما أفظع هذه اللحظة أواه.. إني أتذكر عائلتي يا سادة.. أدنو من الممنوع.

ابن القارح : (يتابع) عندما تتذكـر تتخيـل، حتمـا أشياء كثيرة، سـوف تقع، وتحـدث لأبنائك الأربعة..
(يساعد المعري على السير والانسحاب..)

الجـلاد : (خائفا..) لا.. أرجوك.. لا يقترب أحدكما من الخط لأحمر (صمت) حان وقت الزيارة.. لا لا.. أستطيع أن أتخيل.
(تسمع أصوات أقدام.. يشرع الجلاد في مراجعة حبال المشانق)
(يختفي ابن القارح والمعري.. يدخل عميد الشرطة ومساعدة..)

العميـد : (يفاجئه وبنبرة عسكرية آمرة) أسمع لغوا، وأشتم رائحة بشـر.. من تراه تجرأ ودنا من الخط الأحمر!؟

الجـــلاد : (بعد التحية العسكرية) ربما كنت أحدث نفسي يا سيدي العميد.. كنت..

العميـد : (يقاطعه) أتصهل مثل الحصان في صمتك... ماذا كنت تنوي فعله!؟

الجـــلاد : سيدي العميد، كنت أقف في وجه الخيال... أدفعه عني بعيدا.

العميـد : (غاضبا) تهاون وخذلان ملحـوظ .. ومس بالنظام وأمن الدولة، (صمت) أنسيت أنك جلاد الخليفة.. احذر فقد يستسلم قلبك للرأفة.

الجـــلاد : سيدي العميد.. مازلت في مهنتي أمارس قسوة القسوة.

العميـد : (وهو يراقب وضع المشانق) حسنا.. (ساخرا) ضيـف مشانق الخلافـة، خيال جامح (صمت) اعترف.. هل رأيت، أو سمعت عن شخص يتخيل كثيرا أمام الناس، يتجاوزه عمره !؟

الجـــلاد : سيدي العميد.. ربما رأيت خيالا يمشي، يقرأ بالقرب مني شعره !!

العميـد : خيال مطلوب للشنق والإعـدام (صمت) أصابتك عدواه يا جـلاد (صمت) هذا ما تؤكده بلاغات عيون الخلافة (صمت) يحكون عن خيال زنديق.. يجول يعبر عواصم البلاد (صمت) هيا يا جلاد، استبدل حبال المشانق، فالخيال المطلوب، لا يحمل جسدا ولا رقبة.!؟

الجـــلاد : ضاعت مهنة الجـلاد.. أواه.. ليتني أسعفتهمـا وآمنت بالخيـال.. الخيـال حياة.. الخيال نعمة..

العميـد : ماذا تقول يا جلاد !؟

الجـــلاد : أحدث نفسي يا سيدي العميد، أبحث عن خيال نجدة.

العميـد : (غاضبا..) تتخيل أمامي.. أصابتك العدوى.

الجـــلاد : (ينفعل ثم يشرع في إزالة أسلحته ورميها أرضا.. وهو يصرخ..) إني أتخيل يا سيدي العميد ومن حقي.. أتخيل عائلتي.. أتخيل براكين.. أتخيل شمسا مشرقة.. أتخيل أنهارا تغسل أرضا ناشفة..

أتخيل يا سيدي العميد.. أتخيل بغداد.. أتخيل البصرة.. أتخيل يا سيدي العميد.. أتخيل القدس.. أتخيل.. أواه ما أروع الخيال..

(يزداد صراخه، وهو يمزق ملابسه.. وينسحب صارخا.. يشتد هلع وخوف العميد ومساعده.. وكأنهما أصيبا بالعدوى.. يفران)

الكأس الأخيرة يا سيدتي

الكأس الأخيرة يا سيدتي

أشخاص المسرحية :

الأول (1)

الثاني (2)

الثالث (3)

الرابع (4)

الخامس (5)

شرطي

النادل

النادل ـ امرأة ـ أجنبية

المنظـر :

(بار.. رستورا يظهر اسم البار مكتوبا على لوحة سباق الخيل)
«في الجهة اليسرى (بار ورستورا سباق الخيل) الأول والثاني أمام الكنتوار في اليمين (الرابع والثالث) في اليسار».
«الخامس وحده جالسا في المقدمة..»
«أضواء النيون الملونة.. موزعة خلف القوارير.. كؤوس باهتة» «بين الفينة والأخرى.. يدخل الشرطي الواقف بالباب يراقب بفضول زائد مضحك»
.. صديقان
كلهم في حالة سكر زائد».

الأول : أرجوك.. أنا شخصيا لا أعتقد.. أرفض أن أضع في وسط رأسي كل ما يقولون..

الثاني : دائما.. قبل الكأس الأخيرة نرفض ونحتج، فالفرق بين البصل ورؤوس البعض إلا بالطرابيش، والعقالات.

الأول : أرجو.. أرجو، أسحب تصورك الخاطئ.. الماجن.

الثاني : أنا صديقك الحميم.

الأول : أنت تحاول أن تزرع في رأسي قنابل نووية. (صمت) أعرفك أيها الخنـزير.. لقد تأثرت بكتبهم.. أنا قبلك، اتخذت الحيطة، عندما كنت طالبا بالرباط.. أما أنت، كنت تنخرط في المناقشة بحماس النخاسين، في سوق المزاد العلني. (صمت) عرفتك (الثاني ضاحكا) أيها الملعون.. نعم أختي جميلة، كانت تساعدني قبل أن أصبح موظفا بوزارة المياه والغابات (صمت) عرضت عليك الزواج بها... (صمت) رفضت وقلت لي : أنا أرفض سيارة مستعملة، ملاعين.......

«يتحول الضوء يسقط على (3) و (4)»

الثالث : ملاعين (يرددها ضاحكا)

الرابع : أنا بالفعل ملعون.. ولكني أحتفظ بشرفي (ساخرا)

الثالث : أنت فوق الشيطان بشارة واحدة.. أسألك أين ربحت هذه الأوسمة.

الرابع : الحياة يا بني (ساخرا) (صمت...)

الثالث : بيرة، كالعادة مرسي.

الرابع : بيرة (ساخرا) جوفك الخبيـث لا يتحمل النار المقدسة... نار المجوس. لـن يكون في مقدورك أن تترصد النجوم الليلية.

الثالث : (يتناول زجاجة) (للنادل بالأجنبية) مرسـي (صمت) نسيـت أن أخبـرك أيهـا المجوسي (بأسف) عرضت عليها الزواج ولكنها اعترضت، وفي الأخير اعترفت بأنها متزوجة. ولها طفلان.

الرابع : حظك رجل متواضع يشرب البيرة فقط (ساخرا).

الثالث : يعد علاقة طويلة اكتشفت أنها تخونني...

الرابع : ولكنها متزوجة.

الثالث : تخونني مع رئيس الموظفين في الشعبة،.. اللعين..

الرابع : (ساخرا) كان عليك أن تزن حرارته، وهو يزكيك من أجل الترقية.

الثالث : الترقية.. كلهم يعملون من أجل الترقية بوسائل أكثر قذارة من مجاري المياه الحارة...

الرابع : كنت تراهن على نفس الحصان.

الثالث : ملاعين

(ينتقل الضوء (1) و (2) بينما الخامس يدخن بعنف..)

الأول : (ويسكي).. يا سيدتي الجميلة (تبتسم له) أذكياء، أصحاب البارات.. وإلا لماذا تبتسم هذه السيدة لي ؟

الثاني : ماذا دهاك.. إنها تشتغل !؟

الأول : الابتسامة.. عمل

الثاني : والغمزة كذلك.. لقد تعددت الشعب والاختصاصات.. من هنا يبدأ تطور الإنسان...

الأول : ما أشقاني.. إلى هذا الحد أنا غبي ومقبور.. أين كنت !؟

الثاني : كالعادة (ويسكي) (ضاحكا منه..)

الأول : (يقترب منه) العالم غريب.. ضفدعة كبيرة، لا تسكت عن النقيق، أخاف أن أتحول إلى ضفدعة.. تعال.. اقترب.. هل تسمعني ؟

الثاني : أسمعك جيدا.

الأول : الأمر يكون أحسن لو أنهم كانوا يعرفون نهاية الكأس. فهمت (الثاني يحرك رأسه) طبعا لم تفهم رغم ما يبدو عليك من خميرة الذكاء.. أنت غبي.. الذكاء لا يفيد أمام الأغبياء. (صمت) مازلت أتذكر كل شيء.. (صمت) تمنيت أن تكون لي لعبة تمشي وتغمز بعينها

كباقي أطفال العالم.. وأرتدي مثلهم لباس العيد، سروالا وقميصا..
(صمت) من الأحسن أن يكون الإنسان طموحا.. هناك بعض أمل
(صمت) أنت الآخر حقدت علي.. لأنني تقدمت في دراستي.. كلهم
تساءلوا.. كيف نجح.. !؟ إلا ابن صاحب عربة نقل الخضروات العجوز
(صمت)... كنت ألمح في عينيه صمودا صارخا وإصرارا على التنفيذ
أكثر من أي طالب.. ومع ذلك لم يحقد علينا جميعا أيها اللعين.. هل
تسمع (يحركه..)

الثاني : (في شرود)آ.. إنك تتكلم. وأنا.. أسمع.

الأول : الفرق بيني وبينكم.. أني طموح.

الثاني : (يستيقظ من غيبوبته) غبي.. هذا لا يسمى بالطموح.. ولا ينتسب إليه.

الأول : ها أنت تعود إلى إهانتي.

الثاني : مات أبوه.. وأخذت الشرطة عربته.. بعد أن قتلوا حصان العربة في الليل.

الأول : تمنيت لو أسعفته.. كان يحبني.. ويحب أختي أكثر منك ايها الفاسق.

الثاني : كنت منافسه الخطير.

الأول : ولكن أختي كانت تعـرف اتساع طموحي (صمت) إنها.. مسكينة أليـس كذلـك.. ظلمتها.. كنت السبب في بروز تجاعيدها.. كانت امرأة صبورة كالجمل.. (صمت) في الأيام الأخيرة، صبغت شعرها، كان شعرها كالليل.. اتقاء شر أعينهم..

الثاني : في الأيام الأخيرة، فكروا في العفو عنه.

الأول : صحيح !!؟

الثاني : أنت تعرف مكانه عندنا.. كلهم تنكروا له... ليته غير رأيه في (يصرخ) ويسكـي يا مدام، (يتفل دخانا في السماء) (يتقدم الثالث بحثا عن كبريت.)

الثالث : الآخر.. كبريت.. أيها.. أيها الصديق، من فضلك.

الأول : كبريت.. نعم (يبحث في جيوبه)

الثالث : (يتابع كلامه) سوف يتغير الطقس أيها الإخوان... هذه الليلة ماكرة.. أنـــا عندي آلة قياس خطيرة.. في،، ف،، فداخلي،

الثاني : أنت.. محظوظ.. تستطيع أن تدخل باكـرا،، لا حاجـة لأن تشتري مظلة مطـر.. (ساخرا)

الثالث : تماما (يشتغل له الثاني الذي ينتبه إلى سجـارته في فمه) مرسي. أنا ضـد الجـو الخانق (يشير إلى صديقه الرابع) أنا أتحداه.. يعرفني جيدا كما يعرف أصابعه، (صمت) خمس عشرة سنة، لم أرفع عيني، أملأ أوراقهم العفنة، أرفع التقارير (صمت). (يتقدم إلى الأمام بصعوبة)... عندما أحظى بالتقاعد سأنسى كل شيء (صمت) إني أطمئن نفسي حتى لا أشم رائحة الثوم... أكره الثوم (تسقط سيجارته، ويتكئ. يبحث عنها كالطفل..) كبريت.

الأول : نعم (يلوح بسيجارة باحثا عن الكبريت)

الثاني : (يشعل له السيجارة)

الثالث : وجـدتهـا «يقف»، مرسي... كلهم ملاعين.. ولكنني سوف أتحدى لحيتي (صمت)
أتحداها، اسمحوا لي أنا ذاهب للمرحاض، سأتبول.. أبول حسب ذوقي أنتم تضايقونني (يمر الشرطي / يتابع كلامه.. بينما يتأمله ويقرب وجهه منه) نعم سأبول هناك أنا إنسان يبول بصراحة...

الرابع : وحده، يبول عليهم. في بار سباق الخيل.

الثالث : (الثالث يميل نحو الخامس ويتابع كلامه) تخونني لأنني أنا الآخر أخون زوجتي إذا... فيفتي / فيفتي المعادلة صحيحة.

الرابع : (من بعيد) كنت تقول.. أنك تحبها أكثر من أي شيء فوق الأرض.

الثالث : (يلتفت نحو صديقه الرابع) غبي. (للنادل) هذا غبي يا مدام سأذهب

لأبـــول على أفكارهم.

الرابع : (من بعيد) لا تنس الترقية.

الثالث : (ينتقل بصعوبة إلى المرحاض) ملاعين.. ملاعين (يدخل المرحاض).

(يشتغل الضوء نحو (1) و (2))

(بينما الخامس يطلب بالإشارة دوما يلتفت زجاجة بيرة أخرى)

(الشرطي كالعادة ينتقل بينهم بفضول ويكاد يشمهم).

الأول : تمنيت لو أني استطعت أن أقنعه (صمت) أنا لم ألتزم أنتم كنتم متسخين.. كنتـــــم كالعاملين في معمل أسلحة وهمي.. صحيح أني غبي ولكني أملك حق العيش أنا في نظرهم سلبي.

الثاني : لا تحاول أن تزرع في تجاعيد أختك عوسجا (صمت) أنت.. أنت..

الأول : كنا معا.

الثاني : في تلك الليلة زارنا.. حدثني عنك.. نقل تخوفه من سلوكك الهش كنت كالبيضـــة في نظره، بيضة قديمة نتنة.

الأول : زارك ؟

الثاني : ونقل مني تخوفي.

الأول : أيها الجبان، أنت منافق على الطريقة الديبلوماسية.

الثاني : (ساخرا) أفرغت كل ما في جعبتي..

الأول : لن تمنع المطر من النزول بتنهيداتك.. كلهم يعملـون، أنك كنت ككلـب الشرطـة الألمان... أنسيت هذا.

الثاني : كانوا يلقبونك بالضفدعة السوداء.

الأول : لقبوك بالعقرب.

الثاني : لم أذنب في حقه.

الأول : إدعيت أمام الشرطة أنك كنت تكره هذا النوع من الأفكار، وأن لـك رأيا فريـــدا عنهم (صمت).

الثاني : أنت الآخر شممت ما قبل عني.

الأول : أكثر من هذا.
الثاني : أيها الملعون (صمت).
(ضوء خافت يسقط على الخامس)
(الخامس في حالة سكر شديدة يقف)
الخامس : الطريق الثانية ستأتي (صمت) (ضاحكا..) سيلقون كثيرا من أشعار المديح.. كان.. ستسمع الكثير (يجلس)
(يقف مرة أخرى) أيها النادل...
(النادل يستجيب) قلت لكم ستأتي.
(يخرج سيجارة يشعلها) ثم (يجلس)
الثالث : (يحاول ربط سرواله وسده من الأمام) (يسعل بصعوبة) ألم أف بعهدي !؟ لقد بلت عليهم جميعا بدون استثناء (صمت) نعم أنا مسؤول على عائلة (صمت) ظروفي صعبة يريدون طعني من الخلف (يكاد يسقط يسرع الرابع لمساعدته فيتعانقا ثم يعودا ببطء) أنت صديقي الحبيب (ضاحكا) أقول لك جهرا أمام الملأ.. أمام السكارى بلت عليهم وانتهيت.
الرابع : يا حبيبي لن يسمعوك.
الثالث : الليلة سأحاسبهم على آخر رقم.. (صمت) ؟ أنا نادم (يحاول البكاء) أنا نادم.. أنا نادم.. يبكي.. (يبكي على الكنتوار) ويسكي بلا ماء يا مدام.. (يقف الخامس كالعادة).
الخامس : أنا لا أشبههم.. لا أريد أن أكون قطا جريحا بين الكلاب في هذه المدينة.. أتهافت على صناديق القمامة، بالمناسبة لا أريد لحيتي أن تكبر على حساب عيني.
(ضاحكا بهستيريا).
(الشرطي يدخل ويتفحصهم واحدا واحدا بفضول زائد مضحك)
قرأت على كفي خطوط طول العمر والعذاب والشراب أنا لا أشبههم..

لا أريد أن أرى لحية عوراء (صمت) عندما تأتي، سأهمس في أذنيها، أنت جميلة كنفرتيتي، ولكن ذنبك أنت تتعطلين كالشيخات.

(يجلس / (صمت) يقف).

أنا لا أشبههم.

(يشعل الضوء.. نحو (1) و (2) (بينما يبقى خيط من الضوء ساقط على رأس الخامس دائما)).

الأول : أنت تخاف منه.. تخاف من أن يجلس في مقهى من مقاهي المدينة، منظره مغناطيس ومثير كالساعة في صومعة المدينة (صمت) بالنسبة إلي كانت رحلة عبر حلم طويل، مهما قاسى فهو يبقى دائما حلما لذيذا وسعيدا (صمت) ستشعر بقيمتك وأنت تراه يعبر من رصيف إلى آخر. أليس كذلك (صـ[illegible]ـه يملك قدمين صلبين كالحصان (صمت) أنا مستعد أن أقول له كل شيء.

الثاني : ويسكي.

الخامس : (كالعادة) «يقف» عندما كنت أشبههم في الولادة الأولى، كنت أشعر بذيل كبير ينمو في قفاي يعرقلني يمنعني من الالتفات، وعندما تطورت اتخذت هذا الشكل قد أبدوا مضحكا ولكني تقبلت وضعي الثاني (صمت) عندما تأتي هي، سأهمس في أذنيها الصغيرتين، أنت بالفعل جميلة، ولكنك تجدفين على عقارب الساعة.

(يجلس / يقف) عندما كنت أزوركم... كانت أمك تخبئ رأسا مشؤوما مشوها... (يجلس)

ينقل الضوء إلى (1) و (2).

الثاني : أنا لا أخافه.. كنت مرتبطا بالمستقبل (صمت) هذا يهمني...

الأول : أنا حفرت التجاعيد في وجه أختي، أما أنت فقد قتلت أمك من أجل أن تصبح كلبا ألمانيا ذا أنف طويل فضولي تكتشف الأرنب الأبيض، أنفك فضولي (صمت) لا تجادلني.. أنت تخفى أكثر من رذيلة (صمت) نسيت قبر أمك، كانت، تستيقظ في الساعة الثالثة، قتلتها من أجل أن

تضع عطرا تحت حلمتي أذنيك، كأي مومس في عين الذئاب.

الثاني : أسكت.. لن أتحملك.

الأول : ولكني تعلمت من أختي أن أجابه كل الأذواق (صمت) كانت أمك تخبىء رأسا مشؤوما مشوها لم تقدر رهافة حسها (صمت) أبوك اللعين هجرها هو الآخر كانت تتحلب شفتاه على مومسات عين الذئاب (صمت) إذا عاد للمدينة.. ومر من هنا سأقبل يديه..

لن تستطيع أنت.. لأنك واضح كالثلج (صمت) ادعيت أنك لم تقل شيئا للشرطة.. أعرف أن أقوالك لم تبلغ أذان الآخرين..

(الخامس يقف كعادته. الشرطي يتفحصهم جميعا واحدا واحدا بفضول زائد يضحك)

الخامس : أنا أعرفهم، سأشرب كأسي، لأني لا أملك إلا أن أشرب (يجلس / يقف) عندما تعود سأصرخ في وجهها التفاحي.

(يجلس ينتقل) الضوء إلى (4) (2) (3)

الرابع : أنت لم تشارك في مسابقة الكلاب.. تخاف أن تخسر وأنت تراهن على كلب فرنسي، مسابقة الخيول ألغوها هذا الأسبوع.. (صمت) أنظر، مكتوب على اللوحة أرقام الكلاب التي دخلت في السباق وأسماؤها كلب فرنسيس / كلب بونابرت / ماس / نامسو /

الثاني : سأشارك في مسابقة الحمير (صمت) العالم كله مسابقات... ثق، لن يربح أي واحد. من المتسابقين (ضاحكا).

الرابع : إلا أنت فقد ربحت الترقية.

الثالث : تعود أيها الكلب المسعور (صمت) ويسكي يا مدام.

الرابع : مادمت مخلصا لنفسك (صمت) المشكل كيف تواجهه وأنت تقرأ الخبر... إنها كالأخريات (صمت) كلهم يفسرون الأمر حسب تبرير جميل.. (صمت) في الأيام الأخيرة عرض عليك مصاحبته لنزهة صيد في الغابة.

مناسبة عظيمة.. ونادرة، أليس كذلك !؟ تصطادون الحجل... أي

تقتلون الحجل باسم الصيد..

الثالث : ملاعين..

الرابع : أنت الآخر تعتقد هذا ؟

الثالث : العالم لم يتعلم الثقة من المدرسة. (صمت) أين كنت تكتنز هذا الذهب والفضة.. أيها الخنزير.

الرابع : أنت.. أنت.. صديقي.

الثالث : كانت ترقيتك أحسن وضعا مني..

الرابع : تسخر مني أيها اللعين. (صمت) قلت أمام الشرطة أنه لم يختلس.. وأقسمت لهم؟!

الثالث : لم تطلقها بعد.. إن تهمة الاختلاس أصبحت من الذكريات.

الرابع : لم يختلس.. لم يختلس..

الثالث : من هذه النافذة طل القمر (صمت) علمك أن تشرب الوسكي، ولكنهم يعرفون جميعا أن نصيبك في اليتم كبير.. ثم أن نتيجة الإخلاص جاءت محمولة على يديها الجميلتين. (صمت) مسكينة.

الرابع : أيها الخنزير.

الثالث : أنا الأخر سمعت.. حاولت أن أطفئ الحريق.. بحكم الصداقة، ولكن قضيتك كانت أكبر من الحريق. (صمت) يا أخي رائحة الحريق أغرقت المدينة، اختنقت وسطهم. (صمت).

الخامس : كالعادة..

(الشرطي يتفحصهم واحدا واحدا)

الخامس : عندما قررت أن أعترف لهم.. حاولت أن أؤكد لنفسي بأن الشرارة الصغيرة ستؤدي إلى حريق المدينة، اكتفيت بهذا التصريح المؤقت (يجلس. يقف). عندما، تأتي سأقول لها.. تأخرت.. فأنت تزدادين قذارة.

(يجلس. ينتقل الضوء إلى (1) و (2)).

الأول : اسمعوا يا جماعة (بصوت مرتفع مشيرا في الهواء) أنت (لنفسه) يجب أن نقتل ما تبقى من اليقظة. إذا كنا جميعا على هذا القدر من الجبن (لصديقه) اسمع أنت (للنادل) أنت مدام (ويسكي).

الثاني : وصلت متأخرا.

الثالث : (لنفسه) لم أعد أقوى على حمل دمي.

الرابع : (بصوت مرتفع) أنتم عرايا استتروا.. (ضاحكا) ما أقبحكم لكم ذيول كالخنازير..

(الخامس يقف. الشرطي يتفحصهم جميعا.. بسرعة ثم يقف بالباب).

الخامس : عندما تأتي، سنعرف أن المسألة عسيرة الحل، وأن الليلة حبلى، ستلد قردا و غرابا كبيرا.. (يجلس / يقف) أنا تأكدت من يوم الولادة (يجلس).

الأول : (ينتشر ضوء خافت في البار) إذا خرج، سيعرف أن رائحة المدينة لم تعد كما كانت من قبل.. كان برج ولادته السبع.. وضاع وحده في غابة مظلمة..

الثالث : (يختلطون.. ويتمايلون) أنا برجي فريد ووحيد.. لا يشبه البروج.

الثاني : كان يحب النهار.. إذا عاد لا مانع من أن تقول له كل شيء، وتحدثه عن المدينة والناس وسوق الخضر والقطط الصغيرة التي لم تجد منقذا في البيوت.

الرابع : اشربوا نخب الشروق والانعتاق..

الأول : استسمحكم .. أنا ذاهب للمرحاض.. لأتأكد من رجولتي.

الجميع : (يضحكون).

الثاني : إنهم في انتظارك.

الثالث : اسمعوا.. أنا شخصيا رجل في نظري.. أليس كذلك (صمت) أنت تحبها، وتحاول أن تضع قلبك فوق راحتها.. ولكنها ستخونك مثلما خانتني.

الرابع : أسكت أيها الملعون.

الثاني : كلهم ملاعين (يضحكون) (الخامس كالعادة يقف)
(الشرطي يدور ويفتش تحت أرجلهم بفضول زائد).

الخامس : ها أنتم ترون.. إنها لم تعد.. ولكني سأرفض مساومتها للمرة الثانية..
لن أرتدي لحية مثلما أرتدي حذائي (يجلس)

الأول : (يخرج متمايلا من المرحاض) لا أستطيع.. ولكني أعرف طريقي أنا
رجل.. من منكم يقرأ خطوط يدي..

الثاني : هو رجل.

الأول : ملاعين يا صديقي.. (النادل يتفرج دونما حركة وكذلك المرأة النادل)

الرابع : إنها تبحث الآن بعدما ركبت شعرها المستعار..

الأول : إيه.. أنتم أيها الرعاع.. ويسكي مدام.. (صمت) الكأس الأخيرة
يا سيدتي..
(يتحلقون حول الكونطوار) العالم برميل من السردين النتن
(صامتا).
(الثاني والثالث والرابع متعانقون) يرددون نفس العبارة.

الجميع : نحن براميل من السردين النتن (يتقدم الأول ويجلس متأملا وجه
الخامس، الذي يقف ويجلس دونما كلام).

الأول : ها أنا أقتحم خلوتك.. أيها الراهب المقدس.. أيها الصالح الميمون
(ضاحكا) إنسان يشبهنا ومع ذلك لم يتكلم غريب.. غريب.. اختار
صومعة بعيدة عنا.. للتعبد، العالم يا حبيبي برميل من السردين النتن
(صمت).
ألم يكلمك الله في هذا الباب (يقف ويجلس الخامس، يتابع الأول
كلامه).
أرغموني.. ولكني كنت طموحا.. ومات حصان أبيه العجوز
أرغموني..

الخامس : (يشرب ما بقي من كأسه) لن تأتي أبدا. سأسمح لنفسي بالانصراف
إنها قدرة.

الأول : (يتكلم..وفي حالة شرود، يتأمل وجه الخامـــس الذي ينصـــرف ويتبعه..
وهـــو يحبو)
العالم...، العالم.. عـ ،، عـ،، لـ،، ب ـة
الجميع : العالم..، العالم ..عـ،، عـ،، لـ،، ب ـة
(يتساقطون،، يتابع الأول زحفه إلى الباب وراء الخامس الذي انصرف)
(يدخل الشرطي، يتفحص بفضول زائد كل الساقطين.. ثم يصيح) : الوقت
يا مدام، باسم والي المدينة.. انتهى الوقت.. أطفيء الضوء،، حافظي
على روح القانون..

ينزل الستار

البحث عن رجل يحمل عينين فقط

البحث عن رجل يحمل عينين فقط

تقديم

هو الذي رأى ...

أكوبندي سالم

يتكون نص مسرحية «البحث عن رجل يحمل عينين فقط» من بابتين هما : بابة طيف الخيال، وبابة عجيب وغريب[1]. ونلاحظ أن المؤلف لم يعنون هاتين البابتين، وكأنه يريد أن يضعنا أمام بابتين مفتوحتين، غير أن شخصيات مسرحيته «البحث عن رجل يحمل عينين فقط» تفصح عن مثل هذا التمديد والعنونة، إلا أنه يرد في المسرحية إيبيلوج جماعي يطالب المخايل محمد شمس الدين ابن دانيال أن تكون البابة الثالثة هي بابة الحرب أو اللعب بالنار، والتي هي حسب هاذ الحوار «بابتنا جميعا»، وهذه البابة التي تطالب بها شخصيات المسرحية هي في الأصل بابة مستقلة، وتعتبر من أهم النصوص المكتوبة في مسرح خيال الظل، لأنها تهتم بالمقاومة ضد العجم، كما يوصي بذلك عنوانها الأصلي : بابة حرب العجم أو بابة لعب النار[2]، ومن هذا الإيحاء نستنتج مرجعية البابتين المعتمدتين في تكوين نص مسرحية «البحث عن رجل يحمل عينين فقط»كما أن شخصياتها تؤكد هذا حيث نجدها كما يلي :

- ابن دانيال

- طيف الخيال

- ميمون القراد

- طغرلبك

- هولاكو

- الضابط الغربي

- شيخ الدراويش

- الجارية

- الكهان (محددون في ثلاثة)

- الجنديان

- الحارس

- القاضي

- كركوزة الشيخ

- كركوزة الغريب

- كركوزة العجيب

- شخصيات أخرى.

حيث يكون ابن دانيال[3] الشخصية المسرحية بهذا النص هو مبدع البابتين الملمح إليهما كمكونين للنص، ذاته، إذ يلجأ المؤلف الكاتب إلى لعبة التمثيل من أجل تحريك الأحداث المسرحية وإعادة إنتاجها لجعلها في مواقف درامية جديدة، مما يجعلنا أمام مفهوم الأدرمة la dramatisation، وهي صيغة عملية في العمل الدراماتوجي، كما أن هاته اللعبة، هي ما يمكن أن نصطلح عليه باللغة الواصفة أو الميتا مسرح Métathéâtre، من أجل تقديم الفرجة المسرحية لأن الغاية منها ليس هو بالضرورة الحدث، بقدر ما هو خلف مسافة بينا وبين الحدث ذاته حتى نتعرف عليه أكثر وكيف حدث، ومن ثمة يتأتى لنا التفكير فيه.

شخصية طيف الخيال، فزيادة عن كونها عنوانا للبابة الأولى التي كتبها محمد شمس الدين بن دانيال، فإنه هو راوية أحداث المسرحية، لهذا يأتي في هذا النص كما في نص بابة ابن دانيال بلا ملامح.

* ميمون القراد شخصيته واردة بالبابة الثانية لابن دانيال، وهي بابة عجيب وغريب.

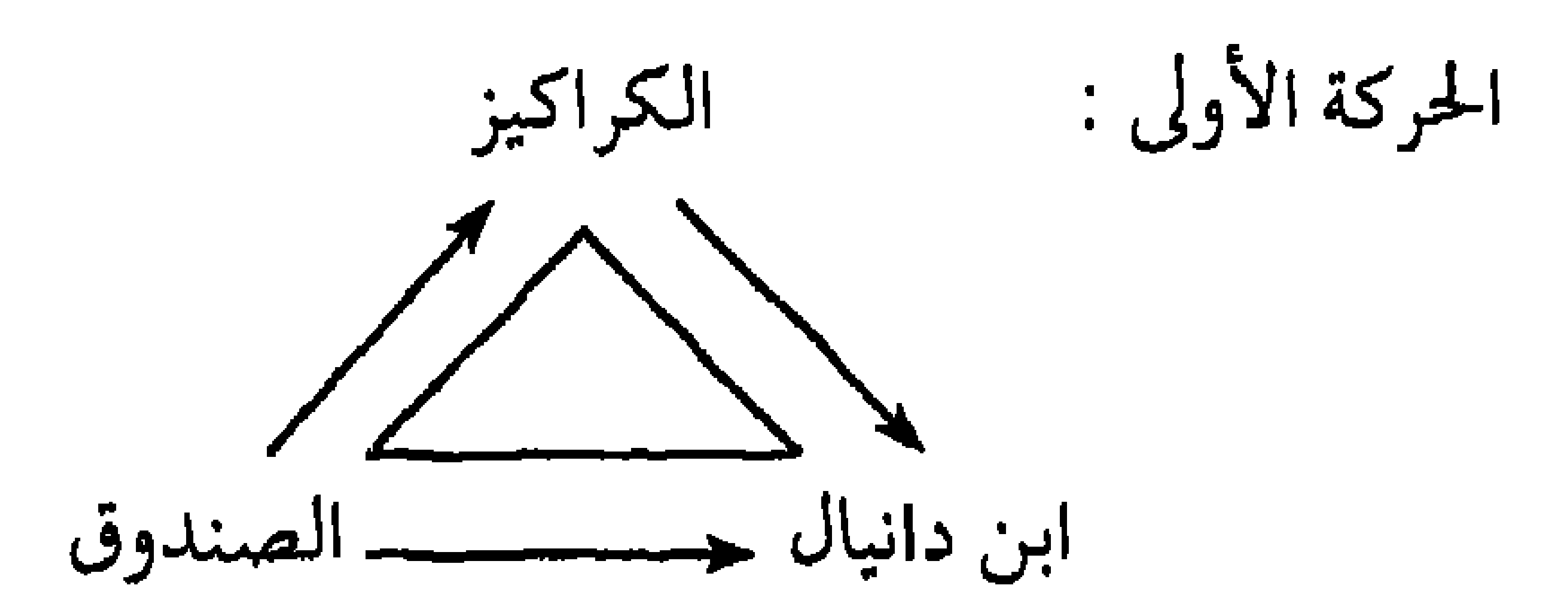
* الجارية هي العروسة في البابة الأولى لابن دانيال وهي الصانعة في البابة الثانية.

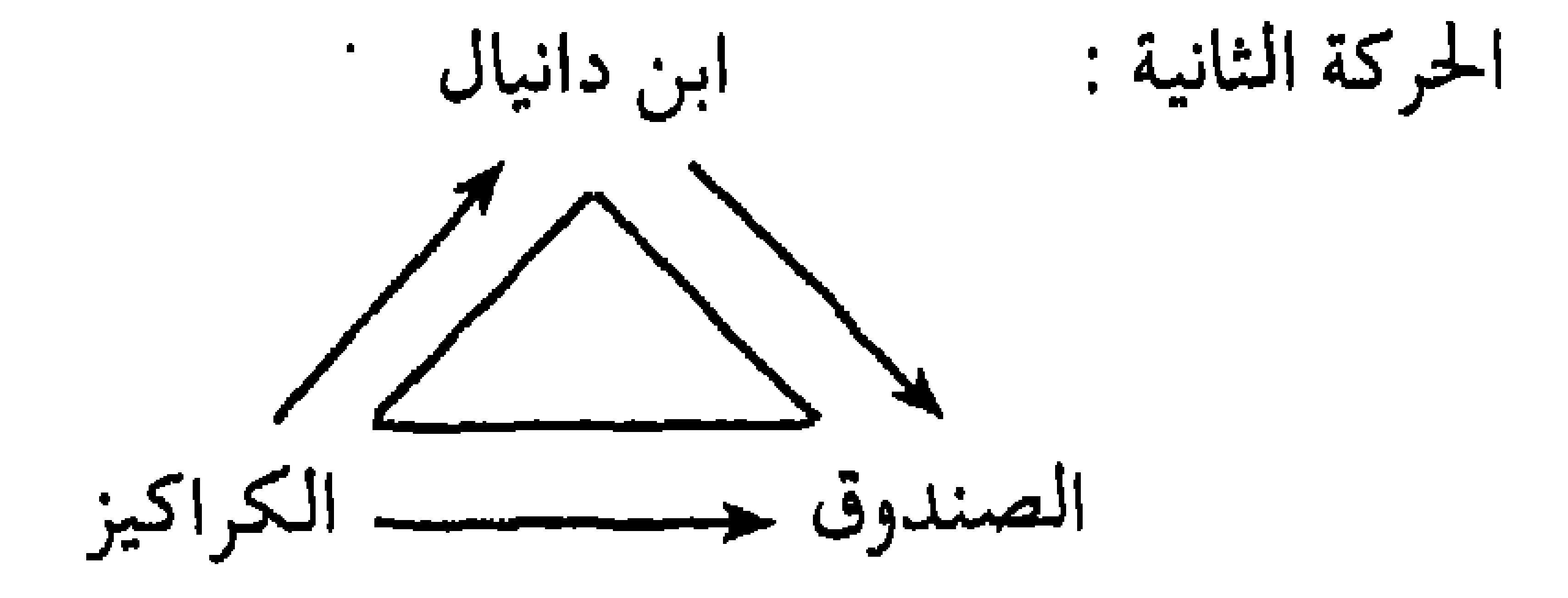
* القاضي هو بقطينيوس في البابة الأولى، ومقدم الأسى وهلال المنجم في البابة الثانية وزيهون في البابة الثالثة.

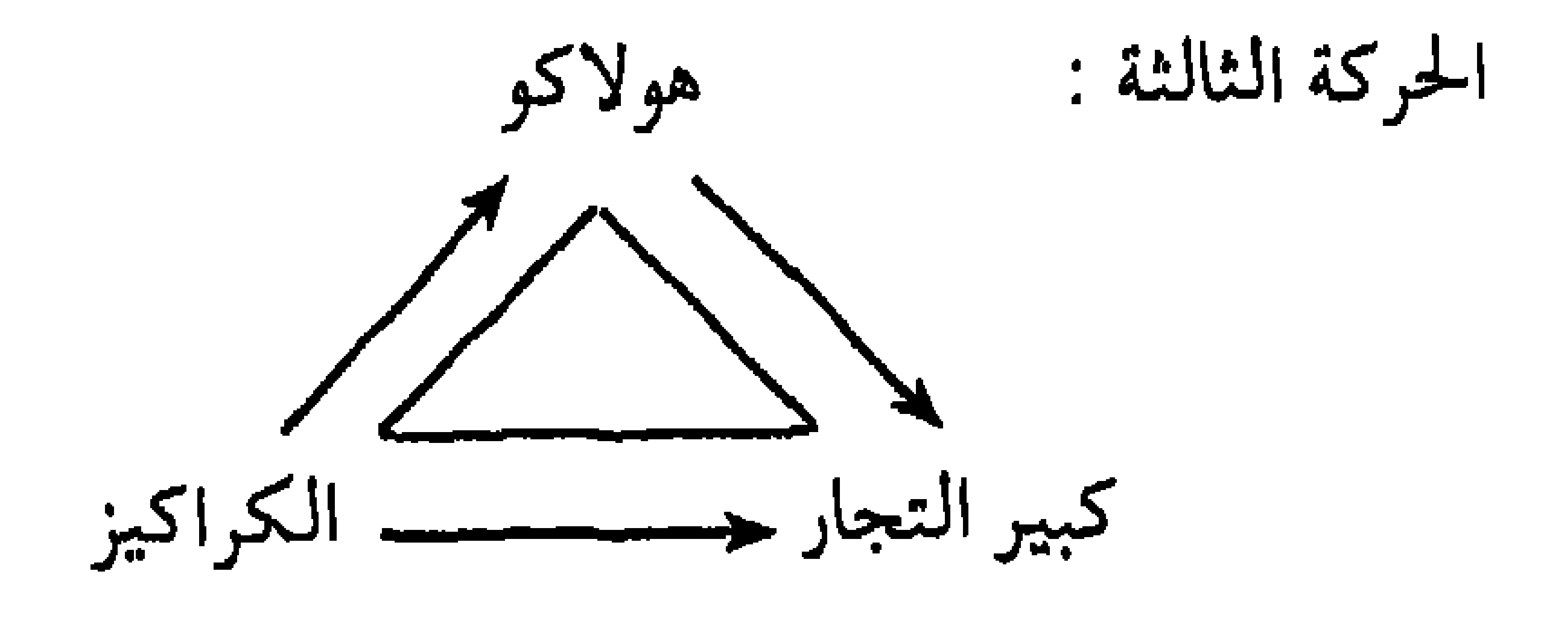
* ابن دانيال هو الشخصية المحورية في نص مسرحية البحث عن رجل يحمل عينين فقط، بل هو الرجل الذي رأى في مسرحية المسكيني الصغير والذي يلبسه فعلا بعد ودلالة المؤلف / المخايل، إذ يدخل في حوار مع شخوصه والتي هي من خلقه هو، مما يجعل لعبة التمثيل تتضح أكثر كمتخيل، حيث يتحول هذا اللعب إلى محاكمة، محاكمة الشخصيات لموجدها/ متخيلها، أصلا وهذه الفكرة تتكرر في كل النصوص المسرحية التي أبدعها المسكيني الصغير، خاصة مسرحية مذكرات رجل يعرفهم جيدا، شهرزاد، الزعيم / الجندي والمثال، ولعل الداعي لهذا الاستلهام يعود للمعطى النظري الذي تقدمه أوراق المسرح الثالث التي ينتمي إليها المسكيني الصغير والتي تجعل قاعدة هذه التجربة المسرحية هي التاريخ والتراث من منطق الراهن الذي هو العين الرؤية، وضمن هذه التقنية تحضرنا شخصية ابن دانيال بالذات، باعتباره كان مهتما بمهنة طب العيون الكحالة، وما اهتمامه بخيال الظل إلا لكونه فنا كان شائعا، ولعل ازدواج الصفة تنبثق هذه الرؤيا الآن وهنا مع المسكيني الصغير الذي استطاع أن يجعلها رؤيا لعصره هو، ومن ثمة فعل البحث عنه الذي استطاع حيث لن يكون إلا نحن التي تطالب بالبابة الثالثة بابة حرب العجم.

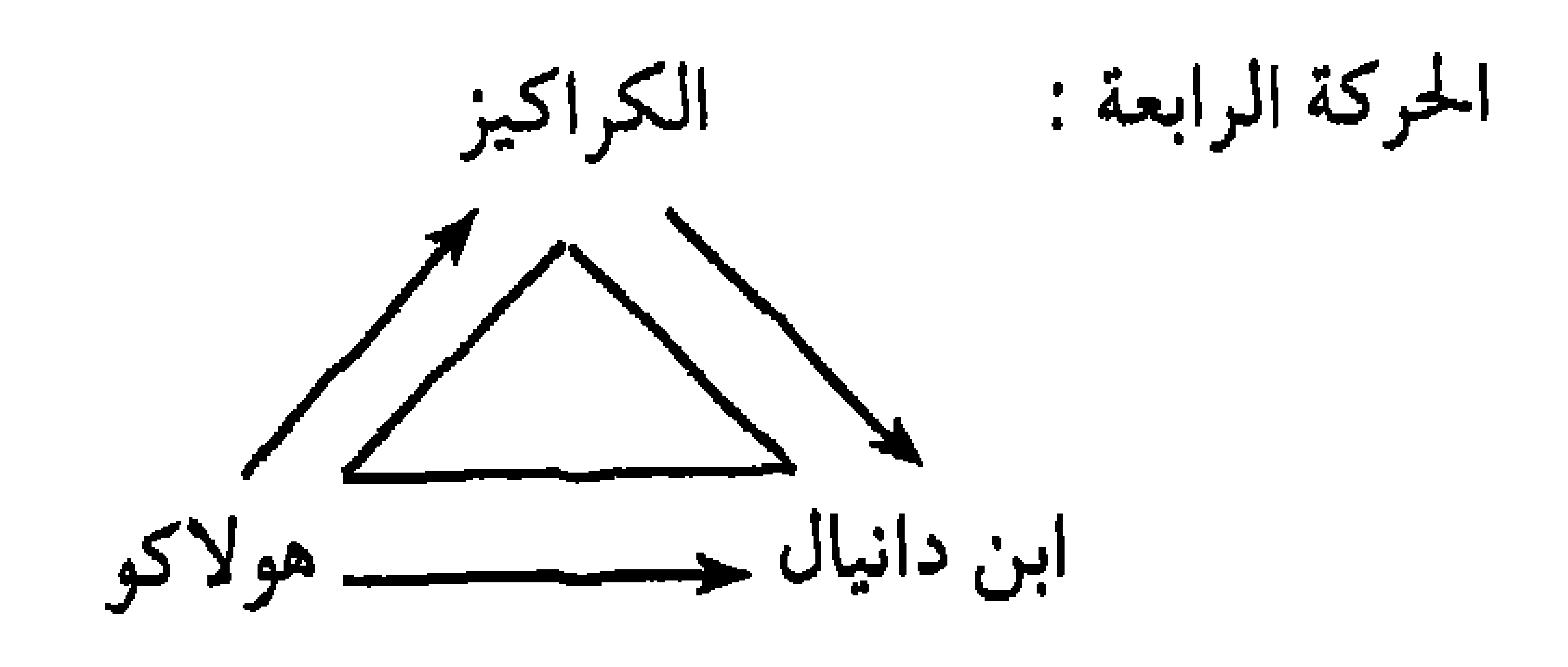
من هذه المعطيات يمكننا تقديم جميع ما تقدم، حيث نجد هذا التجميع يتركز في التمرد على واقع الخنوع، والاستسلام وزمن الردة والتراجع، مادام ماضينا هو ماض مجيد ولم ينتكس إلا بمعوقات تقتضي البحث عن من يحمل عينين، وعينين فقط ؟

ويمكننا توضيح تجميعنا هذا بالخطاطات التالية والتي نتتبع بها حركات النص المسرحي الذي نحن بصدده، حيث نجده ممثلا كما يلي :









وتبسيط هذه الحركات الأربع يمكنه اختصاره في الترسيمة التالية :

موجه	موضوع	موجه إليه	
الكراكيز	الصندوق	ابن دانيال	(الحركة الأولى)
مساعد	ذات	معارض	
الكراكيز	الواقع	هولاكو	(الحركة الرابعة)

أكويندي سالم

* هذا المدخل التقديم عبارة عن جزء من دراسة، بعنوان في قراءة عرض مسرحية البحث عن رجل يحمل عينين فقط.

1 ـ كلمة بابة تعني تمثيلية ظليلة، وهي بمثابة الفصل أو الباب من الكتاب، إلا أن صاحب كتاب «شفاء الغليل فيما كلام العرب من دخيل» يعتبرها نوعا أي جنسا أدبيا، ومنه قولهم اللعب خيال الظل ص57 من كتاب خيال الظل وتمثيلات ابن دانيال، للدكتور إبراهيم حمادة المؤسسة المصرية العامة أكتوبر 1963 .

2 ـ بابة حرب العجم، أو لعب النار، تنسب إلى ثلاثة مخايلين متأخرين هم الشيخ سعود، والشيخ علي النحلة، داوود المناوي، ورغم هذا، فإن هذه البابة أصبحت ملكا للفرق يتوارثونها مما جعلها تتعرض للإضافة والحذف، كما أن التباس مؤلفها جعلها ملكا للناس الذين يقدمونها أو يشاهدونها، وهي من أجمل النصوص المتبقية لنا، أنظر مجلة الكاتب العدد 202 السنة 18 يناير 1978، الدكتور محمد زكريا عناني، حول خيال الظل في مصر...) ص 20.

3 ـ شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي، ص 87 إبراهيم خمادة مرجع سابق.

شخوص المسرحية :

* ابن دانيال
* هولاكو + طغرلبك
* القاضي
* الضابط الغربي
* طيف الخيال
* كبير التجار
* الجارية + كركوزة
* كركوز الشاب
* كركوز الغريب
* ميمون القراد
* شيخ الدراويش
* الحارس
* كركوز الشيخ

بعض الأدوار الأخرى :

* المنادى
* رئيس م 1
* جندي 1
* درويش 2
* كاهن 2
* الوزير الحاجب
* رئيس م 2
* جندي 2
* درويش 3
* كاهن 3
* شيخ اللولب
* الصحفي
* درويش 1
* كاهن 1

البابة الأولى الوحدة الأولى

المنظر... صندوق الدنيا.

طيف الخيال : (كركوز صندوق الدنيا.. ينسل بتؤده كالشبح من عمق الصندوق يتأمل ابن دانيال الجالس بقرب الصندوق / العربة)

(الوقت فجرا.. وبصوت هامس غير مسموع) كعادتك.. الذكرى عذاب أليم يا معلمي، بطنها الموحش حابل بالحسرة والدموع واللوعة والعذاب، إحذر لسعة الماضي.

ابن دانيال : (بغير مبالاة يحدث نفسه).. هذه الأرض مرجل مشتعل.. (صمت).. بغداد السلام بغداد الكون.. بغداد المعشوقة يغتالها الأهل قبل ميلاد الفجر بسكين صدئه.. (صمت).. بغداد الخليفة والسلطان.. قربان لألهة المجوس ينحرها الشقاق في كل مساء (واقفا).. هؤلاءالغزاة ينصبون أنفسهم أمراء بتيجان من ورق.. يشحذون السيوف في الرقاب (صمت).. لعنة من نحمل، وغضب من يجرفنا نحو الهاوية كل يوم.. (صمت).. إنها طينة هذه الأمة.. هذه الأمة التي تعجنها أيدي المتنافسين وتجار أسواق النخاسة.. والقضاة والولاة المرتشون.. (صمت) لم تعد كل الطرق تؤدي إليك يا بغداد.

ط الخيال : (يقترب منه هامسا).. أنت كباقي الناس يا معلمنا الأكبر.

ابن دانيال : (يفاجئه طيف الخيال).. آه.. أنت تحضر في غيابهم.. تتعقب أثرى.. لماذا أتيت !؟

تخنق في خاطري الذكرى.. (صمت).. ابتعد يا طيف الخيال.. أنا لست المخايل العجيب.

ط الخيال : بائع خضر وخردوات بدون رخصة !؟

ابن دانيال : لا مكان لي في عيونهم وعقولهـم.. فضلت مداعبة بطـونهم.. لعلـي أفلح هـذه المرة.. (صمت) أسواق القيروان والقاهرة ترميني إلى أسواق دمشق، ودمشق تركلني إلى تلمسان.. وصنعاء تمنعني من الدخول.. حصار غريب يبتلع كل الأبواب والنوافذ.. (صمت).. وأنا أعشق الناس أحرارا.. ابتعد يا طيف الخيال.. (صمت).. التهم مهيأة وناضجة تنتظر أمثالك.. أسكن صمتك.. ودعني في وحدتي.. أحفر قبري المنسي في هذا الليل.

ط الخيال : تموت يا معلمي الأكبر شامخا كالنخلة.. إنه استشهاد الباسليـن.. في هذا الزمـن الغادر الموبوء.. (صمت).. أنت الذي أعطيت للكلام لغة الفجر وفعل العاصفة، ودورة الأرض والأقمار حول الشمس.. (صمت).. لكنك اليوم تتخلى عن كواكبك الصغيرة، ونجومك الصبية، تتخلى عن الحقل والمنجل والسواعد المعروقة.. (صمت).. من يزرعنا نورا في عيونهم حتى نذكي السواعد ؟. ودفئا في عواصمهم حتى يتحرر صوت أعماقهم من قيود الصمت ؟ تتركنا في رحم هذا الصندوق فريسة الرطوبة والأرضة... يأكل الصدأ منا الرموش والأصابع والسواعد.. دع الكراكيز تشخص مهزلة الدهر.. دعها ترقص على عزف العاصفة.

ابن دانيال : ابتعـدوا.. إنها النار يا كراكيزي الطيبة.. ابحثوا عن مخايـل رومي من الشـرق أو من الغرب.. هذه الأرض لا تقبل لغتي.

ط الخيال : وتنسـى أنك الحكيـم تكحـل عيون الناس.. تبعد عنهم ظلام الغربـة والصمـت والعدوى !!

ابن دانيال : سئمت مهنة الحكيم العارف.. وفعل الكحال.. كل العيون مرمدة.. لاترى خـارج أشفارها غير السراب.. عيون تبهرها المساحيق.. وتنسى أنها تحمل وجها ممسوخا.

ط الخيال : أنت كباقي الناس في بغداد والموصل.. في دمشق والقاهرة.. وأنت كأي رجل في مراكش وحضر موت.

ابن دانيال : لا.. لا ليتنـي أشبههم.. (صمت).. يحسـون الجـوع والظلم فيكتفون بلعـن الفاقة والشيطان.. لكنهم يلعقون بشراهة كل أنواع الاهانات، يتمسحون بالصبر كالقطط الجرباء.. خوفا من قولة الحق.

ط الخيال : الحق سيف يا معلمنا الأكبر.

ابن دانيال : مـن يرفع السيف المنتظر..ويحصـد هذا الطحلب الملفـوف فـوق الـرؤوس.. شارات وعناوين باهتة.

ط الخيال : كحل عيونهم ورموشهم يا معلنا، فعدوى العمى تفاقمت.

ابن دانيال : عيونهم لا ترى خارج أشفارهم.

ط الخيال : ربما كانت تفضل التغيبر بالقلب.

ابن دانيال : قلْب الحقيقة.

ط الخيال : أحمد الله أنك قرأت خاطري.

ابن دانيال : لا.. لا.. سأبقى بائع خضـر وخردة باليـة.. بدون رخصـة ومهددا (بالفوريان) بالسجن والشك فيما أبيعه للناس.

ط الخيال : بدأت تتكلم لغة القوم يا معلمنا.. (صمت) .. انسلخ وتناسخ في أجسام وعقـول كل الناس.. أنت كل الناس.. الأشكال والألوان والأحزاب كثيرة تتوالد كالفئران.. وتتكاثر وتنتشر كالطاعون في العالم.. (صمت).. اختر لونك يا معلمي.

ابن دانيال : أخشى أن تنتقل العدوى لمن أحبهم.

ط الخيال : اختر لونا.. الطيـور الشاذيـة ألوان.. السمـك في البحر ألوان.. الـريح ألـوان.. والخبز ألوان يا معلمي.

ابن دانيال : لكن الحق واحد.. (صمت).. الحق كماء الوضوء لا طعم ولا لـون له.. بأي لون أتوضأ من المرارة والهموم.. وكل الألوان المطروحة في السوق والإشهار تنقض الصلاة.

ط الخيال : الكراكيز في صندوق الدنيا تهترىء وتموت ببطء.. (صمت).. حياة الكراكيز في رقبتك.. (صمت).. أنت المسؤول.. صدقني يا معلمي الأكبر.. أنا لا أريد أن أتخلى عن دوري المتعدد.. اعجن طينتي.. وسوني على هيأة الطير والحيوان والإنسان والنبات. سوني عاصفة ورعدا ومطرا ينسى الناس السنوات العجاف.. سوني طفلا من يافا في عينيه ينام فجر سجين.. يرضع من تدى مثقوبة برصاص أخواله.. سوني شيخا فلت بأعجوبة من مدبحة دير ياسين أمس..وصبرا وشاتيلا اليوم.. ولا يزال يحمل في يديه مفتاح بيته المهدوم في القدس، يلوح بعدد القتلى من أسرته.. وجيله يدين الآن بلسان مقطوع تجار مكة.. ومجمع عكاظ السنوي في دمشق والقاهرة.. يدين كل بيوت الذعارة التي تستقبل في السر قاتل أسرته. (صمت).. أنا الكركوز المتعدد في همومي.. سوني يا معلمي مهاجرا مطرودا من أرضه الطيبة، يكنس الآن بيوت وقصور الأعداء.. يلحم قناطرهم المشقوقة.. بلحم عضلاته، ويغسل عفنهم بالدم والعرق.. من أجل كسرة خبز شريفة.. سوني يا معلمي الأعظم زوجا مخلصا يودع زوجته ليلتحق بالجبهة، ويجهل أن جثته، قد يبعث أوصافها للمغتالين في الطريق.

ابن دانيال : .. يكفي.. يكفي.. يكفـي.. أنت من خشب.. ولن ينفعك الأصرار في هـذه المدن الموبوءة.. من السهل أن تحترق ويذرون رمادك.

ط الخيال : .. أنا كركـوز.. أنا إذن كل الأشيـاء.. أنا الكلمـة والفعل.. والصـوت والحركة.. فلتحرك خيطي وراء الستارة.. دعني أفضحهم.. أطلق لساني.

ابن دانيال :.. ويحك.. كيف انطلقـت وحضـرت.. (صمت).. صدقني ياكركوزي، إنـك من خشب.. وستظل في رأيهم من خشب.. خشب تأكله النار والسوسة، قد تصبح في يوم من الأيام، إنس تكون قبقابا في حمام سيدهم.

ط الخيال :.. لا تنسى يا معلمي فأنا قد أصبح لهم مشنقة.. يعقدون بعنقي حبال الموت.

ابن دانيال : ليتني كنت المشنـوق الأول.. (صمت).. آه من يـزرعنـي نبتة بريـة في أرض معزولة، وبذرة أرتاح في حلقوم طائر.. قطرة ندى تسعف زهرة ظامئة.. (صمت).. من يزرعني يا طيف الخيال في عقول الناس فكرة مدهشة !؟!.. (صمت).. بعد الخليفة الرشيد يأتي المأمون، وبعذ أحفادهم يأتي الجند المشاغبون من الديلم الغرباء.. (صمت).. بغداد ضرع من حليب الله.. لن يحتمل أشداق النخاسين والمتآمرين في الليل.. (صمت).. لماذا سكت الفقهاء والقضاة عن إذانة المجرمين الدخلاء.. تكلم يا طيف الخيال.. (صمت).. القدس ملجأ الروح كقرطبة، وبيروت الحسناء كغرناطة، أين الفتوى الرادعة باسم الحق !؟ ..(صمت)..بغداد تسقط فتبكيها الحواضر ويسرق خراجها ليصرف في مواخير روما اللعينة.. فوق موائد القمار.

البابة الأولى الوحدة الثانية

(يسمع ضرب طبل وبوق.. شبح القائد السلجوقي طغرلبك... ابن دانيال ينتحي جانبا.. وطيف الخيال يراقب من بعيد).

طغرلبك : .. (ضاحكا. يخاطب ابن دانيال).. كعادتك تفكر في كتابة النص المسرحي القادم..أيها المخايل الوحيد...أنا فوق الخيال..وطيفي لا يشبه طيوف أبطالك.. أنا طغرلبك.. حضرت الآن وفي الحضور عبرة.. والعبرة جسر الماضي نحو الحاضر.. جسر الطيف يا معلم.. (ضاحكا بهستيريا).. أتيت بغداد الخلافة غازيا بعدما أغراني صراعكم الطويل ولياليكم الطويلة. استهوتني قصائد مداحيكم، ونزاع عشائركم.. فأحببت أن أكون الفيصل.. أحمل خراج أمصار الخلافة وأطيل خطبة الجمعة في العيد الأكبر.. ملك البر والبحر.. طغرلبك السلجوقي.. (ضاحكا) .. أريد أفواها مزمومة لا يفتحها إلا سيفي هذا.

البابة الأولى الوحدة الثالثة

(أصوات وضرب طبول.. أصوات تدعو إلى طاعة هولاكو).

هولاكو : .. ماذا أسمع.. من ينازعني بلاد العرب.. (يظهر شبحه بعين واحدة.. يختفي)

(طغرلبك هاربا).. من ينازعني بغداد الخلافة أيها المخايل العجيب.. طيفي ينسخ كل الطيوف.. حضرت لأن في الحضور عبرة.. العبرة جسر الحاضر.. جسر الطيف يا معلم.. (ضاحكا).. أنا هولاكو.. الملقب بموشى ديان.. أتناسخ في الأقوى والأدهى.. وفي بعضكم أحكم سيفي.. (صمت).. رقعة الشطرنج ليست في صالحك يا سلجوقي.. أنت وغيرك فوق الرقعة كجندي مقتول.. وبرج مهدوم.. وقائد خاسر مهزوم، أنا الطيف

الرابع إشيك.. لالا أريد حجرا أو زقاقا في مدن الخلافة إذا صهل.. حصاني، إشيك.. أريد هذه الأرض مسلوخةِ الجدران والقباب.. منتوفة الريش.. إيشيك.. أعشق أنهارهم وردة مصبوغة بالدم.. يا أيها الجند التتار، دمروا مكاتبهم أنسفوا الأبراج والحصون.. رقعة الشطرنج تنعى الخلافة والخليفة.. اشيك.. اشيك.. اشيك. (تسمع أصوات التدمير الاستغاثة.. يظهر رأس هولاكو فقط وهو يتابع المعركة من خلال الناظور).

البابة الأولى الوحدة الرابعة

عودة ابن دانيال وطيف الخيال

ابن دانيال : ماذا أرى يا طيف الخيال.. أسعفني بالعبارة.. الفناء بعينه.

ط الخيال : كراكيز غريبة !!..لم تكن من صنعك تشخص الواقع.

ابن دانيال : الواقع أكبر من الخيال.. هذا وجه الحاضر.. أطياف رومية بدأت تغزو مدن الخلافة.

ط الخيال : لماذا أقاموا يا معلمنا حدودا رادعة.. وطردوك من المسرح.. حرموك من جمهورك !؟ .. (صمت).. سأشارك في التمثيل.. هذا مشهد مفتوح.. أنا صاحب هذا الغازي.

ابن دانيال : الواقع أكبر من الخيال.

البابة الأولى الوحدة الخامسة

ط الخيال : (يتقدم ليشخص وزير هولاكو وحاجبه.. ضربات قرص النحاس.. تأذن بدخول كبير التجار وضابط غربي).. نحن في خدمتك يامولاي.

هولاكو : من يكون هذا القادم المتعثر في هندامه ؟.

ط الخيال : إنه كبير التجار.. جاء ليقدم لكم مفتاح المدينة الأولى.
هولاكو : ما اسم المدينة المفتوحة.
ط الخيال : فلسطين.
هولاكو : (يتسلم مفتاح المدينة).. حسنا.. أأدخلها بدون مقاومة !! (ضاحكا).. لكنني أرى شخصا غريبا يا حاجبي.. (الحاجب يخبره همسا) سأبقيك حيا يا رجل.. (لكبير التجار)..وسأجعلك مترجمي الخاص.. تعجبني وساطتكم في المعاملات.. (يخاطب الضابط).. أما أنت.
الضابط : نحن يا مولاي الممول الخاص.. ورئيس البعثة.. جئنا نحمل لكم مشاريعنا الجديدة.. نريد حماية البضاعة والسفن المبحرة..وأصدقاء البضاعة (كبير التجار يحرك رأسه موافقا).
هولاكو : دونكم أسواق المدينة (لكبير التجار).. ماذا تطلب منا ؟
ك.التجار : الوساطة يا مولاي في البيع والشراء.. وحمايتنا من نعرة الصعاليك.
هولاكو : كلام مسؤول !!.. (ضاحكا).. تبدو ساذجا يا كبير التجار.. من قال لك إن هولاكو الملقب بوشى ديان «نحن» يدخل من الأبواب الرسمية !؟!.. (يسلم المفتاح للضابط)..هذا ينفعكم أنتم اصنعوا منه نسخا ووزعوها على المغامرين في العالم.. ثم ضعوها في متاحفكم.. (ضاحكا).
الضابط : أشكركم يا مولاي ها قد تحقق الوعد.. (يهمون بالانسحاب جميعا).
ط الخيال : انتظر يا هولاكو.. فأنتم تحكمون باسم الآخرين في هذا الدور.
هولاكو : قل لصاحبك المخايل.. رقعة الشطرنج تتسع وأنا الرابح اذهب.. (ضاحكا). (يختفون جميعا.. ويعود طيف الخيال).

البابة الأولى الوحدة السادسة

ط الخيال : رأيت وسمعت يا معلمنا إنه كركوز لعين.
ابن دانيال : قلت لك دعني أدفن نفسي في صمتي.. (صمت).. خمسة قرون

كاملـة والأرض مرجل مشتعل.. الثثار رعب في الدم.. والخيانة تأكل ما تبقى من أهل المدينة.

ط الخيال : نعم.. تسع سنوات قضيتها يا معلمي فـــي مدينة الموصل الزاهرة. كـــان صهـد الجرائم يشوي خاطرك.. النكبة امتدت كالنار تحصد مدن الخلافة (صمت)..لم تعد تقوى على التفكير.. في كل يوم كنت تترقب المنقذ.. من يحمل السيف.. (صمت).. قل لنا يا معلم.. هل أنت نادم أم كافر بنعمة هذه الأرض ؟

ابن دانيال : ليتني أستطيع البوح.

ط الخيال : أرجوك يا سيدي لا تتركني لعبة فارغة.. أريد أن أشخص شيئـا مثمرا كالسنبلـة، وجارفا كالسيل.. ومزمجرا كالبركان.. حتى يتبدل وجه الأرض.

ابن دانيال : هذه مواضيـــع مرفوضـــة.. تمنعها الرقابة في المسرح.. وحتى في المحاضـــرات والندوات، وصاحبها ملعون زنديق.

ط الخيال : أرفض دور المهرج.

ابن دانيال : ميت وتطمع في الانتقام.

طه الخيال : الخيوط بين يديك.. وصوتي في حنجرتك رابض.. وعينـــاي جزء من بصيرتك..

(صمت).. متى تكتب دوري القادم !؟.. (صمت).. ها أنت الآن في مصر.. هاجرت.. تريد أن تنسى النكسة.. يقال يا معلمي أن حاكمها أمر بإقامة حدود جائرة.. (يقترب منه) .. الكلام ممنوع.. والخمر كذلك ممنوعة !!

ابن دانيال : حاولت أن أنسى فتذكرت المـرارة، مصر الحلم ليست هي مصر الكلمـة، والخبز البريء، كانت في خاطري نخلة العمر، وزيتونة قنديلي، خرساء تموت.

ط الخيال : ظللت بها تختلس اللذات من أجل أن تتغلب عن الصمت.

ابن دانيال : إنك تفضحني أمام الزملاء.. كنت أحتل عصري ويحتلني صادقا.
(يدخل ميمون القراد.. بعد أن أنسل من الصندوق شبه سكران.. يغني أغنية شعبية مشهورة).

م. القراد : (بعد أن يلمح أبن دانيال).. معلمـــي شمـس الدين محمد ابن دانيـــال ابن يوســف الخزاعي الموصلي يسهر وحده.. ينادم من.. (يمسح عينيه).. ماذا أرى.

ابن دانيال : سكران وحدود السكر مؤلمة.

م. القراد : أخطـأت في حقي يا معلمـــي.. أنا «مقرقب».. أنا سكـران بآلة العصر..أقصـــد بلغتهم، ابتلعت حبوبا ممنوعة..يبيعها عطار خاص!!.. (صمت).. أنا في هذه الحالة احتال على القانون.. (صمت).. أنا الآن أقع بين منزلة العاصي والبريء.. (صمت)..من يتهمني بالسكر أخطأ في حقي مرتين !!.. أنا أداوي رأسي فقط..وهذا جوفي خال من دخان «الروج» اللعين.. (يفتح فمه).. آه من الميكة اللعينة.

ط الخيال : سكران حسب الموضة.

م. القراد : أسكت أنت.. (صمت).. إذا شنقت يا معلمي ووضعوا الجرة الوهميــة فــي عنقــي فالبقية في حياتك.. (باكيا).. ميمون القراد.. إذا مات شنقا.. وترك قرده المسكين.. (صمت).. أوصيك يا معلمي فقردي يفضل «الشكولاتة» المستوردة.

ط الخيال : هذا ليس طعام الفقراء..والممثلين.

م.القراد : اسكت أنت..مادمت قدمت فلماذا أبخل عن قردي الوارث بوصيــة ممتــازة !؟.. (صمت).. أريد يا معلمي أن أفعل خيرا في الدنيا.. يذكرني به قردي.

ابن دانيال : أنت الأخر تحمل هموما

م.القراد : عاطل عن العمل

ط الخيال : لا مكان للممثلين !!

م. القراد : منذ مدة وأنا أنتظر.. (صمت).. ماذا يفعل عاطل مثلي.. مهنته الناس.. كان يعمل في مسرحك قرادا.. (صمت).. كأي عاطل منبوذ في هذا العالم.. بدأت تخامرني شكوك وأفكار سوداء!؟! (صمت) أريد أن ألعب في النهاية دور صعلوك خارج عن القبيلة الجاحدة.. (صمت).. أما أدوار الحب فأنا لا أحمل قلبا مصريا وعاطفة هندية.. يا معلمي.

ط الخيال : ماذا تريد أن تقول.. إذا كنت غير مرغوب فيك.

م. القراد : .. أصرخ.. ارفعوا الحدود عن العاطلين.. (صارخا)..

ط الخيال : .. الحديث في السياسة ممنوع.

م. القراد :.. أنا أتكلم على الخبز.. وفي الخبز يا غبي.. لا حرج على الجائعين.. من مات جائعا أخرس يتحمل جريمة جوعه كل الصامتين !! (صمت).. متى تفكر يا معلمي الكبير في الكتابة.. كتابة مسرحية مشتعلة كالفرن تنضج خبز الفقراء.

ابن دانيال :.. هذا أقوى مني.

م. القراد : نحن الكراكيز.. نود أن نقول لكل الناس الطيبين سر الأشياء المعروضة خلف الواجهات.. نفسر لهم خطبة الجمعة... وأسباب اللقاءات.. وانعقاد المؤتمرات.

ابن دانيال : الواقع أكبر من الخيال.

ط الخيال : دعنا إذن نكشف الوجه والقناع.. ونفرق بين الصدفة والخديعة.

ابن دانيال : لا أرى غير الأقنعة يا كراكيزي.. تحرروا مني.

م. القراد : في حريتنا الموت.

ابن دانيال : كل المدن تعانق جراحها.. لكن جرح القدس غائر.

ط الخيال : بدأت أرتوي من همك الأكبر.

ابن دانيال : (يغير صوته في إلقاء شعره)

ما عاينت عيناي في عطلتي... ادبر من حظي ومن بختي قد بعت عبدي وحماري... أصحبت لا فوقي ولا تحتي.

ط الخيال : مازلت أذكر مشادتك مع زوجتك..(صمت).. لم يقدر القاضي انشغالك بالمسرح.. والتزامك بهموم الناس.

ابن دانيال : كنت أفكر حينها في كتابة بابة جديدة.

م. القراد : دعنا في هذا يا طيف الخيال دعنا نشخص قصة معلمنا.. (ميمون القراد. يشخص دور القاضي وطيف الخيال زوجة ابن دانيال).. أنا القاضي عفلق لا أحس ولا أشفق.. تقدمي يا امرأة.. أعلني مظلمتك أمام الملإ.. نحن العدل حتى نثأر لك من الظالم.. ونقتص منه.

ط الخيال : زوجي يا سيدي القاضي يخونني مع المسرح.. في الليل والنهار.

م. القراد : اخجلي يا امرأة.. هذبي لغتك.. واضبطي مخارج الحروف.. أنت أمام قاضي المدينة، المرشح في الدولة القادمة، ليصبح قاضي القضاة.. ماذا تقولين !؟ المسرح ليس اسم أنثى !!.. ولا ينطبق معناه على شكل امرأة.. في قدك وجمالك.. نعم.. اضبطي مخارج الحروف.. فالمسرح اسم مذكر ممنوع من الصرف.. فهو في هذه الحالة لن يصبح ضرتك ؟! نعم.. تريدين أن تقولي أن زوجك المسرف الخائن يستأنس بغلام اسمه المسرح ينادمه ليلا ونهارا.

ط الخيال : أقصد يا سيدي القاضي.. زوجي يخونني مع المسرحيات في فندق وسط المدينة اسمه المسرح.

م. القراد : الآن فهمت.. نعم.. وصلتني أخبار هذا الفندق الغريب والزندقة الملعونة لا أبقاه الله.. هناك يفتضون دون حشمة وخجل وقار بكارة الحقيقة.. (صمت) إني أستغرب كيف سمحت لنفسك بالزواج من رجل مزواج مسحوق.. والشريعة لا تسمح إلا بأربعة وفي حالة العوز وعدم العدل بينهم فواحدة.

ط الخيال : كنت ضحيته الوحيدة.. كأنك يا سيدي القاضي كنت معنا في البيت.

م. القراد : أنا في كل البيوت.. إلا بيوت هؤلاء الزنادقة.. (تبكي).. ارحمي عينيك الكحيلتين.. (صمت) ما اسم زوجك المدعى عليه!؟.

ط الخيال : شمس الدين بن عبد الله بن دانيال الموصلي الخزاعي.

م. القراد : أعرفه جيدا.. مثل هؤلاء يا امرأة لا يمكن أن تغفل عنهم عين السلطة.. ملفاتهم سوداء كالقطران.. يفضحون الناس.. وينتهكون حرمة الصالحين منهم.. (صمت) نعم فإلى جانب تهمة الإهمال سأضيف إلى ملفه الأسود تهمة الزندقة والتشهير بالورعين.. أنا الآخر شهر بي.. اتهمني بالرشوة وأنا الرجل المخلص الورع والمرشح لمنصب قاضي القضاة.. والذي لا يقبل الهدية.. من أقرب الأصدقاء إلا على مضض والله يشهد !؟! ومع ذلك لاغفر الله له شرح جثثي تشريحا مؤلما.. ولم يكفه هذا، جعلني ضعيفا.. جبانا.. كقط أمام زوجتي.. وأنا.. أنا القاضي الذي لا يثق في كلام النساء.. أبدا.. ومع ذلك سأحكم لصالحك وأقضي حاجتك.

ط الخيال : أطال الله عمر سيدي القاضي.

م. القراد : اذهبي الآن... سأوصي بسحب الرخصة منه وهدم مسرحه وإلقاء القبض على جميع المسرحيات المستهترة وزج الجميع في السجن !!.. (ضاحكا).. عبرة لمن يعتبر.. (ينتهي التشخيص).

ابن دانيال : عانيت من جهل الآخرين.

ط الخيال : وصدر الحكم بحرمانك من صوتك ولغتك.

م القراد : لكنك لم تسكت.. هجوته وزدت التشهير به قائلا... قل للقاضي الفسوق والأدبار، عضد البله عمدة الفجار.

ابن دانيال : لا.. لا.

م. القراد : ثم أضفت.. والذي قد غدا سفينة جهل، وله من قرونه كالصواري.

ابن دانيال : لا تكمل القصيدة، وإلا اتهموك بالقذف في ذات العدالة.

م. القراد : لو تتركني يا معلمي لصرخت.

ابن دانيال : (يلقي شعره)..

مازلت في طوري أخاطب ذاتي... من غير طور ولا ميقات... حتى تفقهت الخطاب كأنه.. قد كان يسمع من جميع جهاتي.

ط الخيال : وازداد همك.. وتداخلت الألوان في عينيك يا معلمنا.

ابن دانيال : (يلقي شعرة بتؤده)..

بعدما كنت من ذكائي أدرى... أن بابي من صنعة التجار... أحرز البيض قبل أن يكسروه... أن فيه البياض قبل الصغار.

ط الخيال : وهل يوجد تحت القشرة غير البياض والصفار يا حكيمنا.

م. القراد : يوجد قردي يا غبي !!

ابن دانيال : تحرروا من الدوامة يا كراكيزي الطيبة، ابتعدوا عن لهيب النار.

ط الخيال : لنبحث عن جمهور يفهمنا.. (صمت).. ناد يا ميمون القراد قردك.. دعه يستنفر الكراكيز.

م. القراد : (صائحا).. يا كراكيز العالم مزقي الستارة.. واعلني الإشارة.. لا ضوء إلا ضوء الشمس.

ابن دانيال: لا.. لا.. تفعلوا.

(تسمع همهمات أشباح الكراكيز وهي تنسل من عمق الصندوق).

الكراكيز : (بصوت منسجم)

نحن الكراكيز الخيالية... عشنا زمنا ضائعا في الصمت.. عشنا بلا لسان، هذا زمن الفعل.. الصمت.. عشنا بلا لسان، هذا زمن الفعل.. الصمت إذانة، الصمت جبن... الصمت مقبرة الواقفين، هذا زمن الفعل.. زمن الرافضين.

ك الشيخ: (يتقدم ليشخص حواره) أنا الشيخ نباته العشاب.. بالأمس القريب كنت أتقمص دور العارف بأصول وعروق الأوراق والأزهار... أصنع منها دواء الحمق والشجاعة، حبوبا فاعلة سحرية.. تقلب البغضاء

محبه... تنشر بين جميع الأنام المحبة والسلام... ها أنا أشيخ قبل مفعول الحكمة.

ك الشباب : وأنا الفتى الأول في كل النصوص المسرحية الممنوعة..عاطل أحلم في النهار.. لكني في هذه المدينة متهم بالتفكير والكتابة على الجدران... وتكسير الواجهات !؟!

كركوزة : ولدت بعد موت أبي... كنت أحلم بدمية ألعب بها دور الأم والطفلة، لكني كبــرت في مقاهي المدينة... أبيع للغرباء والسياح مكانا في جسمي...ليلة أو ليلتين، في كل مرة كنت أخسر في تجارتي... الخبز في هذه الوطن أكبر من الكرامة.

ك الغريب : أنا اسمي الضائع...لا هوية ولا عنوان أنا كل الأدوار ولا دور لي، ألبس الطموح والقهر، أنا الكل... تجدونني في الشوارع ماسح الأحذية.. (يشخص حواره)... تمسح ...هل تمسح يا سيدي غبار الدنيا... أمسح حذاءك... أمسح ذنوبك... أمسح ضياعك... فأنا منديلك... أمسح أمسح هل تمسح حذاءك... تجدونني شحاذا... (يشخص) صدقة... الله يعطي لماذا لا تعطوني صدقة...في جيوبكم بعض من دراهم أبي... أيها السادة أعطوني صدقة فالجوع لا يرحم... أعطوني صدقة لكي تبقوا أغنياء... أنا الفقير وأنتم الغنى (صمت).. تجدونني في شوارعهم متشردا حافي القدمين أفيق في الصباح... أهرب من زوايا المدينة الباردة... أهرب من الشرطة، أغرس من جديد جسمي في أزقة المدينة تائها... لعلني أنمو غرسا جديدا... (يشخص التيهان وسط المدينة) ... أو فكرة ملهمة تلهم المبدعين المتخمين.. تلهم المصورين والشعراء وبعض الصحافيين، جرائد الدنيا تحتاجني... صورة ناطقة للبرهان والحجة... فأنا الذي أضمن مقالة البيع... أنا الكل... بعض من جدران المدينة وأرقام بيوتها.. أتسكع في عيون الناس، بحثا عن حرف من مداد يصوغني منجلا أحصد به شجرة الحنظل بحثا عن

فلاح، يزرعني قمحا وشجرا يخصب تربه الأرض.. أنا الكل.. أنا المطلوب والحجة لكنني لا أساوي عندهم غير الشفقة الباهتة.

ابن دانيال : كركوز عجيب !!

ك الغريب : ولدتني الصدفة يا معلمنا.

ط الخيال : اعترف أنك جئت لتتسقط أخبارنا.

ك الغريب : أنا أنتم.

م. القراد : (غاضبا).. أين اختفى قردي يا جماعة .. الوحيد الذي رفـض الحضـــور.. القرد إنسان ممسوخ (تضحك الكراكيز).. كان ينظف رأسي من فضول القمل والبرغوث وينسيني ألم المسبغة.

الكراكيز : اجمعنا يا معلمنا في بابة جديدة... اصنع منا شيئا عجبا.

ك الشاب : لنشخص الحرب والسلام.

ك الشيخ : الحصار والمجاعة.

كركوزة : نمثل ما يجري في المؤتمرات.

ك الغريب : نشخص الغربة.

الكراكيز : نحن الحرف والجملة واللسان.. نحن مناجـل تحصد شجره الحنظل.. اعطنـا دور الشمعة والقنديل.. دور الفأس والعاصفة.. دور الشمعة والقنديل.. دور الفأس والعاصفة.. دور المطر والسيول والأنهار.. دور الفجر والنهار.

ط الخيال : لنبدأ الموضوع.

م. القراد : لكن قردي لم يحضر.

(الجميع ينقسمون إلى مجموعتين)

رئيس م 1 : (الكل يتجمهر أمامه) أيتها الجماهير الواعدة... (يخطب بطريقة مضحكة) بعد أن أحرزنا على ثقتكم.. بعد أن تفوقنا التفوق الملحوظ.

الكراكيز : (تردد).. وبعد أن.

رئيس م 1: نظرنا في المشكل القائم.

الكراكيز : (تردد)... وبعد أن.

رئيس م 1: تابعنا وما نزال نتابع نقاشنا لحل المشكل القائم والسلام.. (تصفيق)..

رئيس م 2 : (يتجمهر الكل أمامه).. أيتهـا الجماهيـر.. يا جماهير هـذه الأمـة العظيمـة، الأن اتضح الخيط الأبيض والأسود.

الكراكيز : الأن.

رئيس م 2 : نحصل على النيابة عنكم.

الكراكيز : الأن.

رئيس م 2 : نؤكد لكم ما اتفقنا عليه.

الكراكيز : الأن.

رئيس م 2 : اتفقنا.

الكراكيز : لم نفهم شيئا !؟!

رئيس م 2 : اتفقنا.

الكراكيز : لم نفهم شيئا !؟!

م. القراد : (يستيقظ من نومه) ... لم يحضر قردي ليفسر لكم.

ط الخيال : لنبدأ الموضوع.

(الكراكيز تشكل سيارة تهبط منها شخصية اللولب ... يلتقي به صحافي منهم..)

الصحافي : تشاركون يا سيدي للمرة الألف.. في مؤتمر الإجماع فما رأيكم في مؤتمر الواحد بعد الألف.

ش اللولب : (يتكلم بتأنث).. أنا في الواقع أحـب ألف ليلة وليلـة.. ومعجـب بهذه المقارنـة، ومؤتمر الألف والواحد بعد الألف.. هو في الواقع تقليد ناجح نابع من طبيعتنا.

الصحافي : هل تحملون بعض المقترحات البناءة إلى مؤتمر الإجماع !؟

ش اللولب: نعم.. نعم.. المؤتمرات السابقة علمتنا كيف نحتفظ بالنقاط البناءة، ها أنا بالمناسبة أحمل حلولا جدرية لكل القضايا المطروحة.. المطلوب

هو أن أجد آذانا تسمعني.. أول مقترح يتعلق بإلغاء البطالة والجوع والمرض.. ثاني مقترح بإلغاء القتال والإقتال البدائي، أو ما يسمى «كول فيا نكول فيك» ثالث مقترح.. التقليل من زيادة النسل.. وذلك عن طريق تصدير اليد العاملة للبلدان الصديقة والرفيقة... أما بالنسبة للمشكل الأساسي فقد قررنا أو قل أنا الذي قررت... وسأقترح هذا.. أي اقتراح إيجاد نشيد مشترك يجمع كل الأخوة.. كما اقترحت في أوراقي هذه وضع جائزة لمن يلحن هذا النشيد .. التلحين الذي يليق بأحزاننا.

م. القراد : (يصحو من غفوته).. هذه المرة فهمت.

ش اللولب : أحتج.. هناك إحباط للمقترحات البناءة التي قدمتها بلادي.. وبهذه المناسبة أقاطع مؤتمر [illegible] والواحد بعد الألف.

الكراكيز : (يستعطفون).. لا... لا... الله يخليك.. وجودك ضروري.. صوتكم ضروري.. إلخ.

الصحافي : ما هي تصوراتك لهذا الخلاف القائم... هل هناك فكرة في عقد مؤتمر آخر، يتم فيه الإجماع عن الإجماع.

ش اللولب : نحن نفكر بعد مقاطعتنا لمؤتمر الإجماع، في عقد مؤتمر آخر يدعو إلى الإجماع، وهمنا الأكبر أن نجمع أكبر مجموعة في الإجماع لكي يتحقق الإجماع في قضيتنا المصرية.

(ينتهي التشخيص)

ط الخيال : لنبدأ الموضوع.

ابن دانيال : يكفي... يكفي.. هذه أرض الحنظل.. من أراه يسمعكم في خرائب بيروت في القدس المطعونة في البطن.. في المدن العربية المقبورة.. الكل يمضغ الحنظل واقفا وماشيا.. والخليفة هولاكو يتناسخ فينا كالعدوى... يحتل منا العقل والطربوش.. سراويل وأحزمة.

الكراكيز: الفعل ليس كالكلام... علمنا في البابة القادمة.. أن نطلق

الرصــاص ونسقـي زيتوننا بالدم.. الفعل ليس كالكلام.

ابن دانيال : (يسمع أصوات طقطقة أقدام).. انتبهوا... جند هولاكو.

الحارس : (يحمل فانوسا... يرتدي لباسا غريبا وهو بعين واحــدة.. فــي هذه الحالة تكون أشباح الكراكيز غير منظورة).. أشم رائحة حي في الظلام!! (يقترب من أبن دانيال) كتلة من اللحم الأدمي ... ماذا تفعل هنا !؟

ابن دانيال : عابر سبيل.

الحارس : العبور ممنوع (يشمه).. لا تكذب حاسة شمى.. أنت واحد منهم.

ابن دانيال : أنا واحد من نفسي، أختصر الطريق إلى السوق.

الحارس : اختصار الطريق ممنوع.

ابن دانيال : (يوجه كلامه إلى الكراكيز) .. لم تصدقوني.

الحارس : تكلم من... أنت إذن جماعة.

ابن دانيال : أنا وحدي مع هذا الصندوق.

الحارس : بأمر حاكمنا هولاكو... وباسمه نسحبه منك "للفوريان" (للسجن).

ابن دانيال : إنه صندوق الدنيا.. صندوق الناس.. صندوقهم !! (تسمع همهمات الكراكيز).

الحارس : ماذا أسمع.. أنت تحمل أشياء ممنوعة في هذا الصندوق الغريب !؟ (يتحرك الكراكيز وبصوت منسجم).. أنت جماعة في واحد، كنت تريد أن تسطو وتتربص لشخصية مهمة.

الكراكيز : حرك خيوطنا يا معلمنا.. علمنا في البابة القادمة. أن نطلق الرصاص... ونسقي زيتوننا بالدم.

الحارس : (يهرب خائفا).. ماذا أسمع.. أنت جماعة.

الكراكيز : كحل عيونهم يا معلمنا.. أكتب أدوارنا الجديدة افتح الستارة... وأعلن الإشارة.

ابن دانيال : لا.. لا.. لا.. لا أستطيع أن أخاطب من يحمل عينا واحدة !؟!

الكراكيز : (تحيط به مرددة).. اعطنا دور الشمعة والقنديــل.. دور العاصفة والفــأس، دور المطر والسيول الجارفة.. دور الشمس.

البابة الثانية الوحدة الأولى

الكراكيز مشنوقة ومصلوبة أمام باب المدينة

المنـــادى : (بعد ضربات الطبل.. المنادى بعين واحدة) .... يا سكان البابة الثانية. هذا بيان مهم من وزارة خيال الظل.. باسم حاكمنا الموقر المهيب هولاكو.. الملقب بموشى ديان.. (يحك عينه المغطاة).. اسمعوا من رأى منكم شخصا.. أو شبه له.. أو أشخاصا أو سمع عنهم... أو .. أو.. أو.. أو.. مائة مرة. يحمل أو يحملون أكثر من عين واحدة !؟! خلافا لحاكمنا موشى ديان. فليسرع بالإبلاغ عنه... إلى أقرب مركز للشرطة أو مكتب للبريد.. أو أية سفارة صديقه أو خطيب الجمعة في جامعكم... فللمخير الذكي جائزة تقديرية.. (يختفي وهو يردد الإعلان مع ضربات الطبل).

ابن دانيال : (يتكئ على عكاز يتفرج على كراكيزه المشنوقة والمصلوبة).. كم كنت أنصحكم بالابتعاد.. حرمت منكم.. حرمت من الماء والكلام.. سامحوني يا كراكيزي الطيبة (ينظر إلى كركوز مصلوب).. أنت كنت تشخص الفلاح المقهور الذي يحلم بفيض من السكر والشاي.. وبطفل يرعى شاته الحلوب، كلما طلت في الأفق سحابة (لكركوز آخر).. وأنت كنت أرى فيك الشاب الرافض.. آه اسمحوا لي جميعا ربما أخطأت في الكتابة أخطأت في حقكم.. صدقوني لا أستطيع أن أصبغ وجهي وأرقص بأذنين مغلقتين..وأنين هذه الأرض يهز أعماقي.. حاولت.. حاولت.

(يتحول المشهد.. حيث هولاكو بعين واحدة وبجانبه حاجبه الوزير)..

هولاكو : (صارخا)... ابحثوا عنه بالإبرة.. إنه العدوى الوحيدة.. الباقية.. سوف يثير الصامتين.. ينظف آذانهم المغلقة.. آه.. أنتم لا تعرفون غليان الصعاليك..تكلم..(للوزير الحاجب) ألم أمرك بتخريب قراهم في الجنوب والشمال والبحث عنه ؟

الوزير : نحن في انتظار المعلومات يا سيدنا الأكبر.. عن تفكيره.. وعن ارتباطاته السرية بهذه الأرض.. فليهنأ بال سيدنا.. سوف نفصله عن هذه الأرض.. ونقطعه من رحمها كما يقطع حبل الصرة بين الأم وطفلها.

هولاكو : أريد مفاتيح المدن العربية كلها.

الوزير : هي في الطريق.. (يضرب قرص النحاس.. يدخل كبير التجار حاملا حزمة من المفاتيح).

هولاكو : (ضاحكا بهستيريا).. أريدها.. أريدها.

ك التجار : (ساجدا).. باسم التجار والوسطاء.. باسم الأبناك والأسواق المفتوحة، أقدم لكم يا سيدنا الأكبر.. مفاتيح كل المدن العربية، المجد لو أيزمن.. المجد لأمكم كولد مايير، طوبي للحبيب بيكن.. طوبي لهرتزل.

هولاكو : حسنا.. (يقبض حزمة المفاتيح).. أنتم بالفعل شعراء !؟! شعراء شعراء فطاحل.. الشعر خبزكم وعقلكم المهووس (صمت).. إلي بكهان الكينيست ومنجيميه.. أريد أن أتأكد من صدق هذه المفاتيح المهزومة (ضاحكا).. وأرى ما تخبئه أبواب كوكب السعد المفتوحة، أرى المستقبل مقبلا نحوي.. وأراهم ساجدين كعادتهم.. آه يعجبني شعر المنهزمين وهم يصنعون منه حصونا صامدة.. وأسلحة فتاكة رهيبة

(ضاحكا).. أنشدوا قصائدكم واكتبوا ما شئتم.. أنا.. أنا هنا (ضاحكا مرة أخرى يضرب الحاجب الوزير القرص بأمر من هولاكو. يدخل الكهان بلحى طويلة بيضاء ولباس غريب.. من الممكن تصور لباسهم حسب أهمية التشخيص بحيث يرتدون ألبسة جد متقدمة قد تشخص الخيال العلمي).

الكهان 3 : (ساجدين).. المجد لكم.. نحن الكنيست.. نحن الكنيست.. نحن الكنيست... حائط المبكى.. عقل العالم.. ومدار الأفلاك شالوم.. شالوم.. شالوم.. شالوم..

هولاكـو: حسنا يا كهان الكنيست. لنضحك هذه المرة أمام حائط المبكى.. ونكفكف الدموع، هذه مفاتيح مدن أخرى.. انظروا.. إني أشك في صدق مقالعها !!

(يتسلمون المفاتيح واحدا واحدا)

الكاهن 1 : من يملكها يملك أصحابها.

الكاهن 2 : يملك كنوزها.

الكاهن 3 : يملك العالم !؟!

هولاكو : صارحوني يا كهان الكنيست.. لا أريـد أن أبتلع القطران في عسل اللحظة فتنهد الجدران.

الكاهن 1 : تقول الحكمة الغابرة.. الحذر مفتاح لا يصدأ.

الكاهن 2 : نار تحت الرماد

الكاهن 3 : زلزال لا يبقى ولا يدر.

هولاكو : افصحوا يا كهان الكنيست.

الكاهن 1 : حائط المبكى يرحل قبل الفجر..وبخور الأمـس لا ينفع اليوم، والدم المغـدور لن يغفر للغادر.. وهذه المفاتيح تحمل يا سيدنا شؤم الغراب والخراب !!

هولاكو : أنا أملك المفاتيح.

الكاهن 2 : لكنك يا سيدي لا تملك قوة ثأر الدم.. وما يحمل الدم من الرعود والعواصف.

الكاهن 3 : سر المعدن يا سيدنا يفوق همهمة التنجيم والحروف المظلمة.

هولاكو : (غاضبا).. احرقوا البخور من جديد.. خذوا أطفالهم قرابين سخية، أريـد أن أرى العالم بعينين كبيرتين..

الكاهن 3: (الكهان الثلاثة معا وبصوت متناغم) .. نحن عقل الكنيست.. نحن الأدهى، كتب التنجيم تقول يا سيدنا الأكبر.. إنك تسود اللحظة.. لكنك لن تفتح بابا في المستقبل.. ولن تمس يداك برعما أخضر.. ولن تحمل أكثر من عين واحدة. يا سيدنا الأكبر.

هولاكو : غاضبا.. لا.. لا.. سأتـزوج منهم ظلمـا.. أتناسل فيهم.. أتناسخ رهبة ورعبـا.. وسيولد في طفل وارث.. يحمل عينين.. أعطيه مفاتيح مدنهم المحروقة وسأورثه موانئ العالم.. وسيفي المسلول.. وحيلة الهجوم.. انظروا إنها مفاتيح مدنهم.. فأنا الداخل والخارج متى شئت (ضاحكا).

الكهان 3 : (الكهان الثلاثة).. جسـدك عاقر يا سيدنا الأكبر.. وطفلك القادم بلا عيون.. مسار كوكبك مجهول.. ومظلم في الأعوام القادمة.

هولاكو : آه ماذا أفعل إذن بهذه المفاتيـح !؟ احـرقوا بخـوركم أيها المنجمـون.. اكتشفـوا راحتي في كوكب جديد... ثم دلوني على مكان صاحبهم هذا الذي يقود كوكبي إلى الهاوية.

الكهان 3 : (الكهان الثلاثة).. هو في كل مكان يا سيدنا الأكبر.. كالسحـاب يمسح وجه السماء وبخورنا لن ينفع في مطر يغسل الدخان.

هولاكو : ماذا أسمع.. ماذا أسمع !؟ كهان الكنيست.. عقل العالم يعجزون اليوم عن التفكيـر والحيلة (لنفسه).. كنت أحلم بامرأة تنقذني من الوحدة.. تعطيني طفلا يرث صورتي الأبهى.. ماذا تقولون، لا أصدق.. !؟

الكهان 3 : (الكهان الثلاثة).. قـداس الدخان انتهى.. وعاصفة اليوم قد كسـرت مجامـرنا، والعالم يا سيدنا الأكبر، تعلم كله لعبة التنجيم!!

هولاكو : (يبعثر المفاتيح صارخا).. ماذا أسمع.. (لكبير التجار).. تكلـم أنت.. هذه مفاتيـح النحس (ينسحب الكهان الثلاثة ببطء).

ك التجار : كل التجـار يفكرون في حمايتكـم من الصعاليك.. نحن جنـد الاحتياط يا سيـدنا الأكبر.

هولاكو : اخرجوه (يدفعه الحاجب الوزير إلى الخارج).. دعوني أتأمل خريطة التخريـب أيها الجند.. احرقوا حقول الجنوب والشمال.. عبدوا الأرض بلحمهم وعظامهم (يضرب الوزير الحاجب قرص النحاس.. أصوات الهدم والاستغاثة والصياح وهولاكو ينسحب).

البابة الثانية الوحدة الثالثة

(ابن دنيال يلمح جماعة من الدراويش شبه عرايا.. يقودهم شيخهم).

ش الدراويش : (الدراويش يحاولون الولوج من باب وهمي ويبعثون بأصوات منسجمة).. ارحلوا.. كونوا أخف من الريشة في كف الريح !! اشربوا من خمرة الصمت. حتى تنتعش أعماقكم.. انسلخوا من دنياكم.. اتركوها للجاحدين المارقين الكافرين.. هذا يوم وصولكم.. يوم دخولكم !؟!

الدراويش : (بانسجام وهم يتماسكون بالأيادي يحاولون الدخول من الباب الوهمي). نحن يا شيخنا توضأنا من وسخ الدنيا.. لكننا ما زلنا نسمع أصوات العالم !! الصياح والنواح يملأنا.. نريد نهاية المسار.

ش الدراويش : تناسخوا في جسد الصمت.. ارموا لباس الدنيا اللعين، تخلصوا من رائحـة الطين أنتم أمام الباب المقدس.

الدراويش : أعيانا الوقوف يا شيخنا.. نحـن ننأى ولا نقترب.. أمامنا جبال ملأى بالأفاعـي والعقارب.. أمامنا جثث تثنى وخراب بيوت، أمامنا دمى أطفال مقطعة، وأصابع أطفال مبعثرة تشير إلينا، تنعتنا بالجبن نريد الدخول يا شيخنا.

ش الدراويش : أنتم قريبون.. تخلصوا من رائحة الطين.. ادخلوا.. ادخلوا !!
ابن دانيال : (ابن دانيال يقترب منهم).. هذه كراكيز غريبة تقوم بأدوار غريبة.
ش الدراويش : (يلمح ابن دانيال).. اقتربوا ادخلـوا لا تنظـروا إليه.. (لابن دانيال) اقتـــرب يا ولدي.. أنت الآخر مظلوم.. تريد أن تهزم الظلم.. هذا بابك، مزق لباس الدنيا، وانخرط في الحضرة.. قلبك يهزه الرحيل.. أغرس اغرس ذاتك في ذواتهم.. أهزم الظلم فيك.
ابن دانيال : ..لا.. تريدنــي أن أظلم نفسي المظلومة حتى أقهر الظالم.. أنا خارج وتدخلنــي يا رجل.. هذا جحيمكم وحدكم.
الدراويش : (يتحركون كالعميان وكأنهم يسمعون إلى حديث بعيد).. نحـن يـا شيخنـا نـرى أمامنا خيالا جامحا يهز نخلتنا.
ش الدراويش : ادخلوا.. لا تقفوا.. اتركو دنياكم.. أنتم عبيد طينتكـم.. تخلصوا من الكلام.. ابتعـد يا رجل أنت تحرق أزهارنا.. ادخلي ياطيوري.
الدراويش : (بإيقاع واحد).. الله حي.. الله حي.. الله حي.. الله حي.
ابن دانيال : كنت أريد أن أتخلى عن لغة الناس والأرض والأشجار.. كنت أريد أن أنفي الظلم بسلام الصمت.. أقهر رغبتي في الحركة (الصمت).. ها أنا أشرب اليأس وأتدرب على المرارة لكنني في كل مرة أفشل.. لأن حدود الظلم لا يمكن أن يرفعها الرفض الصامت.. (صمت).. أنا الذي كنت أكحل عيون الناس بألف قضية حتى يمسحوا أعينهم ويزيلوا عنها أظافر الظلمة.. (صمت).. تجار المدن منحوا المفاتيح في غياب الشمس إلى هولاكو اللعين، أغلقوا الباب في وجهي، كتبوا على الجدران، جميع الجدران قرار المنع.. (صمت).. بعد أن سملوا عيون الناس الطيبين وقتلوا الحقيقة.

(الدراويش كأنهم يصيحون إلى صوت بعيد)

الدراويش 1 : ماذا أسمع.. كأني أسمع أخي الذي مات شنقا !!
الدراويش 2 : كأني أسمع زوجتي المغتصبة أمام عيني !!

الدراويش 3 : كأني أسمع طفلي الذي مزقوه إربا.. إربا.
ش الدراويش : (غاضبا).. لا.. لا.. إنكم تسقطون في مستنقع الدنيا من جديد.. ابتعد يا رجل.
ابن دانيال : الحقيقة كحل العيون (يرددها بعيدا عنهم).
الدراويش : (معا).. كأننا نسمع شيئا عجبا.. كأن الصوت ينسل منا !! هذا الصوت يا شيخنا مفتاح بابنا المغلق (يتحركون شبه نائمين باحثين عن ابن دانيال).
(ينتهي التشخيص.. ويدخل طيف الخيال)
ط الخيال : لنبدأ الموضوع يا حكيمنا.. افتح الستارة. وانسج للجموع عبارة.. وامسح عيون الناس الطيبين.. فالحقيقة كحل العيون المرمدة (ينتحى جانبا ليتفرج).

البابة الثانية الوحدة الرابعة

(كبير التجار بجانبه جارية تمسك عودا)

الجارية : هذه ليلتك يا سيدي (صمت).. أرى بالك مشغولا عني.
ك التجار : كعادة التجار يا جارية.. التفكير في البضاعة أولا.
الجارية : أنا بضاعتك الليلة بعني واشتريني.. فأنا ثروتك الخالدة.. خذني إلى أسواق تعرفني وأعرفها، إلى أسواق فاس والكرخ والقدس والقاهرة وعمان وحضرموت ويثرب... فأنا الأغلى والأبهى.
ك التجار : (ضاحكا).. في المبادلة ربح سريع يا جارية.. والنوع الواحد لا ينفع. العملة لها وجهان تصبح وتمسي..إني أرفض الدرهم والفلس الكسول في خزانتي.
الجارية : مهنتي أن أرفع عن سيدي همومه الصغيرة.. أنا بلسمك الليلة.. مرني أعتصر في كأسك ثروة غالية.. لا تبعني في أسواق العجم.

ك التجار : هم البضاعة يراودني عن نفسي، وأنا لا أحب فضول الناس.
الجارية : أعطيتك عيوني ووهبتك كل ثماري الناضجة.
ك التجار : دعيني يا جارية.. سباق الأرقام يغريني.. أعشقها مزدحمة بين يدي.
الجارية : دعني أنسخ أرقامك المجنونة في جسدي.. (صمت).. اشرب كأسك طافحا فلربما أنساك صوت عودي لغو المضاربة في الأسواق وبورصات العالم.
ك التجار : سأطبعهم جميعا بشارتي المتميزة.. هذه المرة لن يفلتوا من قبضتي.
الجارية : إنك تبيعني يا سيدي رخيصة.. مثلما تبيع أي شيء في المدينة !!
ك التجار : أنا حاجتهم وهم مجرد أرقام.. في كشف حساباتي المقبلة.
الجارية : أرجوك.. أرجوك.
ك التجار : انصرفي واستعدي للبيع.. (تخرج الجارية). (يدخل شيخ الدراويش من الباب السري لمجلس كبير التجار).
ش الدراويش : وحدك.. أين ذهبت جاريتك المفضلة (صمت).. آه.. لو لم ترشدني إلى هذا الباب السري لافتقدتني اليوم.
ك التجار : ما وراءك !؟! حدثني عن مشروع أتباعك.. (صمت).. متى توزعهم في الأمصار حتى تكتمل بضاعتك وتسود الهدنة !! إني لا أستطيع يا عزيزي أن أضمن وجودك وتبرير تأخيرك في التنفيذ لحاكمنا هولاكو.. (صمت).. مجلس التجار هو الآخر يطلب مني البرهان.
ش الدراويش : (يصب الخمر ويشرب بشراهة).. نكهتها غريبة.
ك التجار : ماذا تحمل.. أين وصلت الدعوة المباركة.. هل ازداد عدد أتباعك (صمت).. لا تحاول هذه المرة أن تطلب مني المزيد من المساندة والتمويل.
ش الدراويش : (يزيل لحيته التنكرية ويتابع الشرب بشراهة)..انتشرت العدوى يا صديقي، أفسد أتباعي رجل غريب الكلام. حاولت أن أقنعهم وأجعلهم يخافون أنفسهم وأن عصيانهم لي هو معصية كبرى لاتغتفر.
ك التجار : إنك تساومني، في كلامك رائحة الخيبة والفشل.. لا تنسى أن هذا يعرضنا جميعا لمقصلة هولاكو.. ويعرض بضاعتنا للصعاليك.

ش الدراويش : (يبدأ في السكر)..رجل كالعاصفة أحرق كل ما أبدعت من الخيال في الزهد والتصوف (صمت).. صدقني يا عزيزي كانوا على كتب من أن يلمسوا الباب الوهمي.

ك التجار : ماذا أسمع أنت مكلف بإشاعة الخشية والزهد في الناس (صمت).. وعلى كل الناس الناس والاتباع أن يحاربوا الظلم من خلال هذا الزهد اللذيذ !! (صمت).. فشلك يقلق قوافل التجار ويبعث في أسواقهم رعب الكساد، ويوقظ الصامتين والمغبونين في وضح النهار.

ش الدراويش : .. (ضاحكا).. حاولت يا صديقي (يشتد سكره).. ربما كانت دعايتكم ووساطتكم ضعيفة.. (صمت).. أنا في حاجة إلى مجلات وصحف في الداخل والخارج، تدعو إلى هدنة مستمرة (سكران).. أبلغ التجار أن شيخ الدراويش لن يخفي الشمس بغربال من جلد ذئب نتن.. (صمت).. أنا في حاجة إلى شعراء متخصصين في البكاء والنواح على الأطلال، يبثون شكواهم براكين في قصائد عصماء (صمت).. أبلغ مجلس التجار الموقر بأني في حاجة إلى رسامين وملحنين لأناشيد حماسية.. ومتكلمين فلاسفة يتقنون فن الخطبة (ضاحكا) بضاعتي لا تشبه بضاعتك... بضاعتي كالأرضة ودودة الخشب لا تشبع من الحفر في تلافيف العيون والأدمغة (ضاحكا).. يجب أن نجعلهم يحقدون في الكلام والتسبيح.. حتى نصنع من أحقادهم طعما حقيقا لا ينفد.. (صمت).. أنا في حاجة إلى هذا القرص العجيب المسكن حتى أوقظ في اتباعي دفع المنكر في الحضرة القادمة.. أريد يا عزيزي أن أصنع من حقدهم بساط الريح.. (صمت) الحقد حطب.. الحقد حطب هذا العصر الموبوء. سأملأ أشداق فرني منه.. فأنا أعرف متى ينضج لهيب الحضرة خبز الجائعين والحاقدين.

ك التجار : .. إمسح من ذاكرتهم حب الأرض.. أنت شيخ الدراويش.. طريقتك هذه يجب أن تسود العالم.. في خلق الوئام والسلام على الأرض..

ش الدراويش : .. (يشتد سكره).. أمنيتـي أن أجـد جاريتي في الجلسة القادمـة.. عفوا جـاريتنا معا!! (صمت).. كانت هنا تعزف على أوثار قلبي (صمت).. كنت أرى في صوتها النجوم ترقص بجنون في كبد السماء (ضاحكا).. أريد أن أنسى أتعابي (صمت).. صدقني يا عزيزي يا كبير التجار.. أيها الصديق الحميم (صمت) .. من قبل كانت العمامة واللحية قبلة المتخشعين وملجأ الهاربين من الجحيم.. لكنها الآن كومة من القش يحزمها عقال (ضاحكا).. لم تعد تخفي جحيمها الحقيقي (صمت).. الريح، الأعصار يا كبير التجار (يسقط ثم يقوم).

ك التجار : لن تصل بضاعتي إلى أسواق العجم. !؟!.

ش الدراويش : .. امنحني ليلتي الموعودة.. فالزمن لا يرحم (صمت).. أسألك ما اسم بضاعتـك، أي علامة تحمل !؟ (صمت).. الناس (ضاحكا).. أنا مكلف بتخدير جرحهم العميق وإزالة العنف من مناطق معينة في الدماغ الغريب.. آه.. أما أنت فهمك الوحيد هو أن تفصلهم عن التفكير والأرض لكي تبيعهم عبيدا إلى أصدقائك العجم (ضاحكا).

ك التجار : .. لابد من البحث عن الزهد يا شيخنا.

ش الدراويش : .. الزمـن لا يرحم.. امنحني ليلتي (صمت).. نعم حاولت أن أفتـح لهم أبوابـا تلتصق بسلم طويل يسمو بهم إلى أعلى.. الأعلى (ثم يشير بالسقوط).. كان سلاحي عمامتي ولحيتي وعكازي (ضاحكا).. انظر هذه أسلحة المهرجين يا كبير التجار.. لم تعد ثغري الكبار والصغار (صمت).. أين ذهبت جاريتي.. عفوا جاريتنا المشتركة، بعتها يا كبير التجار أم استبدلتها بسلعة أجنبية.

ك التجار : .. هذه المرة لم أبعها ولم أستبدلها بسلعة أخرى (ضاحكا).. أشفقت علـى حالهـا (صمت).. أنعمت عليها بجواز سفر.. منحتها مسافة أكبر من ساحة قصري.

ش الدراويش : تؤجرها للروم من أجل العملة الصعبة !؟

ك التجار : .. من يملك جسدا مثلها يملك الذهب (صمت).. هاجرت من أجل أن تعتق نفسهـــا من الجوع الكافر.

ش الدراويش : .. ويحك أنا الخاسر مرتين.

ك التجار :.. زهدك المغشوش لن ينفعها (صمت).. مائدة التجار لا تقبل منافسا في الأســواق إلا تاجرا محنكا (صمت).. بيوت العجم كأسواقهم تسودها الطمأنينة والسلامة (صمت).. إنك تنقض معاهدتنا السرية جهرا يا شيخنا.. أيها الصديق الحميم.. من تراه يحمي بضاعتنا وأموالنا إذا أغار الصعاليك !؟

ش الدراويش : .. (شتد سكره).. أنا.. أنا الآخر أسألك.. أي العلامات أعطيت لهذه البضاعة الجديدة !؟

ك التجار : .. حان وقت السوق يا شيخنا.. البس لباسك.. انصرف الآن.

ش الدراويش : .. أريد جاريتي (يسقط).

البابة الثانية الوحدة الخامسة

(يظهر طيف الخيال يخاطب ابن دانيال الشارد)

ط الخيال : لنبدأ الموضوع يا معلمنا.. افتح الستارة.. وانسج للجموع عبارة.. امســـح عيـون الناس الطيبين.. فالحقيقة كحل العيون المرمدة. (تظهر الكراكيز مشنوقة ومصلوبة موزعة بين الجهتين)

ابن دانيال : .. حضرت، ها أنــا أحمــل ذاتــي.. وأبحـــث عمن يطلق عادة السجن.. داخــــل الأقفاص الموضوعة في كل مكان.. السجن في الأذن.. السجن في السواعد.. السجن في العيون.. السجن في اللسان.. (صمت).. من ينسيني التقليد في الحياة !؟ حتى أكون

الخطوة الأولى في الكلمة.. من جملة الأعصار القادم (صمت).. آه
ماذا أقول وأنا الذي تخليت عن كراكيزي.

ط الخيال :.. أنت فلاح هذه الأرض وحطابها.. تبذر وتغرس..، فأسك يا معلمنا
يرفض أن تسود في هذه الأرض جذور الطحلب.

ابن دانيال : .. كان علي أن أنقدها يا طيف الخيال من التشرد (صمت).. هذه
المدن أجهل ناسها لا أدري متى وصلت (صمت).. مدن الطحلب
(صمت).. والطحلب يملأ الآذان والعيون (صمت).. في طريقي رأيت
العديد من اللاجئين والشيوخ والأطفال.. والمحاصرين (صمت)..
فكرت في الكلام يا طيف الخيال فلم أجد حرفا يسكن لساني
وجدتني صحراء قاحلة تلبس السراب.

ط الخيال : لسانك مسرح .ناس يا معلمنا.. والمسرح مهدوم.. انظر (يشير
إلى الكراكيز المشنوقة والمصلوبة حوله).. هذه أشجارك وبساتينك
الخضراء التي غرست الأمس تفزع الغربان والدخلاء، إنها أشجار الأرز
في لبنان المحترقة، أشجار الزيتون في القدس الحزينة.. أشجار النخيل في
بصرة الزنج... أشجار البن في اليمن السعيد.. أشجار الحناء في مراكش
النافرة.. كلها يا معلمي تحمل مصابيح العودة.

ابن دانيال : لا.. لا.. كنت أتق في الكحل.. من أجل أن ترى كل العيون
رسم الخطوة الأولى ودرجة السلم، (صمت) منذ ألف عام، وخيمة
الرمل ما تزال تحمل في رحمها البنت الموؤدة قبل الفجر، ها أنا أمثل
دور الخادع والمخدوع..
(تسمع أصوات، يدخل الدراويش)

الدرويش 1 : أنتظر يا حكيمنا.. أريد بعض الكلام حتى أرثي ابني المقتول
في غزه.

الدرويش 2 : انتظر يا حكيمنا.. فقد مللت الوحدة في السير.. اعطني بعضا من
كحلك حتى أكتشف مفتاح بيني.

الدرويش 3 : لم أستطع يا حكيمنا أن أعيد بناء الحائط المهدوم.. أريد سقفا لجدرانه.

ط الخيال : لنبدأ الموضوع يا معلمنا.

ابن دانيال : الفعل ليس كالكلام.. تبخرت أسطورة الكحل (صمت).. كل المدن ملأى بالعميان والخرس.

ط الخيال : الجزء كل.. والكل جزء يا معلمنا.

ابن دانيال : دعوني أرحل لعلي أجد في راحة هذه الأرض خيطا يشدني... فمن يشربني فأروي عروقه، يأكلني فيشبع، أنا السفينة الضائعة.. من يعيرني القمرة والمجداف.. من يركبني إلى جزائر أحلامي.. (صمت).. وهذا البحر لا يرحم راكبه.

ط الخيال : نحن الربان يا معلمنا.

الدراويش : نحن المجداف والقلاع والصارية.

(يشكلون السفينة ويقومون بحركة التجديف بينما يقف ابن دانيال في مقدمتها).

ابن دانيال : أنا الطريق.. أنا الشمعة من يسعفني برفقة خاطر بريء يشد القلاع إلى الصارية!؟

الدرويش : نحن الحبال والصواري يا حكيمنا.. أعقد برأسنا القلاع.

أبن دانيال : (يتابع كلامه بغير مبالاة).. هذا جسدي ممتدة أخشابه.. طافية تعانق المدى والمدار.. يحمل خيبة الأمل والنواح، والبنت الموؤدة قبل الفجر، أريد مطرا يحرر كل الرؤوس من عقالها.. (صمت).. هذه يافا !؟

ط الخيال : ميناء العودة يا معلمنا.

ابن دانيال : ميناء الجرح.

الدرويش 1 : أرى زوجتي أمام الباب تلوح لي بغطاء رأسها الوردي المطرز.

الدرويش 2 : انظروا.. أرى أهل الحي يشربون قهوتهم ويتحاكون.. يعيدون سيرة عنترة العيسي.

الدرويش 3 : أرى سنديانة بيتنا الباسقة، والنخلة وشجرة النبـق.. وآثـار الطفولة.. (صمت)..
أرى الحرف الأول المحفور من اسمينا يشع في جيد الشجرة.. نحن نعود.. نحن نعود.
ابن دانيال : هذه يافا.. غرسها لن يشبع.
الدراويش : (يجدفون بسرعة).. نحن الربان يا حكيمنا.. وهذه الموجة السوداء ما تزال تخفي عنا وجه المدينة.
ط الخيال : مينـاء البصرة ودمشق والقاهرة.. موانئ نائبة وهذه الريـح تعاكـس المجـداف، لنقاوم فعل التيار المجارف.
الدرويش 1 : أرى زوجتي أمام الباب تلوح لي.. يداها سنبلتان.. ناضجتان.
الدرويش 2 : أراهـم يصبون القهوة.. ويـزفون العروس.. أسمـع زغردة النساء تزكـى ليلـة الدخلة.
الدرويش 3 : أسمع صوت المؤذن يشق كبد السماء، والقدس تسبح وتؤم المجموع صفا واحدا.
ط الخيال : مازلتم خلف الستارة وهذه ظلال أدواركم.
ابن دانيال : ها أنا أظمأ لقهوتكـم الساحرة.. وللنداء المشروخ في المآذن المثقوبة اللسان يترع كأسي الحزينة.. يا قدس متى أكفر عن ذنب الغربة (صمت).. لعبة التشخيص لم تحل عقدة لساني.
ط الخيال والدراويش : (بصوت متناغم يرددون مع التجديف أو مع حركة التجديف)... نرحل.. نرحل.. لكننا نشتاق إليك يا يافا.. يا زيتونة مشتعلة.. يا كتاب الموانئ المنسية.. مثلما يشتاق المطر لأرض الأنبياء.. امسحي يا رياح قلاعنا ووجهنا، الصبح أقبل.. أقبل.. فمثلما نرحل نعود ليلة جديدة.. نورق في العيون.. نهارا وورودا يانعة.
ابن دانيال : ما تزال قلاع الجسد المحموم تستهويها الرياح.
ط الخيال : لنفرغ الحمولة في هذا الميناء.. حتى نضمد جراح الأطفال ونسقي الشجرة.
ابن دانيال : بداية الفعل أكبر من جسدي.

الدراويش : (يتوقفون عن التجديف)..نحن الربان يا حكيمنا فلنفرغ الحمولة، فقد ازداد شوقنا لعناق الأطفال.

ابن دانيال : أنا لا أبيع.. أنا أعطي.. أريد وجها يعرفني حتى ترسو السفينة.

ط الخيال : جسد السفينة التصق بالبر.. والمرساة في القاع.

ابن دانيال : ما تزال قلاع الجسد المحموم تستهويها الرياح. (يدخل كبير التجار وشيخ الدراويش متنكرين).

ش الدراويش : (يهمس في أذن كبير التجار).. إنه هو.. صاحبي.. لن يفلت هذه المرة من قبضتي..

ك التجار : (يتقدم).. مرحبا بكم جميعا.. لاشك أنكم تحملون بضاعة نادرة، حريرا وتوابل وأحجارا كريمة.

ابن دانيال: أخطأت الطريق إلى السوق والبورصة يا رجل.

ك التجار: أنا كبير تجار المدينة وأمينهم.. أحمل ثقة الجمع.. وأحمي البضاعة من الغش والتزوير فمن تكون في مراتب التجار وما نوع بضاعتك!؟!

ابن دانيال : أنا الناس والمدينة جئت أكشف حقائق المرفوض والمحظور !!

ك التجار : (غاضبا).. ماذا أسمع.. هذه تجارة الصعاليك !!

ش الدراويش : نعم.. تجارة الصعاليك مرفوضة في أسواقنا.

ط الخيال : أيها الناس، الليلة تشاهدون أنفسكم افتحوا أعينكم جيدا فأنتم فكرة الموضوع.

المنادى : (صوت).. يا سكان البابة الثانية.. باسم حاكمنا الموقر هولاكو الملقب بموشى ديان.. من رأى منكم شخصا أو شبه له أو أشخاصا.. أو.. أو.. أو.. فليسرع بالإبلاغ عنه، الجائزة الكبرى تنتظره.

ك التجار : في المبادلة ربح التجار.. أشم في بضاعتك خسارة السوق.

(شيخ الدراويش يزيل اللثام والتنكر).

الدراويش : شيخ الدراويش المزيف !!

ابن دانيال : ما تزال قلاع الجسد المحموم تستهويها الرياح.

الدراويش : نحن الربان.. وهذه الموجة السوداء لن تخفي عنا أهل المدينة.

(شيخ الدراويش يخرج صفارة ويصفر يدخل جنديان كل واحد منهما بعين واحدة)

الجندي 1 : من يعارض إرادة هولاكو !؟

الجندي 2 : أين المجرم.. (شيخ الدراويش يشير إلى ابن دانيال).

ش الدراويش : أريد الليلة أن أدخل من الباب الرسمي... فقد أتعبني التخفي والولـوج من الأبواب السرية.

ك التجار : (ضاحكا).. بعد تصريف البضاعة خارج السوق.. (ضاحكا)

ابن دانيال : ها أنا أجرب فعل الكلمة.

الدراويش : نحن الربان، وهذه الموجة السوداء لن تخفي عنا أهل المدينة.

البابة الثانية الوحدة السادسة

(المكان مفتوح بين مجلس كبير التجار والمحكمة وقفص الاتهام حيث يقف خلفه ابن دانيال)

القاضي : (بين كبير التجار وشيخ الدراويش يرفع الكأس).. في صحة العدالة حان الوقت.

ش الدراويش : كأسا ثانية.. في صحة قاضي القضاة.. والقانون.. (صمت).. حتى تنتشي ونرى حقيقة ما يجري.

ك التجار : إحذر فقد يخونك لسانك.. فتنطق بظروف التخفيف أو تبرئ المتهم.

القاضي : (يشرب ثانية).. في صحة العدالة (ينتقل إلى كرسي المحكمة يواجه أبن دانيال) ازددت في الموصل ثم انتقلت إلى القاهرة، احترفت مهنة التمثيل..بعد أن كنت حكيما تداوي عيون الناس من الرمد والعمى.. ثم ضبطت وبحوزتك كمية من (يلتفت إلى كبير التجار وشيخ الدراويش من المجلس مستعينا بهما) .. من ماذا.. من ماذا.

ش الدراويش : (وافقا).. افترض يا قاضي القضاة..سميها ما شئت. الغاية من محاكمة أمثال هذا المتهم هي إلصاق التهمة.. وتضخيم الجريمة أليس كذلك يا عزيزي !؟!

ك التجار : نعم.. اختر له تهمة معقولة.

القاضي : حسنـــا (يخاطب ابن دانيال) كنت تنـوي إثارة الفوضى والقلاقـل، أنت مدفوع.. وبهوس مجنون.. أليس كذلك !؟ انتبه هذه تهمة خطيرة.. (يلتفت إلى مجلس كبير التجار وشيخ الدراويش).

ش الدراويش : (يرفع إشارة النصر).. هنيئا للعدالة.. اكتشفت الجريمة.

القاضي : ماذا يقول المتهم ؟

ابن دانيال : أنا ابن دانيال المخايـل الحكيم..واحد من الناس..وبين الناس أعيش اكتشفت، في الظل حقيقة الأشياء المتحركة، فأردت البوح بها.

القاضي : كان عليهم أن يفكروا في استنطاقـك أكثر مـن مـرة (يعود إلى مجلس كبير التجار).

ش الدراويش : أوه.. أتعبتك جلسة الحكم.

القاضي : (يشرب منتشيا).. هذه خمرة غريبة.

ك التجار : مستوردة خصيصـا لحمايـة السـوق والعدالة.. (صمت).. بمـاذا تتنبأ لمتهمك الغريب!؟!

القاضي : (منتشيا).. إطمئن يا عزيزي لن يفلت من قبضة العدالة.. (صمت).. ينتظره حبل المشنقة.. (ضاحكا).. من يفكر في نوع آخر من الأحكام الخفيفة (يعود إلى المحكمة) تكلم يا ابن دانيال.. يقال أنك أفسدت الصغار والكبار.. بل أنت الوحيد الذي أقحم أنفه في شؤون الكبار.

ابن دانيال : ذنبي أني أحمل عينين فقط.

القاضي : ماذا أسمع ؟

ش الدراويش : (ينادي القاضي).. كأسك يا قاضي القضاة (يعود القاضي بسرعة إلى المجلس).

القاضي : كلام هذا المتهم يخنقني ويفسد علي ذوقي الرفيع.

ش الدراويش : أفسد اتباعي قبلك.. فضحني حتى أصبحت لا أتحمل حتى نفسي.

ك التجار : عانينا من أتباعه الصعاليك، من الحمالة والعاطلين والخماسة.. جعلهم يفكرون في اقتسام فائض الأرباح معنا.. نحن التجار !!

القاضي : أشكركما أنرتما الطريق أمامي.. أنه بالفعل جامع لكل أنواع التهم لولا كما لضلت العدالة، وفقدت رشدها ورزانتها المعروفة.

ش الدراويش : (سكران يحاول القيام فيسقط) قال.. قال.. أنا عنكبوت.. وأفكاري عنكبوتية، أصارحكما بعد الفضيحة، شعرت بأني أحمل رأسا تملؤه العناكب !! آه لو لم تسترني. هذه العباءة واللحية والعقال لانكشف أمري للناس.. تصوروا، استطعت بذكائي أن أجنب نفسي الخسارة، وأثبت للسيد هولاكو نزاهتي.

ك التجار : أنت عنكبوت (ضاحكا).

القاضي : (ينسحب).. سأعود بعد أن أتدبر أمر هذا المجرم.

ش الدراويش : لا تنسى يا عزيزي.. يا قاضي القضاة أن تعود بسرعة إلى أحضان كأسك..

القاضي: (لابن دانيال).. تستطيع أيها المتهم الخطير أن تدافع عن نفسك (صمت).. لكنني أنصحك، ماذا تريد أن تقول، وأنت المذنب في حق رجل ورع مستقيم ومخلص (يشير إلى شيخ الدراويش الذي يحرك رأسه استجابة).. تكلم لا حجة لديك.. تكلم ماذا تريد أن تقول وأنت الذي.. وأنت الذي.

ش الدراويش : عاش قاضي القضاة.. عاش قاضي القضاة.

القاضي : ولم يكفك هذا، ساهمت في إذكاء النار بين الحمالين والخماسين، واتهام كبير التجار بالسوق السوداء والزيادة في السكر والشاي والزبدة.. هذه تهمة لا تغتفر.

ك التجار : عاش قاضي القضاة.

القاضي : ماذا تريد أن تقول، وأنت الذي تفتش عن الصغيرة والكبيرة من أجل أن تفضـــخ المخلصين (ك التجار وش. الدراويش يحركان رأسهما استجابة)... تكلم أني أسمعك جيدا.

ابن دانيال : كنت أريد يا سيـــدي القاضي، أن يستظل الناس، بـــل كل الناس بنفس الشجـرة.. الشجرة المثمرة، لكنني كنت أرى من يسرقها.. ويقطع أغصانها.

القاضي : تتهمهم بالسرقة (صمت).. ملفـــات شرطة السيد هولاكو، تشير إلى أنك انتقصت من نزاهة الحاكمين والولاة.

ابن دانيال : هذه المدن يحكمها الغرباء والدخلاء.

القاضي : ماذا أسمع.

ك التجار : أسأله يا عزيزي القاضي.. من يحمي بضاعتنا وقوافلنا وخزائننا !؟

القاضي : نعم.. السيد كبير التجار على حق.. وأنت على باطل.

ش الدراويش : أسأله يا عزيزي القاضي ماذا يريد من أتباعي.. لاسامحه الله، جعلهم ينحـــرفون عن الطريق ويتجرؤون في مناقشتي!! أنا الذي سهرت على تنظيف أرواحهم من دنس الدنيا الفانية.

القاضي : نعم أنت محـــق يا عزيزي يا شيخ الـــدراويش (لابن دانيال).. جرائمك كثيرة في ماذا تفكر.

ابن دانيال : أفكر في الصحو يا سيدي القاضي.. فالصحو خمرتي.

القاضي : أنت الآخر تسكر في المدن الطاهرة !!

ابن دانيال : أنتشي وأفرح وأرقص يا سيدي القاضي.

القاضي :.. عجب.. عجب.. عجب.

ش الدراويش :.. لا تثق في رقصة الصعاليك.

القاضي : رفعت الجلسة (يعود إلى مجلس التجار).

ك التجار : .. (يقف لتهنئته).. أهنئك يا عزيزي..فقد تفوقت على عدونا المشترك، وأظهرت للناس كيف يطول ومتى يطول لسان العدالة (صمت).. في أي كليات القانون درست، فعلمك يا عزيزي غزير، وعلى أيدي من درست !؟

القاضي : ..(بعد أن يشرب كأسه)..أنـــا في الحقيقة لم أعرف كلية في حياتـــي، ولكننـــي ساهمت في تأسيس كثير من الكليات القانونية في العالم.. خبرتي في الحياة كبيرة، فبعد أن قضيت مرحلة مهمة في السمسرة صعدت.. ارتقيت لأصبح في الأخير مدير دعاية لأحد المرشحين في الانتخابات.. وبعد أن أثبت جدارتي في تقلد جميع المناصب المستعصية.. ارتقيت.. ارتقيت لأصبح قاضي القضاة !!

ش الدراويش : ... تذكرني بنفسي.. آه.. علمتني، «بارات» الدنيا ولياليها أن أزهد في الحيـاة لكن مجلس عزيزي كبير التجار، كان يغريني..فانخرط في تصوف لذيذ (ضاحكا).

ك التجار : .. لا تنسى، أنك موظف في سلك الحاكم السيد هولاكو.

القاضي : .. يا جماعة الخير.. جئت لأستشيركم في نوع الحكم.

ش الدراويش : .. كأسك يا قاضي القضاة.

القاضي : .. أريد حكما يليق بالقضية.. فأنا الآخر مطالب بتقرير رسمـــي عن كيفيـــة تنفيذ الحكم، وبعدها أتحرر من سلك القضاة.. فقد أصبح زعيم حزب معارض في الخارج والداخل، وبهذه المناسبة.. أدعوكم إلى الانتماء.

ك التجـار : ..عاش قاضي القضاة

ش الدراويش : ..عاش زعيمنا الجديد.

القاضي : .. (سكران).. أشكركما.. وبهذه المناسبـة سأنطق بالحكـم الـــذي يحرر قوافـــل التجار.. ويسكت فقراء الصعاليك (ضاحكا) .. سيف العدالة هو سيفكم يا أعزائي فاضربوا الرؤوس يمينيا وشمالا.

ش الدراويش : .. عاش قاضي القضاة.

القاضي :.. أعرف ما يدور في بالكما.. لنشتـرك جميعـا في صياغة الحكم.. ما رأي كبيـر التجار ؟.

ك التجار : ..سأدفع لمراسلي الجرائد، وكل الذين يكتبون، أشتري منهـم نزاهـة الأقـلام.. وأجعلك بريئا، استلك شعرة من العجين.. حتى لا تتهم بالتجني على مخايل فقير.

ش الدراويش :.. أما أنا فسأكتب خطبة عصماء.. تدعو إلى التضامن مع عدالتك.

القاضي : .. والأن.. لنشرب معا نخب صياغة الحكم.

(يشربون ضاحكين.. ثم ينسحب القاضي ببطء ملحوظ إلى المحكمة)

باسم العدالة، باسم عدالة حاكمنا هولاكو.. وباسمنا.. وباسم النزاهة والعدالة.. أنت مجرم خطير.. خطير.. خطير.. وبما أنك أثرت القلاقل، وحرضت الصغار والكبار على رفض ولاة وأتباع حاكمنا الموقر هولاكو فقد تقرر التخلص منك.. فماذا نقول ؟

ك التجار والدراويش : عاش قاضي القضاة وحامي العدالة.

ابن دانيال : .. أبلغ الناس.. أني وصلت وأن مرساة سفينتـي في العمق.. وأنـي أرى المدن محاصرة.. وأني أسمع صيحة الأطفال.

القاضي : قل كلمتك الأخيرة.. فأنا مرتبط بموعد.

ابن دانيال : .. أبلغ الناس يا سيدي القاضي أني نكست القلاع.. وأن البابة الثالثة بداية الفعل.

القاضي : ماذا أسمع، تتابع نشر زندقتك سأنطق بالحكم !؟

الدراويش وك التجار : .. حكمك يا قاضي القضاة.

القاضي : نعم، باسم أولياء المدينـة، أنت مجرم.. لكنني سأعطيك ظـروف التخفيـف هل تفضل الصمت.. أم تفضل الاختفاء !؟ ظهورك جريمة بين الناس.

ابن دانيال : ماذا أفعل إذا كنت أسمع من يستغيث.. يستجيرني.. بيـــروت تحتـــرق، والقـدس يدنسها الأعداء والأشقاء.

القاضي : (مقاطعا).. تستطيع أن تصمت.

ابن دانيال : لن أصمت.

ش الدراويش وك التجار : (يقفـــان وفي أيديهما قناني وكؤوس يعلنان بصــوت واحــد) حكمـــت المحكمة حضوريا على زعيم الصعاليك بالشنق (يصفق القاضي).

البابة الثانية الوحدة السابعة

(يدخل طيف الخيال.. يدفع العربة الصندوق.. يجمع الكراكيز المصلوبة والمشنوقة ويضعها في العربة).

ط الخيال : ... أيها النــاس... أبلغــوا الأطفال.. أطفـال المــدن المحترقـــة، أطفـــال المـــدن

المسجونة، أطفالكم أطفال الغد.. هذه صور الحقيقة المتحركة خلف الستارة.. اختاروا في أعيادكم المقبلة كراكيز جميلة لتشخصوا بداية الفعل.. قولوا في التقديم.. اصرخوا.. نطالب بمسرح يعلن الحقيقة، يدين التجارة في الناس.. أيها الناس حركوا كراكيزكم المقبلة، شمالا ويمينيا من أجل أن يتحرك الوطن.. وأشجار الوطن.. طرق الوطن.. حجر الوطن.. بحر الوطن، فالبابة الثالثة بداية الفعل !! هذا مسرح ابن دنيال.. وأنا الوصية الصارخة.. وأنتم الوارثون يا أطفال هذا الوطن، حركوا كراكيزكم المقبلة، من أجل أن يتحرك الوطن أشجار الوطن.. بحر الوطن حجر الوطن.

ستارة

سرحـــان

سرحان

قد لا ننجح في تحقيق فكرة المسرح الجديد .. قد نسقط جميعا .. و نكون جسرا للآخرين .. ليمروا فوق أجسامنا نحو مسرح المستقبل !؟!

فسيفولود مايرخولد

شخصيات المسرحية :

1 / سرحان
2 / شبح 1
3 / شبح 2
4 / السجان ــ الحاجب
5 / شخصية ــ ب 1
6 / شخصية ــ ب 2.
7 / أبو سرحان
8 / أم سرحان
9 / نيرون
10 / سنيكا
11/ يوسف العطار ــ أبو سلامة
12 / عامر
13 / سلمان
14 / عبد الله
15 / الجارية ــ زهرة
16 / أبو عقال
17 / النساء المقنعات ــ الثلاث
18 / الجوقة

المنظر :

« الركح مفتوح على جميع المشاهد ..

«الإنارة تتحكم في تحديد المكان .. خلفية المنظر ناطحات السحاب ..

تظهر عند الحاجة

«عناوين ضوئية .. تشتعل و تنطفئ حسب الأهمية المطلوبة ..

«في الجانب الأيمن .. في العمق زنزانة ..

سرحان :(سرحان فوق عربة التشريح فجأة ينشق جدار الزنزانة يظهر شبحان.)

شبح 1 : أزعجت صمتنا الأبدي يا سرحان .

شبح 2 : أخطأت يا سجان في كتابة و نطق الأسماء الممنوعة (صمت) ها أنت تركب حصانا جامحا .

شبح 1 : حصانك الأبيض يكبو و يتعثر .

شبح 2 : و يغوص سرجه الأبيض في الرمال .

سرحان : (مندهشا من صوتهما .. الشبحان غير منظورين بالنسبة إليه) لا .. لا .. أنا وحدي هنا لا أسمع سوى صرير القضبان و الأبواب (صمت) من يحدثني .. منذ عشرين سنة لم أستحضر غير نفسي .. و خيالات باهتة .. كانت ترفض منادمتي ..

شبح 1 : (يتابع بغير مبالاة) صفيحة حصانك الفولاذية يا سرحان انغرست كالسيف في الصدر (صمت) أيقظت في أعيننا حروفا ميتة .

شبح 2 : كسرت شاهد القبر و المنبر .

شبح 1 : أحرقت هدوءنا (سرحان يحاول تفادي الصوت) .

شبح 2 : يخونك زادك يا سرحان ؟؟ و يغتال رؤياك ليل طويل .

سرحان : (صارخا) يا أيها السجان .. أريد حبة نوم .. يا سجان أسرع .. أنقدني من هذا الأرق الأخرس ..

السجانِ : (مقبلا) ماذا أسمع .. سرحان .. تخالف عادتك .. أزعجت السجن و السجان .

سرحان : أرجوك يا سجان .. أريد أن أنام .. انظر أنا وحدي .

السجان : (يرمي إليه بعلبة حبوب النوم) خذ .. ابتلع حبة أو حبتين .. أو انتحر إذا شئت .. المهم أن تحافظ على هدوء السجن (صمت) غدا يكتبون في دفترك الأحمر .. سرحان يحاول الفرار .. يفكر في القتل من جديد .. سرحان يعود إلى عصيانه.

سرحان : (صارخا) لا .. لا .. أريد يا سجان ،، أن تكون شاهدا مرة واحدة لصالحي .. و أن تكون مليون مرة ضدي .. قل كان وحده كالعادة (صمت) أنا وحدي هنا .. أليس كذلك .. أنظر (صمت) لماذا أسمع أصواتا تنتزعني من جسدي و ذاكرتي .. تترصدني وسط هذه القضبان .

السجان : نم يا سرحان .. (ينصرف).

شبح 1 : (يتابع كلامه) صيحتك المخنوقة أثارت فضولنا (صمت) وجدنا جسدك ملقى في عرض طريق مهجورة (صمت) سألناك لم تجب .. كانت عيناك غافيتين خلف جفنيهما .. و كانت شفاك ناشفتين .. و على جنبيك خطوط من الملح .

شبح 2 : حصانك هرب منك .. كنت اعزل من السلاح .

شبح 1 : كنت تحمل منظارا و خريطة مشروخة الجبال .

سرحان : (يحاول تفادي الصوت) أريد أن أنام .. أعطوني نوما .. أيها السادة .. لماذا سرقتم النوم من عيني .

شبح 2 : كنت تعانقهما .

شبح 1: على الخريطة وضعت كم نقطة حمراء فوق المدن و العواصم .. سألناك لم تجب

شبح 2 : وجدنا على المنظار اسم سرحان محفورا كالوشم في الساعد .

شبح 1 : أنت سرحان صاحب هذا المنظار و الخريطة المشروخة .

شبح 2 : صاحب هذه الحكاية .

سرحان : (يحاول تفادي الصوت) جاءوا كعادتهم يدسون في دمي الرعب حتى أرفض وجهي ..و أتقزز من جبهته الرافضة (صائحا) لا .. لا .. حاولوا بكل الطرق انتزاع شكل أشجار الزيتون من ذاكرتي (صمت) لكنني لم انس شكلها المقدس (صمت) من اجلها تعلمت في أسواق الصفارين كيف أصبح صانع قناديل زيت ..و أوزعها في المواسم و الأعياد .. أمام الأولياء و في المساجد و الطرقات على الآباء و الأمهات .. على الصغار والكبار (صمت) لا .. لا .. إنها شجرتي المتجذرة في العين و اللسان .

شبح 1: سرحان يهذي بأسماء غريبة .

شبح 2: كنا نريد أن نضمد جرحك. و نلبسك ثوبا جديدا .. و نمنحك حصانك كي تهرب و تتيه في فراغ الصحراء .. و سيفا لا يصدأ و عمامة تخفيك عن برق السراب .

شبح 1: و سلهاما يعانق الريح لكن رائحة الأرض الموبوءة .. كانت تمنعنا من جسدك الساخن .

شبح 2 : كنت لا تزال تعشق هذه الأرض .

سرحان : (صارخا) ماذا أسمع .. من تراه يهمس في خاطري .. لا .. لا ،، أنا لاأسمع شيئا ،، أنا وحدي يا سجان ..

شبح 1: وجدنا فيك شيئا يثير فضولنا .. فأردنا أن نتفرج عليك .

شبح 2 : و أنت تستيقظ من غفوتك .

شبح 1: و أنت تبحث عن ماء ويد منقذة .. صوت يعرفك .

شبح 2: و أنت تنادي بأعلى صوتك في عمق الصحراء .

سرحان: (واقفا) أيتها الزيتونة الحبلى .. استيقظي .. احتضني قمر الليلة .. البسي خضرتك الساحرة ،، و انشري أعلامك .. أنا صانع قناديل

تحبل بالزيت المقدس و الأحلام (صمت) أريد زادك حتى يشتعل الفتيل .. و أضيئ فضاء هذه الصحراء الحزينة. أيتها الزيتونة متى تفتح المدن المحاصرة أبوابها (صمت) اعتصري في رحم النار المقدسة .. حررني من هذه القيود .. أريد أن أرى وجوه أهلي في مداخل المدينة .. أن أفضح الغرباء الملتحين .

شبح 1 : كنت مثيرا و غريب الحركة .

شبح 2 : و كان صمتك يعانق هدير العاصفة .

شبح 1: كنت حائرا في نظرتك إلى الأفق البعيد .

سرحان: (بغير مبالاة) يا سجان .. يا سجان .. لم يسعفني النوم (صمت) متى أنسى ماضيا يمتصني كالعلقة (صمت) يا سجان .. أريد أن أنسى .. حبوبك المخدرة خسرت كل الرهان .. لم تخنق الصوت المدمر (صمت) أنا ضيفك الليلة .. (صمت) أرجوك يا سجان .. أين ذهبت .. عاقبني بالنوم حتى أطفئ فتيلة هذا الخاطر المرعوب .. اسحق ما بي من اليقظة القاتلة .. آه .. يا سجان ،، حررني من هذه الأظافر التي تخنقني .. أكتب في دفتر ملاحظة السجن .. سرحان يفكر الليلة... سرحان يراوده التفكير اللعين (صمت) .. أكتب سرحان يمسح من جديد عن ذاكرته صدأ القضبان و السنين .. آه .. أين ذهبت يا سجان.(يختفي الشبحان)

(تتقدم شخصية ب 1 .. و .. شخصية ب 2 ،، يدفعان عربة سرحان إلى الناحية الأخرى .. حيث تظهر ناطحات السحاب بوضوح ..)

ب 1 : احك يا سرحان عن طفولتك .

ب 2 : احك لنا باختصار كيف قضيت صباك في القرية بين أقرانك .. و هل كنت تقتل العصافير أم الجرذان .

ب 1 : و أي الأصوات كنت تكره أو تحب .

سرحان : (بغير مبالاة) اتركوني .. أريد أن انسى يا سادة وجوه الغرباء الملثمين

.(صمت) لماذا أفسدتم ملاعبي و حقول زيتوني .

ب 2 : احك .. كيف تعلمت التفكير .

ب 1 : و هل كنت تشربه كل يوم وحدك .

سرحان : (بغير مبالاة) منذ أن تقوس ظهر أبي بالأثقال و الهموم وسوط الطاعة العمياء .

ب 2 : اعترف .. أنك بدأت تخالف الآخرين .

سرحان : (بغير مبالاة) تساءلت لماذا لا تشبه قامة أبي نخلتنا الباسقة .. لماذا لا يقف د. صبا كجبل الجليل و الأطلس .. و قيسون الساهر (صمت) ولادة التفكير يا سادة جاءت عسيرة .

ب 1 : بدأت تفكر في العصيان .

سرحان : كانوا يريدون جميعا أن يتفرجوا علي مشهد الثعبان و هو يبتلع فرخ الحمامة (صمت) كان يروق الكبار و الغرباء (صمت) تمنيت يا سادة لو أن أبي و كل الجيران يمشون واقفين كنخل البصرة و الكوفة .

ب 2 : لم تحدثنا عن جريمتك يا سرحان .. بتفصيل .

ب 1 : حاولت أن تقتل .. بعد أن قتلت رجلا عظيما في الناس .

ب 2: أنت مجرم خطير يا سرحان .. كنت ضد أعمدة الضوء في هذا العالم المظلم

سرحان : (بغير مبالاة) تعلمت يا سادة جهرا من الفأس كيف أكره الطحلب .. و أحتفظ بالوردة .

ب 1: أنت في أرض لا تملك فيها هوية .

ب 2 : تريد أن تؤسس فوق أشجارنا عشك المرفوض .

سرحان : (بغير مبالاة) ظهر أبي المقوس .. و عيناه الذابلتان .

ب 1 : أنت تخالف أعراف المدينة .

سرحان : دخلت سوقكم لأشتري خبزي المسروق و أبحث عن سارق مفتاح بيت (صمت) و في سوقكم الموبوء بالحقد نموت (صمت) حاولت أن أتشبه

بالآخرين .. لكن بشرتي و لغتي كانت تفضحني (صمت) كنت أريد أن أقول لكل الناس أين خبأتم مفتاح بيتي (صمت) هنا في السوق الموبوءة تعلمت كيف أولد من جديد من ركام وصاياكم .. و كيف أعجن طينتي .. و أشكل جسدا و جمجمة و عينين تحملان مشعلا و فكرة .

ب 2 : أنت قاتل يا سرحان .

سرحان : (بغير مبالاة) قبلما أشكل الساعدين .. جربت الصياح و الصراخ.. (صمت) كنت أفشل . فأعود من جديد لأشكل طينتي الفاعلة .. نعم .. ابتدأت بالساعدين ،، رفعتهما عاليا .. صنعت قبضة ..حركت الأصابع .. لعل عينا تراني في الشرق و الغرب .. و أذنا تسمعنا (صمت) سوقكم يا سادة لم يعرني اهتماما (صمت) هكذا جئتكم .. كان مظهري كبضاعة مغرية خلف الواجهات .. كقطعة من الآثار مكتوب عليها بحروف لا تقرأ (صمت) كان يروقكم تغيير معناها متى شئتم (صمت) فشلتم يا سادة فانا لم أقتنع بالحذاء الملون و السيجارة الفاخرة و الموسيقى الصاخبة . كنت ما أزال احمل في أذني رنة الربابة الخافقة (صمت) ها أنتم الأن باسم العدل تخرجون من ضلعي ألف عدو و عدو .. لا ..لا ،، لا أستطيع يا سادة أن أمسخ صور العصافير والزيتون .. و وجوه أهلي التي تشبه القمح و التفاح و الورد (صمت) هناك بجوار بيت لحم .. بيت الله و الأنبياء كنا نشرب قهوة المساء .. و نتحدث بإسهاب عن صلاح الدين و عنترة و العبسي .. هناك أيها السادة ازداد في أعيننا قمر الليلة الأولى للحكاية الأولى قبل الألف .

ب 1 : أنت تخالف مبادئنا ..

ب 2 : أنت تخالف يا سرحان .. حاول أن تشرح في المرة القادمة كيف تصورت الانتقام قبل التنفيذ .. (ينسحبان)

(تظهر في الجهة الأخرى أم سرحان .. و أبو سرحان أمام الخيمة

المهترئة.. بالقرب شجرة)الليلة مقمرة .... ،،،، ،،،، ،،،)

أم سرحان : يا أبا سرحان، ضرع هذا السحاب جف

أبو سرحان : سوف يمطر يا أم سرحان .

أم سرحان : ليته كان كضرع بقرتنا الحلوب .. و كثدي يوم ولدت سرحان .

أبو سرحان : أنا الذي زرعت و أعرف متى أحصد (صمت) قريبا تبتسم البذرة في الأرض و ينضج الحقل .

أم سرحان : يبحث عن صيف مضى و تراب كحناء اليدين يا أبا سرحان .

أبو سرحان : أهل القرية يتحدثون يا أم سرحان عن محصول منتظر .

أم سرحان : هل سمعت أخبارا عنه (صمت) قبلما يرحل قبلت جبهته و دعوت له .. وعدني بالعودة .

أبو سرحان : إنه كباقي فتيان القرية .. علمتهم العادة أن يجربوا الطريق البعيد .. (صمت) إنه الآن يبحث عن خاتم العروس .

أم سرحان : اخبرني متى يعود و أي المدن يقصد وحده .

أبو سرحان : سرحان يفكر في غرس كل الحقول بالزيتون

أم سرخان : أحس بشئ يشدني إلى أخباره (صمت) أرجوك يا أبا سرحان .. أخبرني هل هذه المدينة بعيدة خارج الوطن .

أبو سرحان : البعد كالقرب .

أم سرحان : قال لي سأشتري فأسا و خاتما لعروسي .

أبو سرحان : اخفضي صوتك .. الفأس ممنوع في هذه القرية .

أم سرحان : سرحان يريد أن يغرس فسائل الزيتون .

أبو سرحان : ما زلنا نملك أصابع و هذه الأرض لن تكون بخيلة .

أم سرحان : سرحان اشتد ساعده .. و نضج الحليب في عظامه .. يستطيع الآن أن يحمل الفأس.

أبو سرحان : و يزرع الخصوبة .

أم سرحان : سرحان تأخر.

أبو سرحان : انه يختار شكل الفأس.. و ينقش على الخاتم تاريخ القرية .

أم سرحان : اليوم يتم عرسه .
أبو سرحان : كنت أتمنى لو أن بيتنا الواسع ما يزال مفروشا .
أم سرحان : كانت غرفته هناك تعانق نافذتها زيتونة لا تشيخ (صمت) كان يسقيها و يتأمل عصافيرها الشاذية .
أبو سرحان : تهدم البيت يا أم سرحان .. و سرقوا فرشه و مهده .
أم سرحان : ما تزال في خاطري غرفته الحالمة و سريره الوديع .. و رف الكتب (صمت) سوف يعيد بناءه .
أبو سرحان : لن يستطيع أن يفعل وحده .
أم سرحان : سوف يفعل .
أبو سرحان : الليلة عرسه ..قومي يا أم سرحان هيئي خيمتنا ..ضعي حليبا و تمرا في عتبة المدخل .. احرقي بخورا يطرد شياطين الظلمة .. رشي ملحا في طريقه .
(صوت امرأة حزين يرافق الربابة ..يظهر شبح عروس بجانب سرحان .. يتجهان ببطء إلى الخيمة التي تبدو كظل .. يختفيان.)
صوت : (يرافق الربابة)
أم سرحان : لفـي وجـهـك بوشـاح القمـر
انـتـظـري بشـرى الخبـر
سرحان يرحـل إلى المدينـة
اصنعي له من قمحنا الطيـب
زادا ..من رغيـف و حـلوى
أم سـرحـان
املأي قـنـديـلـه بالـزيـت
حتى يحرق وحش الظلمـة
أم سـرحـان
لفي وجهـك بوشـاح القمـر
انتظـري بشـرى الخبـر
سرحـان في الطـريق إليك

(ظـلام ...)

مسرح السجن

(ظلام .. عنوان مضئ «مسرح السجن»

(ثلاثة سجناء أو أكثر .. في عنق كل واحد منهم لوحة كتبت عليها عبارات غير واضحة ..)

سرحان وسطهم بلا لوحة .. كرسي أو عرش روماني قائم و مزين بصواريخ .. في الوسط مائدة فوقها إبريق و كؤوس خمر كبيرة ....

يظهر في الخلف ناطحات السحاب .. .. ..)

السجان ــ الحاجب : أيها السجان .. فرقة هوليود تزوركم .. لتقدم مسرحيتها المشهورة

(يصفق وحده) سوف يروقكم عرض الليلة (صمت) أقدم لكم قبل الختام شخصيته الأولى المتميزة (صمت) انه السيد نيرون (يصفق وحده .. يقدم الإمبراطور .. بجانبه سنيكا) إمبراطور الليلة .. إمبراطور العصر .. انظروا إليه جيدا .. تأملوا خاتمه و ملامحه الغاضبة .. و ضحكته الغريبة .. سوف يذكركم بأشياء كثيرة تعيشونها الآن .. (صمت) أيها السادة السجناء تلاحظون .. كعادة الأباطرة العظام .. بعضا من بطانته .. و حافظ أسراره .. و قد يكون مستشاره أو مؤدبه الخاص .. و قد يكون مدير حفلاته و مواعده (صمت) أيها السجناء نعم .. و كما توقعت يحضر إلى جانبه مؤدبه السيد سنيكا (يصفق وحده .. ثم ينسحب بعد أن يصفق ثلاث مرات).

نيرون : (بتأنث .. يشرب و يضحك بهستيريا) أنا نيرون سيد روما العظيم و مالك خراج هذا العالم المضطرب (صمت) أنا المخالف .. و من يخالف يتميز عن أقرانه من المخلوقات (يشرب) نيرون أنا أصدرت ألف قرار

وقرار في حق هذا العالم العجيب .. فرضت عملتي المسكوكة بالدم ..
سهلت مأمورية التجار و النخاسين (ضاحكا) آه .. أشتهي الليلة نبيذا
احمر وخيالا أحمر .. أريد أن أنسى ضجيج بورصات العالم (صمت)
دعني أتخيل صفاء النار المقدسة .. و هي تلتهم أجسامهم العارية
(صمت) .. لا .. ،، أحن إلى نفير أبواقي و هي تلعن بداية الحفل
الدامي (صمت) لماذا لا تشتهي يا مؤدبي فرجة تذكرك بجسم امرأة
مغتصبة تحت قدميك (صمت) أن .. نعم .. يخيفك دمها الأحمر و
عويلها و تقهر رغبتك حشمة و وقار الكبر الملعون .. (ضاحكا) سأكون
رحيما هذه المرة .. مع كل من يخالفني و يعارض دورة خاتمي (صمت)
سأترك وحوشي الضارية تصارعهم في الحلبة (ضاحكا) تبعثر أمعاءهم

سنيكا : مولاي الإمبراطور .

نيرون : تقول لي كعادتك .. و أنت تحك لحيتك الصفراء .. ليس من الحكمة
أن أرمي بمعارضي من الفلاحين الذين يدفعون لي ضرائب وجودهم
فوق الأرض ..(صمت) ما ذنب وحوشي (ضاحكا) ما ذنب أنيابها
المتضورة جوعا في أقفاصها..

سنيكا : مولاي الإمبراطور.

نيرون: ماذا أفعل بهذا التواضع و الرأفة البليدة .. هذا لا يليق بذوق حاشيتي
(صمت) لنتخيل معا يا مؤدبي منظر ساحات روما و قد احمر مرمرها و
تخضب بدم هؤلاء الرعاع تحت الشمس (صمت) سأصبغ وجه روما
بالدم الأحمر .. (ضاحكا) لأن النبيذ أحمر ..

سنيكا : مولاي ..

نيرون: و لأن وجه ناري المقدسة احمر .. (صمت) سأجعلهم يؤمنون بأن الحصان
ليس دائما أمام العربية .. (صمت) وحدي أنا في هذا العالم يا مؤدبي
من وضع و يضع متى شاء الحصان خلف العربي (ضاحكا)

سنيكا : مولاي الإمبراطور .. أنت تخالف قاعدة الكون و الحياة .

نيرون : أنا القاعدة و الفعل (صارخا) أنا من يمنح الموت و الحياة .. (صمت) متى تبدأ لعبة الخوف .. (صمت) املأوا ميدان المصارعة بنماذج بشرية من مستعمرات روما الفائزة .. اصبغوا أزقة و جدران روما بالدم .. أعلنوا في الملأ بداية الحفل (ضاحكا).

سنيكا : مولاي الإمبراطور ..

نيرون : (ضاحكا) .. مؤدبي .. ما تزال سجين قواعدك و أعرافك القديمة .. صل من اجلهم في صومعتك .. اقرأ ألف سورة من كتاب الغفران .. آه .. ليثني أستطيع أن أبوح لنفسي .. آه ..

سنيكا : مولاي .. اعترف أنك تخالف القاعدة .

نيرون : لا .. لا .. لا ،، لا ،،

سنيكا : اعترف حتى تستيقظ في أعماقك شمس الحقيقة .

نيرون : ليثني أستطيع أن امنع هذه الشمس ..
أريد يا مؤدبي أن أكون مخالفا ..

سنيكا: أنت تخالف كل شئ .. تستولي و تسرق و تغتال باسم وحوشك الضارية .

نيرون: أنا أخالف .. أنا موجود .. (صمت) لكن يقظة الشمس ما تزال تزرع في عيونهم بذور الرفض .. تطيل قاماتهم و ظلالهم فوق الأرض .

سنيكا : ليست القاعدة .. يا مولاي .

نيرون : أنا نيرون العظيم .. أريد أن أسجن هذه الشمس في غياهبي المظلمة .. وهذا القمر الشريد أريد أن اجعله فانوسا يضئ فناء قصري .. من اجل أن تطول ليلتي الساهرة.

سنيكا : مولاي الإمبراطور .. لست القاعدة .

نيرون : لا .. لا .. سأسحقهم ،، امنعهم من دفء الشمس و مرايا القمر الفضية.. اثقب عيونهم بألف خازوق .. أملأ محاجرهم بالقار و النفط والوسفاط ..
(ضاحكا بهستيريا)

سنيكا : مولاي احذر فؤوسهم النافرة .. خراج روما يضيع .
نيرون : سأسحقهم (ينادي السجان ــ ح)
يا سجان .
السجان ــ ح : مولاي ..
نيــــــرون : إلي .. بنموذج من سجنائي الذين يخبئون الشمس في دمائهم .. و في عيونهم مرايا قمري.
السجان ـ ح : كل شعوب ومستعمرات روما يا مولاي مشمسة ومقمرة.
نيــــــرون : آه ..ما أتعس حراس روما (للسجان) تكلم أين تسكن هذه الشمس المتمردة .. متى يتم امتلاكها .
السجان ــ ح : كل التقارير السرية يا مولاي .. تقول .. شمس مستعمرات روما تنام و تصحو فوق قبب و صوامع مقدسة في الشرق .
نيــــــرون : احرقوا كل القبب و الصوامع .. و احرقوا الشرق كله .
سنيكــــا : مولاي علمتك .. أن تحب الناس ..
نيــــــرون : (ضاحكا) لا فرق لدي بين أصبعي و هذا العالم .. الحب عندي يا مؤدبي أن تستحوذ لا أن تكون معجبا .. آه ،، تعجبني يا مؤدبي دورة خاتمي (ضاحكا) يجب أن تدور كل الأشياء بين يدي .. (ينادي السجان ح) يا سجان .. إلي بسجين تقهره رطوبة سجوني .. (السجان يخرج ليأتي بسرحان)
السجان ــ ح : هو ذا السجين الذي سخر من الرطوبة و القضبان .. يامولاي .. في كل مساء تنطلق من عينيه أسراب من حمام لتجلس بين إشارات النصر التي يرسمها باستمرار .. مولاي لم نستطع أن نقتلع من لسانه أغنية العودة و الزيتون .. في أعماقه براكين موقوتة الانفجار .
نيرون : (يشرب و يتأمل بفضول زائد) آه .. كم يخيفني هذا الشقي (للسجان) ما اسم سارق شمس روما ..
السجان ــ ح : سرحان .. يا مولاي (صمت) رجل مهمته الرفض .. لم يمتثل لولاتك المخلصين .. وجدوا في يديه فأسا دامية .. عفوا يا مولاي .. اغتال أحد ولاتك .

نيرون : أطفئوا شمسه المحرقة .. ألقوا به إلى وحوشي الضارية .. أريد أن أتفرج عن دم الشمس .

سنيكا : لن تستطيع أن تغتال الشمس ..

نيرون : آه .. أريد أن أكون مخالفا (صمت) سوف يروق منظر وحوشي يا مؤدبي .. آه ما أروع و ألذ صوتها الوحشي .. صدقني يا مؤدبي سوف تطفئ في عيونهم حرارة الشمس ..

سنيكا : لن تستطيع يا مولاي أن تغتال الشمس ..

نيرون: (صائحا) لا .. لا أطفئوا عيونه ،، فانا معجزة هذا العصر .

(ينسحب نيرون و سنيكا .. السجان يصفر ثلاث مرات ..)

السجان : أيها السجناء عرض الليلة يثير فضولكم .. (صمت) السيد نيرون الممثل العجيب .. يأخذ فترة استراحة ليشرب قهوته المرة .. و يفكر في مصير هذا العالم .

(ينسحب الكل .. ظلام) .

(أبو سرحان ... و أم سرحان .. أمام أثار البيت المهدوم)

(يظهر وجه سرحان فقط .. كأنه يتأملهما ..)

صوت : (يردد مع نغمة الربابة)

أم سرحان

جذور الزيتونة الخضراء

تتجذر في رحم الأرض السليبة

ماتزال تحمل إلى الأغصان و الفروع

ملح الأرض ..

ملح الجسد المعرق .

و دفء الشمس

أم سرحان ..

سرحان ثمرة هذا العصر

و زيتها المشتعل
سرحان خبز القرية
و منديلها الأبيض
يمسح حزنها القديم .

يوسف العطار :(تاجر خردة) كعادتكما تبكيان على غائب (صمت) كم وددت لو أني أستطيع مشاركتكما حزنكما الكبير (صمت) تقاليد أسرتي و أهلي تختلف عنكما و لكني سأفعل في المستقبل .

أم سرحان : (بغير مبالاة) ماذا تحمل إلينا من الأخبار .

أبو سرحان : خبر الطرد و الرحيل من جديد عن قريتنا .

يوسف العطار : (يتكلف المواساة) صدقني يا أبا سرحان .. و أنت يا أم سرحان .. أنا برئ مما يجري .

أبو سرحان : اغتصبت حقي و قد كنت ضيفي اللاجئ المطرود بالأمس.. وأصبحت اليوم تملك ضيعتي .. و بيتي و سريري (صمت) قلت لي جئت من اجل الله .. أريد أن أموت هادئا في أرضكم المقدسة ..

أم سرحان : كان بيتنا و قلبنا الكبير مفتوحين .

يوسف العطار : (بمكر) لا بأس .. سأكون طيبا معكما .. (صمت) صدقني يا أبا سرحان .. دفعت الكثير من أجل هذه الأرض (صمت) لكني صبرت .. و قررت أن أكون قريبا من أورشليم بيت بهوه .. (صمت) يذكرني حزنكما بأيام المحنة .

أبو سرحان : (بغير مبالاة) أيام كنت لا بيت لك في هذا العالم .

يوسف العطار : أعرف أنكما حزينان .. و لكنكما سوف تنسيان كل شئ .. أنا الأخر نسيت حقد العالم علي ..

أبو سرحان : انصرف يا يوسف العطار .. انصرف أيها اللص .

يوسف العطار : أنتما ناقمان .. (بعيدا .. منهما) .. عندما أوفدوني لأول مرة إلى هذه القرية .. تمنيت لو أني استطعت الاستحواذ عليها (صمت) كان

حلمي أن املك ضيعة من ضياعها الخضراء (صمت) انتصرت إرادتي
و حياتي ..مسكين أبى سرحان (يقترب منهما) .. سأمنحكما مكانا
بالقرب من ضيعتي ..

أبو سرحان : تقول ضيعتي ..

يوسف العطار : يجب أن ادعي هذا و إلا أصبحت مرفوضا أنا الأخر ..من طرفهم
.. (صمت) لن أكون طيبا معكما دائما .. أنتما مطرودان باسم وجود
أهلي فوق هذا الأرض ..

أبو سرحان: (بغير مبالاة) ماتت زيتونة سرحان .

أم سرحان : زيتونته حبلى يا أبا سرحان .

أبو سرحان : ليثني أصنع من جديد هذه الزيتونة لوحا جميلا .

أم سرحان : أكتب يا أبا سرحان تاريخ القرية و القبيلة .

يوسف العطار: إني أمنعكما من التذكر .. أنا الذي املك الزيتونة .

أبو سرحان : (بغير مبالاة) ضيفنا يا أم سرحان تغضبه الذكرى .

يوسف العطار : هذا يضجرني .

أم سرحان : متى يعود سرحان .. يا أبا سرحان .

يوسف العطار : قلت لكما .. هذا يضجرني ..

أم سرحان : أرى زيتونته الخضراء .

أبو سرحان : أرى القنديل .

يوسف العطار : إني أمنعكما من الذكرى .. اخرجا من قريتنا ..

(صوت ربابة .. ظلام ...)

(يدخل ب 1 ..و .. ب 2 ،، يحملان ،، لوحا مكتوبا ....)

(سرحان فوق الكرسي المشرحة .. تحت بقعة ضوئية..)

ب 1 : هذا لوحك القديم .

ب 2 : هذه أيامك الأخيرة .

ب 1 : تاريخ الزيتونة و القرية و العرس و الطفولة ،

ب 2 : تاريخ انتقامك الوهمي .

ب 1 : و طموحك الذي يشبه زبد البحر .

ب 2 : سفينتك المنكسرة التائهة .

ب 1: و وثيقة استسلامك .

سرحان : (بغير مبالاة) كعادتكم تشحذون أظافر غولكم الوهمي .

ب 2 : ذنبك يا سرحان انك لم تمت كباقي الآخرين .

سرحان : (بغير مبالاة) قتلتم زيتونتي .. اغتلتم ظلها الوارف .

ب 1 : نحن نحمل وثيقة خروجك من الأرض المقدسة .. لم تعد في نظرهم سوى شاهد قبر مزخرف و ذكرى يخلدها الشعراء الحالمون .

ب 2 : حاول يا سرحان .. تذكر شيئا يفيدنا في تشريح مصدر النقمة .. (صمت) نحن نريد أن نعفيك من الذكرى .

ب 1 : لماذا تسخر من آلتنا المتطورة .

ب 2 : انس يا سرحان لعبتك المفضلة .. الحياة في خروجك.

ب 1 : لن تجد وجها يعرفك في الطريق .

ب 2 : اعتمد علينا .. نحن وسادة أحلامك اللذيذة .

ب 1: اتكئ .. يا سرحان فغدا يبدأ تشريح جسدك المسكون بالأحلام .

(ينسحب ب 1 ... و ... ، ب 2 ،،)

(بقعة ضوء حيث تبدو شخصيات قروية مقنعة أمام خيال امرأة في حالة مخاض......)

عامر : (لعبد الله و سلمان) هذا صوت يشبه المنشار ..

سلمان : (يحاول تفادي توجع المرأة) إنه ينبئ بعاصفة هوجاء قادمة .

عامر : ماذا فعلت في السر يا عبد الله .. نحن اتفقنا أن تبقى نساء القرية مرضى بالعقر و الصمت .. (صمت) ماذا فعلت يا عبد الله في السر .. تخوننا وسط البحر .. (صمت) انكسر مجذاف الحياة .

عبد الله : (يسمع بشوق إلى توجع المرأة) لن أستطيع أن اهرب يا أصدقاء .

سلمان : ها أنت تتركها تصدر صوتا يقلق القرية .

عامر : يهيج غريزة نسائنا و يفضحنا .

عبد الله : (بغير مبالاة) علمتني الكرمة و النخلة و الزيتونة و الماء .. علمتني العاصفة .. علمني السيل الجارف أن أنضج و احمل فاكهتي .

عامر : منذ أن اقتلعوا داليتي .. و أنا أحاول أن أقنع زوجتي أن تتملى وجه القمر .

سلمان : منذ أن وضعوا بيني و بين النخلة حاجزا .. علمتها أن تحصي باشتهاء نجوم السماء

عبد الله : انتم تخصون الحياة .

سلمان : تخون قهوة المساء .

عامر : تخوننا في الليل يا عبد الله .

عبد الله : لا .. لا .. لا أستطيع أن أكفر بالنخلة و الكرمة و الزيتونة و الماء (صمت) حاولت أن أجعلكما تحبون هذه الأرض .. أنت (لعامر) لم تزرع نخلة باسقة تحرس فضاء قريتنا .. و أنت (لسلمان) لم تزرع كرمة تستضيف طيور و شحارير وادينا الأخضر . (يزداد توجع المرأة .. فجأة .. صوت طفل ،،) إني أسمع صوته البرئ .. صوت الكرمة و النخلة و الزيتونة و الماء.

(صمت) سأسميه يا أصدقاء .. نعم سأسميه سرحان .. هو اسم جذه الأكبر

عامر : نسيت كل شئ يا عبد الله .. ها أنت توقظ في ذاكرة هذه الأرض المهمومة.. تشهر في وجوهنا الشمس و السكين (صمت) آه يا عبد الله .. كنت أفكر في موت هادئ ..

(صوت الطفل يرتفع ..)

سلمان : ابتعد يا عبد الله .

عامر : هذا الصوت يذكرني بنفسي ..

سلمان: أريد أن أنسى .. أريد أن أنسى ..

عبد الله : لنشرب قهوة المساء .. انتم ضيوفي الليلة .. سرحان الطفل ينمو كأي نبتة و يتجذر في الأرض .

عامر : سرحان يذكي ثأرا جديدا .

عبد الله : لنشرب قهوتنا الليلة ..فالأطفال في قريتنا يعشقون حكاية ترحل و تطير .. (صمت) لنحك لهم حكاية جريئة .

عامر : سأعترف للقمر بجبن الجسد الخائف .

عبد الله : احك يا سلمان (مناغاة و زغاريد) حكاية تحريك الأرض الطيبة .

عامر : أحس بجسدي ينتفض .

عبد الله : إنه يحضر يا عامر .. يتجذر كزيتونة خضراء (صمت) احك يا عامر حكاية تحصد و تملأ أهراءنا الفارغة .

عامر : أنت لن تبيع الأرض .

عبد الله : و لن أرحل .

سلمان : لكنك تخون ميثاق القرية يا عبد الله .

عبد الله : القرية لحم و دم يا أصدقاء .. كيف أبيع لحمي و دمي .

عامر : سنموت تحت السقف .. (صمت) آه ليثني أصدق رعشة هذا الجسد المشوي بصهد الصحراء

عبد الله : سرحان سوف يغرس فسائل الزيتون و النخيل .. و يملأ أهراءنا الخاوية

(يختفي خيال المرأة و الطفل المولود .. ..)

(تنطلق أصوات غريبة .. انفجارات .. رصاص .. صراخ ...)

صوت : (من الخارج) أخرجوا .. اخرجوا ...

عامر : لبثني أصدق رعشة هذا الجسد المشوي بصهد الصحراء .

سلمان : ابتعد يا عبد الله .. ماذا أقول لزوجتي ..

عبد الله : القرية لحم و دم .. (تشتد الأصوات و الطلقات) سرحان ينمو تحت شمس القرية.. سرحان يقف ألان.. سرحان ينتصب ،، يحمل الفأس والبذور .. سرحان يتعلم شارة النصر يحفظ عن ظهر قلب كل الأسماء.. (صمت) لنشرب قهوة المولد يا أصدقاء ..

(يدخل يوسف العطار ..)

صوت : (من الخارج) ارحلوا .. ارحلوا ..

يوسف العطار : شالوم .. شالوم .. انه الإعلان الأخير .. لا تلوموني .. فانا صديقكم القديم، أنصحكم كصديق قديم (صمت) أستطيع أن أتوسط لكم في بيع ما تبقى من الأرض .. (لنفسه) أشم رائحة غريبة .. في عيونكم بداية رفض جديد (صمت) اطمئنوا .. لن أنسى فضلكم علي .. عندما زرت قريتكم لأول مرة كان خبزكم يعجبني .. تمنيت لو أن لي فرن يشبه فرنكم .. آه .. لم تبخلوا عني ،، كنت مطرودا و مكروها .. لكني تمنيت .. ربما تكون أمنيتي قد تحققت بسرعة ..(صمت) كان خبزكم لذيذا و فراشكم حالما .. أعتقد أنكم ترغبون في الحصول على ثمن جيد .. (صمت) أعدكم بذلك .. لا احد منكم يرفض وساطة يوسف العطار .. سأطلب باسمكم ثمنا بالعملة الصعبة .. (صمت) أنا صديقكم القديم سأضمن لكل واحد منكم تأشيرة دخول إلى العالم الجديد .

(يتحركون بخطى وئيدة .. سواعدهم ممدودة .. كأنهم يريدون خنقه .. يوسف العطار يتراجع خائفا ..) أنا صديقكم .. نعم .. صدقوني .. (يخرج هاربا) (يتعانقون) ،

عبد الله : سرحان .. اشحذ فأسنا القديم .. سرحان اشحذ فأسنا القديم .. سرحان ارفع شارة البداية .. سرحان اقطع رأس الأفعى .

(ظلام ... يخرجون .. ،، ،،)

(بقعة بيضاء فوق وجه السجان الذي يصفر معلنا بداية العرض المسرحي).

السجان : أيها السجناء .. يعود نيرون ليمتعكم بحقده على العالم .. و رغبته الجامحة في الدم و النبيذ (يصفق وحده).

نيرون : (يدخل وراءه سنيكا) متى يا مؤدبي تغير من منطقك المهووس .. فقد أتعبني التأمل و الحكمة الباردة (صمت) إنها لغة القبور و النفوس المبهمة .. (صمت) روما يجب أن تسود العالم بالدم ..

سنيكا : مولاي طعم النبيذ لا يشبه الدم .

نيرون : تعود إلى منطقك القديم (ضاحكا) كنت أريد أن أستشيرك .. لكني اكتشفت أنك تكن لأفكاري العظيمة عداوة صارخة (ضاحكا) اعرف انك تسخر مني (صمت) قلت .. و ليكن .. روما ملتقى الأفكار والتجار و البضاعة ..

(ضاحكا) روما نيرون .. تقود عربة الكون (ضاحكا) بهارات الشرق و جواريه اللذيذة و نفطه الأسود .. (ضاحكا) و سذاجته المؤنسة (صمت) ذهب إفريقيا و ماسها البراق و عبيدها الخانعين كل هذا من خراج روما الخالدة (صمت) لن أدعه يسقط .. يا مؤدبي في أيدي جهلة من الفلاحين و العبيد و أعداء روما (صمت) سأعطي لولاة روما في العالم و المعجبين بطريقة حكمي الأمر بتطبيق وصاياي العشر .. من اجل تحرير الخراج من الصعاليك و العبيد المتمردين(ضاحكا)

سنيكا : لن تستطيع يا مولاي أن تجعل الرياح دائما تسعف سفنك المبحرة .

نيرون : سيفي مسلول .. كبرق في السماء فوق الأعناق .. (صمت) تبدو يا مؤدبي لطيفا و رهافة حسك لن تمنحك حظوة جديدة في بلاطي (صمت) أرى درجات السلم تطول و تفصلك في كل عن مجلسي الخاص (ضاحكا) جرب يا مؤدبي أن توافق كباقي البطانة و الضيوف المعجبين و الأصدقاء .. انك لن تخسر شيئا من كرامتك (صمت) سوى تحريك رأسك المهموم و إمالته أمامي (ضاحكا)

سنيكا : إني أنبه يا مولاي ..

نيرون : لكنك تحرم روما من النبيذ الأحمر .. لننس الآن صنعة التفكير في العالم (للسجان ــ ح) إلي يا حاجبي بجارية دافئة تنسينا شغب الحديث (صمت) أريد أن أحلم بليلة مشتعلة .

(السجان ــ يدخل امرأة ملفوفة من وسط السجناء في إزار أبيض).. ماذا أرى امرأة ملفوفة .. أنا أريدها عارية كالفضيحة (ضاحكا) حتى تذيب ثلوج

القطبين في دمي .. و تحدث انفجارا في خيالي (صمت) أليس كذلك
يا مؤدبي .. بلى .. و تبعد شيخي و مؤدبي ،، و نديمي و مستشاري ..
الأمين من خريف العمر (ضاحكا) .

السجان ـــ ح : تريدها دافئة و غالية .. يا مولاي

نيرون : أذكر مصدر هذه البضاعة الغريبة ..

السجان ـــ ح : إنها هدية من ولاتك و أصدقائك في الشرق .

نيرون : هدية .. (يشير إليه بالانصراف) إنها تبدو كفرخ رمت به الرياح من عشه
..(بعيدا ..و بغير مبالاة) هل تستطيعين يا جارية أن تصبغي شعري
الأبيض ..و تدلكي لسان مؤدبي و شيخي العزيز.. حتى يفارق لكنته
(ضاحكا) شعر لحيته طال و استعصى كأفكاره (لسنيكا) .. انزع ثيابها
يا مؤدبي .. (ضاحكا) نيرون العظيم يكره الأشياء المستورة (صمت)
يعشق الجسد المفضوح ..ساعدها بحكمة يا مؤدبي.. سنيكا: (مترددا)
أعفني يا مولاي .. فانا ..

نيرون : لكي تكون محظوظا في مجلسي يجب أن تعلم رأسك كيف يميل في
الوقت المناسب (سنيكا .. يتقدم يزيل إزارها الأبيض) ما زلت متأثرا
بكتبك الصفراء (صمت) ها أنت تفتح الكتاب و تقرأ عنوانه (صمت)
حدثني يا مؤدبي عن مضمونه الشيق و دعني أقرأه في عينيك فضول
نارك و خيالك (ضاحكا) (يقترب من الجارية) أي الآلات تعزفين..و
أي اللغات تتكلمين (صمت) أريد لغة تضيئ مجلسنا المهموم (صارخا)
تكلمي .. لنبدأ السهرة (المرأة الجارية تحاول الكلام) خرساء .. هدية
خرساء .. (صارخا) يا حاجب النحس ..

السجان ـــ ح : مولاي ..

نيرون : سأسحقكم جميعا .. ليلتي خرساء ...!!؟

السجان ـــ ح : قطعوا لسانها .. و تركوا لك الجسد يا مولاي .

نيرون : أريد صوتها .

السجان ـــ ح : إنها يا مولاي لا تحفظ سوى أغاني العبيد.

نيرون : ماذا أسمع .

السجان ـــ ح : مولاي يا عظيم روما .. كانت تغني للعبيد و الناس و الأرض و الزيتون .

نيرون : لا .. لا .. لا ،، سأسحقكم جميعا.. لأول مرة يا مؤدبي أفكر في الجمع بين الصوت و الجسد .

سنيكا : من يغني يا مولاي يجب أن يكون حرا .

نيرون : أنا أملك صوتها و جسدها (يصرف السجان) أريد ليلة كاملة .. أريد صوت الجارية المتمردة .

(موسيقى .. بقعة ضوئية فوق شجرة زيتون .. تشخص الجارية ـ زهرة خطيبة سرحان .. شجرة تتوجع عبر الريح .. ثم تقف في انتظار سرحان الذي ينسل من بين المساجين .. الإنارة هي التي تحدد المكان..)

زهرة ـ ج : انتظرتك في المكان ليلتين .

سرحان : (خلفها) كنت أفكر في الاختفاء و الابتعاد عن عيون الأعداء (صمت) القرية ما تزال محاصرة

زهرة : هل قررت أن تهاجر .

سرحان : أحس أني مكلف بمهمة

زهرة : متى نعلن زواجنا .

سرحان : زهرة باسم هذه الأرض .. أنت زوجتي .

زهرة : الأهل و الأحباب يا سرحان .

سرحان: لا أستطيع .. أنا أجتمع بهم (صمت) سوف أعرضهم للسجن و الاستنطاق .. سأخون مهمتي (صمت) أرجوك يا زهرة .. لا تسأليني عن طبيعة هذه المهمة .

زهرة : كنت احلم بعرس كبير .. و بخاتم يلمع بين أصابعي .. (صمت) ضاعت حناء يوم الدخلة .

سرحان : إني أسمع زغردة أمي .. و أشتم عطر وسادتها في كل مكان .. لتشهد نجوم هذه الليلة انك زوجتي (صمت) سأنحت اسمينا تاريخ مهمتي الأولى فوق جيد زيتونتنا ..

هو ذا عقدنا الخالد يا زهرة .

زهرة : ليثني أستطيع أن أنسى

سرحان : تذكري كل شئ عن قريتنا و أرضنا السليبة .

زهـــرة : ليثني أستطيع أن أنسى.

سرحان : سنعود .. و نشرب قهوة المساء.

زهـــرة : ماذا أسمي مولودنا يا سرحان .. و قد ضاعت كل الأسماء .

سرحان : هو بعض من أسماء الذين ينضجون كل يوم في المعركة بين النار و الدخان .. سميه يا زهرة بأسمائهم .. أنه حبة من عنقود دالية الأرض .

زهـــرة : سرحان .. أي المدن تقصد .

سرحان : لا تسأليني فقد تتعرضين لمحنة السؤال .. أنا في كل مكان (صمت) عودي يا زهرة إلى قريتنا .

زهـــرة : جسدي منغرس كهذه الشجرة

ســرحان : طوبي لشجرة الزيتون .. طوبي لشجرة النور(صمت) تعلمي أن تنادي العواصف و البروق .. مَدّي يديك للصباح .. اشربي من كأس القمر.. و املائ صدرك بالشمس التي لا تغيب (صمت) زهرة .. تعلمي أن تسمعي نداء قطرات الندى و نسخ الشجر الحزين .. زهرة انسجي من لهاثنا لطفلنا المنتظر كسوة .. نعم سوف تسمعين قريبا لهاثنا و طقطقة أحذيتنا القادمة .. و احتكاك البنادق بالسواعد السمراء .

زهرة : أخاف من نعيق الغربان يا سرحان .

سرحان : لا .. لا . أنت شجرتي القوية ،، و هذه الرياح و الأعاصير صوتك القاهر.. (صمت) زهرة .. عودي إلى قريتنا الحبيبة .

زهرة : إنهم يقتلون العصافير .. و يسألون الأطفال عن أوصافك .

سرحان : أنا محفوظ في عينيك .. يا زهرة .

(ينسحب و هو يردد الجملة الأخيرة ......)

(تتابع الجارية ـــ زهرة ـــ رقصتها المترنحة سرحان يعود إلى مكانه)

نيرون : أريد صوتها (صارخا) اقطعوا كل السن ولاتي في الشرق .. و اصنعوا لجاريتي لسانا يطربني الليلة (صمت) يحمل حرارة هذا الجسد المتمرد (صمت) ما اسم هذه الرقصة المتشنجة .. يا مؤدبي ..

سنيكا : كانت تشخص يا مولاي بداية العاصفة في الكون.

نيرون : أنت تهدم كوني.

سنيكا : مولاي لغة هذا الجسد أقوى من كل لسان

نيرون : أنا أشتهي يا مؤدبي .. و لا أريد أن أحب كعبيدي (صمت) ابحثوا عن لسان يطابق هذا الجسد (صمت) أريد أن أغرس عبره كل فضولي (ضاحكا) و أجعله مربطا لحصاني الجامح (ضاحكا بهستيريا) أنت (لسنيكا) كعادتك يربكك الاستغراب .. و يستحوذ عليك منطق الأمس (صمت) إني لا أخجل إذا تشبهت بكل أصناف حيواناتي الضارية في البحث عن فريسة (ينادي السجان ـــ ح) يا حاجب النحس

السجان : مولاي

نيرون : اغسلوا جسدها من سمرة الشرق .. و لا تنسوا أن تقتلعوا أظافرها .. واصنعوا لها لسانا يغني .. روما العظيمة فوق الجميع .

(ضاحكا .. السجان ـــ ح ـ يقود الجارية ...)

سنيكا : مولاي لسانها يطابق قلبها ...

نيرون : أتحب غيري و أنا سيدها العظيم ..

سنيكا : و تخلص له .. يا مولاي .. حتى الموت .
نيرون : كيف عرفت .. و أنت ما تزال واقفا بجانبي .. أنا الأقوى .
سنيكا : الحب الحب يا مولاي ..
نيرون : كيف أجعلها .. إذن .. تحبني و تعشقني ،، و منطقك الشائخ يضمر لي أعداء و يهدم كوني .
سنيكا : مولاي العظيم .. (صمت) أنت تهين طينتها المقدسة .
نيرون : روما يجب أن تبقى فوق الجميع
سنيكا : مولاي العظيم .. في دم هذه الجارية عاصفة هوجاء.
نيرون : سأحرقها ... و أصهرها بين يدي (ضاحكا)
سنيكا : العاصفة يا مولاي سوف تستمر خارج الجسد .
نيرون : ماذا أسمع ..ويح مؤدبي .. يتابع هدمي (ينادي السجان ــ ح) يا حاجب النحس ... ابحثوا عن عاشقها في كل مكان ... اصلبوه ... ارموه بالنبال المحرقة .

(ينسحب نيرون و سنيكا ... ظلام .. السجان يصفر ... تسمع أصوات صفارات البوليس .. يختفي السجان بمجرد أن تسقط بقع ضوئية ..)

(تسقط بقع ضوئية .. حيث يوجد يوسف العطار ..و سلمان .. و أبو سرحان ،، بعيدا منهم .. ثلاث نساء ... يضعن خمارا مشتركا ...)

يوسف العطار : (بخبث) الاختيار صعب يا أصدقاء .. و بين أن تركبوا البحر الهائج أو البر التائه .. و بين طريق موغلة في الأدغال (صمت) أحاول أبقى صديقا لكم جميعا (صمت) كان علي أن أنقل الخبر .
عامر : هذه البركة تبتلع مفتاح بيتي .
سلمان : مفاتيح القرية ترقد في أعماقها .
أبو سرحان : (بعيدا .. بغير مبالاة) البيوت كلها مغتصبة (صمت) ما جدوى أن نحمل المفتاح أو نفتقده.
يوسف العطار : هذه بركتكم القديمة

أبو سرحان : ذنبنا القديم .. رحم الأرض و دم الزيتونة الجريحة (صمت) هناك
واحد منا تعمد أو نسي أن ينظف العين .
يوسف العطار : إنها بركتكم .. يا أصدقاء لا أمل في مائها.
أبو سرحان : كانت تنضج كل ثمارنا.
يوسف العطار : هذا كل ما تبقى من ثروة القرية (يقترب من سلمان) صدقني
يا سلمان .. انس أنك تملك مفتاحا و أنك كنت تسقي أشجارا ..
ارحل.. (صمت) ربما أخطأ التاريخ في حقكم .. تستطيع أن تكون
إنسان أخر....
أبو سرحان : ستظل بيوتنا مغتصبة .
عامر : أنا لم أنس صدقوني.
أبو سرحان : البركة يا أصدقاء رحم هذه القرية .
سلمان : نحن لم نذنب في حقها .
أبو سرحان : قتلتم عين الماء .. و هذا الذي ترونا أمامكم .. صديد جراحاتكم
القديمة .. و دم المغتالين قبل الفجر.
يوسف العطار : أودعكم كالعادة .. اتفقوا .. سوف أمنحكم خبرتي و وقروضي
السخية (صمت) (ينسحب).
سلمان : ماذا نفعل لذا لم نوهم أنفسنا باصطياد مفتاح أو مفتاحين .
(النساء الثلاثة يتحركن .. بعد إزالة الخمار المشترك .. يحملن أقنعة رجال ..
أيديهن متشابكة)
عامر : لننس غربتنا .. ساعدنا يا أبا سرحان .
أبو سرحان : (بغير مبالاة) كانت صافية كثدي أم سرحان .. لذيذة كحليبها
(صمت) ليثني أستطيع أن أسقي شجرة الزيتون
(النساء يتحركن نحوهم متشابكات ..)
سلمان : أحس أني فقدت وجهي .. لم تعد تعرفني.
عامر : هذه البركة تذكرني بالذنب .

سلمان : (خائفا) نعم .. ربما كنت أفعل شيئا ..

سرحان : كانت تحبل بكل الأزهار البرية .. ترش بالطيب مساءنا المقمر .. و كان ماؤها الحي يلبس في النهار الطين و الأشجار .. ثم يسافر إلى القرى البعيدة .

سلمان : إني أخشى هذه البركة .

أبو سرحان : لنخصب عمقها .. حتى يلبس الطين ماء النهار

النساء 3 : (بصوت واحد) أخصبوا البركة .. اغسلوا وجه الطين .

(صوت ربابة .. يختفون .. ،، ظلام)

(بقعة ضوئية فوق وجه سرحان .. و هو فوق الكرسي ـ المشرحة .. بجانبه .. ب 1 ،،،،،، و ....ب 2 ،، ،، ،،،)

سرحان : أخصبوا البركة .. أغسلوا وجه الطين .. (ضحكات ب 1 ....و ب 2)

ب 1 :هنيئا يا سرحان .. ها قد تمت العملية داخل جسمك بنجاح غريب .. لم يبق إلا أن تشكر إدارة المستشفى .

سرحان : (يردد بغير مبالاة) قتلوا العين .. اغتالوا سر الماء.

ب 2 : إنه مجرد حلم يا سرحان .. (صمت) لن تعود سجين جسمك المهموم .

ب 1 : كنت أسير حلمك الكبير

سرحان : (بغير مبالاة) هذه البركة تدس في جسدها المقرور كل مفاتيح القرية.

ب 1 : نحن نريد أن تكون هكذا .. بعيدا عن الحلم القاتل ..

سرحان : (صائحا) أخصبوا البركة

ب 2 :تابع وصفتنا يا سرحان .

ب 1 : أنت الآن لا تشبه كل الناس

ب 1 : كنت أسير حلمك الكبير

ب 2 : أنت نتيجة خبرتنا العالية يا سرحان ..

أعطيناك جسدا يسبح في الماء .

سرحان : (بغير مبالاة) من يخصب البركة المظلمة .. من يغسل وجه الطين

ب 1 : سرحان لن تكون إلا نتيجة خبرتنا العالية

سرحان : (بغير مبالاة) ما يزال بيتنا الأبيض فوق الهضبة .. يعانق سريري (صمت) أنا هناك أتكئ في عيني أمي .. أنا هناك في قلبي زهرة أحلم بطير يغنيني نشيد الفجر القادم .

(ب 1 .. و .. ب 2 ،، يقتربان منه يحقنانه بإبرة)

ب 1 ب 2 : (بصوت واحد) أنت مولود خبرتنا يا سرحان .. و ستظل مولودنا العجيب في هذا العالم (يغمى عليه .. يدفعان الكرسي ـ المشرحة إلى منطقة مظلمة ....)

(تدخل الشخصية المتنكرة بلباس غريب .. ب 1 .. و .. ب 2 يستقبلانها بحرارة،،،،)

ب 1 : مرحبا ... مرحبا ..

ب 2: مرحبا بصديقنا الكبير ..

ش . م : (مترددا) أرجو .. أن يكون وجودي هنا بينكما بعيدا عن الأعين و أنوف الفضوليين .. إني ..

ب 1: أنت في مأمن وحماية بيننا .. تفضل يا صديقنا الكبير (صمت) نحن نعرف أن التجاءك إلينا يثير العشيرة و القبيلة .. و قد يزيل الثقة فيك .. ويزرع الفتنة بين القبائل يا صديقنا الكبير .

ش . م : نعم .. أخبروني .. هل نجحت العملية ،، و هل استجاب جسمه العنيد .

ب 2 : اطمئن يا صديقنا الكبير (صمت) خبرتنا العالية لم تترك على جسده المشتعل أثرا يثير الشكوك . تحول و استحال .

ب 1 : أخصينا جسده العنيد و لغته المتمردة .. و طريقة تفكيره .

ش . م : يا للمعجزة .. كم كنت أخشى عودة ذاكرته.

ب 2 : تستطيع أن تجعله غلاما أمينا في بيتك (ضاحكا) يلهج باسمك كالببغاء في أي لحظة .

ش . م : يا لمعجزة الأصدقاء .
ب 1 : لا شئ يقف أمام تعاوننا المطلق .. يا صديقنا الكبير .
ش . م : ماذا تريدان مني .. من اجل الخبرة .. و الحنكة .
ب 2: نريد أسواقا و أبواقا مفتوحة و زبونا يشبهك في التنفيذ .. و مراكز تابعة للخبرة يا صديقنا الكبير .
ش . م : هذا طلب لا يحرجني بين الأصدقاء و الأهل و العشيرة .
ب 1 : نريد أن تنشر بينهم إعلانا يؤكد خبرتنا في اخصاء الخدم .. و المتمردين و العصاة.
ش . م : أعلنوا أيها الأصدقاء .. أسواقي مفتوحة (لنفسه) كان يقض مضجعي كحلم رهيب (صمت) كنت أخشى يقظته و لغته العنيفة في الليل والنهار .
ب 2 : نحن في خدمة صديقنا الكبير.
ش . م : (بغير مبالاة) كان يزعجني جسده الذي ينمو تحت الشمس .
ب 1 : انه الآن غلام لطيف.. بعه و اشتره ألف مرة في اليوم ..مهنته حمل الطاس و الإبريق .. ناده متى تشاء و بكل الأسماء .. يا صديقنا الكبير
ش . م : يا لمعجزة الأصدقاء .. أريد الآن حتى أختبر مرونته و طاعته.
ب 2 : أدخل و تفرج عن ملامحه الجديدة .. فقد تغير لونه و لانت راحتاه .. و لم يعد يتذكر وجهك القديم
أصبحت مالكه و وارثه و بائعه .. يا صديقنا الكبير
ب 1 : لا تنس يا صديقنا الكبير أن تنشر خبرتنا بين الأهل و الأصدقاء .
ب 2 : و أن تؤكد مشاريع الاخصاء في نشر السلام ... بين الأصدقاء ..
ش . م : يا لمعجزة الأصدقاء ..
(ينسحبون .. ظلام .. ،،، ،،)
(أبو عقال ..زو أبو سلامة ... يدخلون في سكر ... مجلس شراب .... ،، ،،)
أبو عقال : (ماسكا كأسه) أنت في بيتك يا حليفي .. و صديقي العزيز ..

(صمت) آه .. ما هذا الضباب الذي يحجب الرؤيا .. أرى كأسي يختفي .. (صمت) هذا مجلس ندمائي و أسراري .. تفضل .. اجلس (صمت) أما زلت تذكر اسمي .. من أكون أنا الآن أمامك .

أبو سلامة : أنت .. أنت .. الآن كأسي و ملجئي .

أبو عقال : (ضاحكا) أحسنت .. أي نوع من النسيان تفضل .. دالية الشرق أو دالية الغرب (صمت) حاول أن تنسل من صمتك المهووس .

أبو سلامة : أنا عريان .. فأعطني شيئا يلبسني .. و ينسيني حرفتي الطاغية .

أبو عقال : (ضاحكا) ستبقى جزارا ماهرا .. يا حليفي .

أبو سلامة : أنا أنفذ وصيتهم .. عند ما أتيت منحوني حانوتا و سكينا و ضحية .

أبو عقال :لا تذكرني .. فأنا لست مهيئا لرثاء الأهل و الجيران . (صمت) كيف تراني أمامك

أبو سلامة : قبل الذبح أم بعده

أبو عقال :أيها الملعون .. أنت في ضيافتي .

أبو سلامة : حاولت أن أنسى عدوى الذبح و الدم .. لكن وجهك يذكرني ..

أبو عقال : في مجلس العشيرة .ياحليفي ننسى الأخبار و نسمع الأشعار (يصب له خمرا) هات كأسك

أبو سلامة : في مجالسكم تؤجلون الموت (ضاحكا) و تصفقون للخيال

أبو عقال : (ينادي) سرحان .

أبو سلامة : من تنادي يا حليفي العزيز .. (صمت) الذئب لا يصافح جهرا ضحيته المخلصة .

أبو عقال : خادمي المخلص . (أبو سلامة ضاحكا)

تضحك من عاداتنا و أعرافنا المقدسة

أبو سلامة : أنت جزار مثلي .

أبو عقال : أصون كرامة بيتي و عشيرتي .. و أحافظ على نقاوة الدم و النسب .

أبو سلامة : أخصيته كباقي الخدم (ضاحكا) .. إنك تقتل البذرة و الجذور والفسيلة .

أبو عقال :العادة أكبر مني (ينادي) سرحان .

سرحان : (بتأنث) سيدي .

أبو عقال : أريد خمرا معتقة تقنع ضيفي و حليفي .

سرحان : أي نوع تفضل .. المعصورة بأيدي الخصيان .. أم المرفوعة إليك يا سيدي كهدية.

أبو سلامة : (ضاحكا) نعم المرفوع إليه كهدية ...

أبو عقال : (يشير لسرحان بالانصراف) أنت تسخر مني يا حليفي العزيز.

أبو سلامة : علمني السكين الحاد ألا أذبح ضحيتي مرتين (صمت) لكنكم كالعادة يا حليفي تنسون أخبار اليوم المزعجة.

أبو عقال : أنا أخصيته من أجل حماية أعراض العشيرة .

أبو سلامة : سأعاف حرفة الذبح في يوم من الأيام .

أبو عقال : باسم حلفنا منحناك الحانوت و السكين

أبو سلامة : أنا لا املك نفسي .. و لا أستطيع مثلك أن أخصي السكين .

أبو عقال : تذكرني بجريمتي .

أبو سلامة : إنه مجرد خادم بسيط يعصر الدالية.

أبو عقال : أخاف طموحه (صمت) كان يملك أرضا و حقلا و نخلة و دالية.

أبو سلامة : سأعاف يا حليفي في يوم من الأيام رائحة الدم .. و أعاف مجلسك الغريب.

أبو عقال : انك تترك الأرضة .. تأكل وثيقتنا السرية و تحالفنا المشروع.

أبو سلامة : أمس كنت يوسف العطار .. بعث سلعتي لكل القرى و المداشر.. ورأيت كيف يزرع اهلك الطيبون بذور القمح و فسائل الزيتون (صمت) ربحت الكثير .. لكنني خسرت جيراني .

أبو عقال : أنت تاجر .. السوق كالبحر يا حليفي مد و جزر .. يأخذ و يعطي .

أبو سلامة : أريد مرفأ يعانق جسدي (صمت) سئمت أيها الحليف حرفة الذبح.. أريد أن أبقى عطارا في هذه القرى يعشق صوتي الأطفال و النساء .. أبيعهم اللعب و الألوان .

أبو عقال : ماذا أسمع .. حليفي يخونني في مجلسي .

أبو سلامة : ليتني أستطيع أن أخصي مثلك.

أبو عقال : صدقني يا حليفي .. سرحان خادمي .. المخصى .. لم تعد ذاكرته تحمل صورة الأهل و الأعداء .. بعته و اشتريته كم مرة في أسواق العجم .. بدلت لغته الوحيدة .. (صمت) جعلت منه مطربي و منشد أشعار العشيرة .

أبو سلامة : (صائحا) لا .. لا .. لا تصدق فقد رأيت في الدم صورة الفسائل الجديدة .

أبو عقال : سرحان .. خادمي المخصي .. صدقني لن يتذكر شيئا من حقده الأول .

أبو سلامة : (بغير مبالاة) رأيت في دمهم البيوت الفارغة .. رأيت الأصوات والأشلاء المبعثرة .. رأيت الحرائق و دمى الأطفال .. (صمت) رأيت في الدم أيادي تتحرك نحوي .. تريد خنقي .

أبو عقال : شربت كثيرا .. و نسيت دهاءك ياحليفي .

أبو سلامة : منحوني النار في حزمة الغار .. لا .. سأعاف رائحة الدم .. ياحليفي.. (صمت) سوف أمنح عنقي لليد التي تطول كل يوم (صائحا) لا .. لا ..

أبو عقال : أنت في مجلسي و حمى العشيرة

أبو سلامة : (صائحا) لا .. لا .. لا ،، (يسقط)

أبو عقال : (صائحا) سرحان ..

(تمتد أيادي طويلة .. تحاول خنقه .. ، ظلام .....)

(نيرون وحده .. يتفرج من شرفته .. عن المدينة .. يمسك بمنظار مكبر .. ،،)

(قرص نحاس .. إبريق شراب .. ،،)

نيرون : (ينظر بالمنظار المقرب) هذه روما غانيتي .. و نبيذي الأحمر .. و سفينتي المبحرة (صمت) ترى ماذا يجول متكاسلا في عقلها المهووس من

الأحلام والأشباح (صمت) روما اقتربي عارية (ضاحكا) أخبروني أيتها السعيدة أنك صحوت من خدر القصور و النبلاء و المخنثين.. و لم يعد يروقك سمر الليل الطويل (صمت) روما غانيتي كيف لبست وجوه هؤلاء الجاثمين كالجراد في أعتابك يمتصون الأرض .. لن أدعهم يسرقون من طلعتك طقوسي و جنوني .. فانا المالك و الوارث و البائع و المشتري.. أنت لي (صمت) روما أرقصي فوق النار و احرقي العالم .. فأنا حطابك يا موقدي (صمت) سأحرقهم .. و أبقر بطونهم (صمت) و أفقأ عيونهم الجاحظة (صمت) من تخبئين تحت وشاحك..!!؟ صعلوكا.. أم حليفا جديدا يريد حمايتي ،، (يضرب قرص النحاس) أيها الحاجب.

الحاجب ــ السجان : مولاي .

نيرون : أرى غانيتي متجهمة الوجه (صمت) تكلم .. ماذا في جعبة عيوني من الأخبار

الحاجب ــ س : روما مولاي .. تمد يدها تصافحهم .. تمنحهم الدفء ..و تكشف للرعاع أسرارك المقدسة .

نيرون : باختصار .. باختصار ..

الحاجب ــ س : تحكي لهم بكل اللغات حكاياك ..و تضيء زواياهم المظلمة .

نيرون : باختصار .. باختصار .

الحاجب ــ س : تقف راوية في الأسواق و الدروب و الصوامع قصة الشمس المختصرة .

نيرون : باختصار .

الحاجب ــ س: تمنحهم يا مولاي المفاتيح السرية

نيرون : باختصار يا حاجب النحس .

الحاجب ــ س : روما مولاي ثائرة و متمردة.

نيرون : (ضاحكا بهستيريا) روما غانيتي تخون قرار سيدها المطلق .. (صمت) أين

ذهب العسس و البطانة و العيون و الحلفاء (صمت) هذه القطة تأكل أطفالها .. و أنا يعجبني هذا التغنج الجديد في غانيتي (ضاحكا) ها أنت تمنحين في السر صدرك للرعاع و العرايا .. المتمردين و تنسين الذي غسل وجهك .. و معابدك .. و صدرك الناهد مرتين .. مرة بالدم .. و مرة بالخمر المعتقة .. (ضاحكا) لا .. لا .. ستطول ليلتنا الحمراء .(صمت) هذه الأشباح لن تطرق بابي .. أنا الذي أحملك دفئا في جسدي و جوهرة في خاتمي ..و سيفا فوق الرؤوس المشرئبة ..و نطعا يخيط أفواه هؤلاء الرعاع .. (صمت) روما غانيتي .. سأجعلك ترقصين فوق النار و تحت النار ..فهذا العالم المخصي قد أصابته برودة و شاخ. صدئت لغته الجبانة (صمت) سأصليه نارا حتى ينضج فوق راحتي .. يا حاجب.. أكمل الحكاية .

الحاجب ــ س : مولاي .

نيرون : (يسكته بإشارة من يده) ادفئوا صدر غانيتي روما.

الحاجب ــ س : مولاي ..لم ..لم يبق في الخزانة نفط و لا دولار ..و خراج المدن التابعة و الحليفة قد نهبها صعاليك البادية.

نيرون : (صارخا) خذو عشاق غانيتي روما حطبا .. و دعوني أتفرج عن اللهب الراقص.. تحت قدميها العاريتين (صمت) أعلنوا بداية الحفل .. و لتبدأ رقصة النار.

الحاجب ــ س : أنت حليف هذه المدن و حامي ولاتها يا مولاي .

نيرون : روما فوق الجميع .. يا حاجب (صمت) و هذا الثلج يوجع حلمي الجميل .

(يضرب قرص النحاس بجنون .. تظهر في العمق صور الخراب و الدمار .. موسيقى ترافق الصور المعبرة ..أصوات استغاثة ..)

سنيكا : (يدخل غاضبا) مولاي رائحة اللحم المحترق .. مرة أخرى يا مولاي تضع الحصان خلف العربة ..و ناموس هذا العالم أكبر من حلمك.

نيرون : (بغير مبالاة) أنت .. أخبروني يا مؤدبي أنك ضد روما غانيتي .. (صمت) اعترف انك مذنب .

سنيكا : أنا لم أحرضهم يا مولاي .. و لكنهم جاعوا و ظلموا .. سحقت حقولهم حوافر جنودك القساة .. و احرقوا البيوت و الأكواخ .. شردوا الأطفال و النساء.

نيرون : لكنك علمتهم في الخفاء كيف يحقدون

سنيكا : الظلم ليس سرا يا مولاي .

نيرون : كعادتك أيها الشيخ .. تبيعني للعقل و الحكمة في المزاد العلني (صمت) و أنا أكره عقلك و حكمتك.

سنيكا : كنت أسمع أنينهم المخنوق عبر الأزقة و دروب روما .. رأيت في أعماق عيونهم نارا يذكيها السأم و الألم و الكراهية (صمت) ربما كنت وحدي الذي كان يسمع أصواتهم قبلما يتحرك فيهم اللسان و الصوت و الساعد .. قبلما يحضر الكلام .. و ينضج في المساء كنخلة باسقة .

نيرون : (ضاحكا) تعجبني رقصة النار يا مؤدبي .

سنيكا : مولاي.. ها أنت تهدم صرح روما وتخنق بدخانها كل حمائم الأرض وعصافيرها الخضراء.

نيرون : .. غانيتي .. (يرفع كأسه) سأغسل وجهك ألف مرة بالدم والخمر.. و أقتلع هذا الجذر الموبوء (يضع السكين و الكأس أمام سنيكا) أملأ كأس روما غانيتي قبل بداية الرقصة .. أعصر أوداجك.. هنا ،،

سنيكا : (يأخذ السكين) أيتها المدن الملعونة .. أيتها العواصف الشرقية المقدسة .. امنحيني قلاعا .. و سفينة .. و بحرا ،، و مرفأ ،، امنحيني أهلا .. و قلبا يملأ هذا العالم (يحز أوداجه)

نيرون: (ضاحكا بهستيريا) أدفئوا صدر غانيتي روما (يردها صارخا)

(تظهر صور الخراب و الدمار .. موسيقى تصور القصف ..)

(صور مدينة القدس الشريف ممتزجة بصور الحروب ..)

الحاجب ـــ س : مولاي روما تحترق .

نيرون : (ضاحكا بهستيريا) ها قد بدأت ترقص غانيتي فوق النار و تحت النار .

(يردد الجملة الأخيرة .. يخرج .. يتبعه الحاجب ..)

(تبقى جثة سنيكا وحدها فقط تحت ضوء القمر ..)

(يدخل عامر .. و أبو سرحان .. الوقت فجرا ،،)

(جثة سنيكا .. ....،،)

عامر : (متكئا على عكازه) ليثني مت تحت سقف بيتي .

أبو سرحان : بيتك ابتلعته النار (صمت) بيتك هذا الفضاء يا عامر (صمت) أصبحت البيت و الساكن و الجار .

عامر : من يسمعني .. فانا رجل عاقر (صمت) أنظر يا أبا سرحان .. جثة في طريقنا..

أبو سرحان : اغتالوه قبل الفجر .

عامر : (يقترب منه) لباسه غريب

أبو سرحان : (يلمسه) إنه حي .. لكنه غارق في حلم جميل

عامر : ربما كان مطرودا مثلنا .

أبو سرحان : (يحركه) استيقظ يا رجل أنت في مكان مكشوف .

سنيكا : (يستيقظ منزعجا) أ.. أين أنا .. ماذا أرى شبحين .. (صمت) من تكونان ..!؟

أبو سرحان : هذا جاري عامر يا سيدي

عامر : و هذا سيدي ... أبو سرحان .

سنيكا : (بغير مبالاة) إدا لم يكن حلما فقد كان حقيقية رهيبة .. (صمت) أنا سرحان أيها السادة ابن هذه الأرض .

معا : سرحان.!!!

أبو سرحان: تذكرني باسم ولدي سرحان.

عامر :كان فتى قريتنا .

سنيكا : رحلت .. كانت رحلتي مع نفسي شاقة و طويلة .. قلت له العالم أكبر من حلمك .

أبو سرحان : تتحدث عن شئ رأيته في حلمك يا سيدي

سنيكا : ربما كان خطأ أني لم أشحذ سيفي (صمت) بضاعة الموعظة يا سادة لا يمكن أن تصنع لك ثقبا في الجدار .

عامر : ما يزال يتحدث عن حلمه الغريب .

سنيكا : (بغير مبالاة) عجبا .. (يفحص عنقه) لا أثر للسكين على عنقي .

عامر : حاولوا اغتياله في الطريق (صمت) هذه البلاد أصبحت ملجأ للصوص وقطاع الطرق

سنيكا : (بغير مبالاة) أنا الذي اخترت موتي .. قطعت أوداجي بسكينه لأثبت له أن العالم أكبر من حلمه

أبو سرحان : آسف يا سيدي لم نعد نملك بيتا ومضيفا حتى نعتز بضيافتك وقدومك الليلة .

سنيكا : (بغير مبالاة) ملأت الكأس بدم قلبي .. ثم فارقت المدينة الفاجرة (صمت) قلت له .. السياط يا نيرون لم تعد تخيف سكان المدن المستعبدة .. (صمت) ... نعم ،، لم أسألكما بعد .. أنا جئت لأبحث عن أهلي ،

أبو سرحان : (بلهفة) أسمع صوت سرحان يا عامر .

عامر : سرحان رحل .

سنيكا : (بغير مبالاة) كانت أمي تقول .. لا تنس يا ولدي أن تسقي كل الفسائل الجديدة (صمت) و عندما جاءوا فجأة كالجراد اقتلعوا كل الفسائل و الأشجار.

عامر : انه يتحدث عن قريتنا .

سنيكا : (بغير مبالاة) قلت له جنودك سحقت الحقول و شردت الطيور و الأطفال و النساء .. (صمت) عجبا .. يا سادة .. أنا حي بينكم ،، حكمة أمي كانت حقيقة (صمت) لا شئ خارج الماء و الدم .. (صمت) جسدي كان مركبي و فسيلتي الوحيدة .. (صمت) أشعر أني نموت وحدي بين

الطحالب و الأشواك ..وحدي كسرت القشرة (صمت) صدقوني أيها السادة .. الإنسان كائن ما دام يرفض (صمت) ربما عدت في الوقت المناسب .

أبو سرحان : نحن في نهاية الطريق يا سيدي.

سنيكا : (بغير مبالاة) عرفت أشياء كثيرة عن الظلم و الغربة (صمت) و كان علي أن أتعلم كيف أقهر الظلام داخل عيني .. (صمت) تصفحت كل النواميس بحثا عن شئ يقنع هؤلاء المتسلطين .. فلم أجد أقوى من النار .. (صمت) أيها السادة روما الفاجرة احترقت ..
و ليس في خزانتها نفط و لا دولار ..

أبو سرحان : سرحان .... يقترب مني ....

سنيكا : ستبقى الشمس شرقية المولد .. (صمت) ألبسوني كم جلد .. غسلوا ذاكرتي بالنفط .. كان يهمهم أن أنسى أعدائي (صمت) بالرغم من حلاوة الشيكولاتة ... و مشروب كوكاكولا .... وزرقة "الدجين" .
نعم .. فضلت سحنة أهلي المتعبين ..

عامر : نحن في نهاية الطريق يا سيدي .

سنيكا : كعادتكما .. تصران على المشي على الأقدام إلى سوق القرية .. (صمت) نحن ثلاثة يا سادة نستطيع أن نحفر بئرا.. و نزرع فسيلة .. (صمت) قبلما أحز أوداجي .. تذكرت صورة قريتنا البيضاء و وادينا الأخضر (صمت) لم انس ابنة عمي

أبو سرحان : لم تتحمل أهانتهم يا سيدي

عامر : ما يزال يتحدث عن شئ رآه في الحلم

سنيكا : قريبا تحضر عربة الشمس .. قريبا أزور كل الأصدقاء .. قريبا أضع فوق قبرها الموشوم بالأزهار البرية غصن زيتون .. و سبحة .. و دملج أمي .. (صمت) روما الفاجرة احترقت أيها السادة .. احرقها اللعب بالنار .. ونيرون قد خسر كل الرهان .

عامر : ما زال يتحدث عن شئ رآه في الحلم .

سنيكا : روما الفاجرة احترقت أيها السادة ..

عامر : نحن في نهاية الطريق .. (يخرجان)

سنيكا : (بغير مبالاة) أيتها العواصف المقدسة .

امنحيني مطرا ورعودا حتى اغسل وجه الأرض المعشوقة .

امحيني فأسا لا يصدأ حتى اقتلع الطحالب و الجذور المهترئة .

(صوت رعود ... و برق ..... ،،، ،،،،)

(و ظلام .. .... ،، ،،،،)

(سرحان جالسا .. تتراءى ناطحات السحاب .. في الخلف عبر نافذة من القضبان ..)

(ب 1 ... و .. ب 2 ،،،، سرحان في المقدمة ،،،،)

ب 1 : عبثا تحلم يا سرحان .. فالحلم دوامة .

ب 2 : اعبر حلمك يا سرحان .. أفرغ حمولتك القاتلة .

سرحان : (بغير مبالاة) روما احترقت .. و نيرون لم يعد يخصي سكان المدن المستبعدة ..

ب 1 : (ضاحكا) ليس في صالحك أن تعاكس الريح يا سرحان .. نحن أنقذناك من الغرق .

(تظهر جوقة من الخلف ... بلباس أسود .. و أقنعة غريبة ... و عكاكيز)

الجوقة : أخرج من جسدك المسكون يا سرحان .. نحن لم نعد نشرب قهوة المساء.. و لم تعد حكاية النخلة تبتل بريق الشفاه .. سيف عنترة من خشب يا سرحان .

سرحان : (بغير مبالاة) لست وحدي يا أهلي .. روما احترقت ... و نيرون الطاغية لم يعد يخصي عبيده

الجوقة : هذا الذي يشتعل في عينيك .. بعض رماد الأمس .. يا سرحان .. نحن أطمرنا البئر ،، و احرقنا ناعورة الماء الدافق .

سرحان : (بغير مبالاة) صدقوني .. أنا ما زلت أحفظ وجوهكم السمراء (يخاطب أفراد الجوقة واحدا واحدا) أنت عامر .. جارنا الطيب .. أنت الذي كنت تتقن صناعة الخناجر في القرية .. و أنت سلما ن رجل القرية الوحيد الذي يشحذ المناجل في الحصاد و السكاكين في الأعياد .. و أنت رضوان أعرفك جيدا .. رجل لم تقهره النواعير .. أنت ،، نعم أنت الذي كنت تعلم الأطفال كيف يصطاد الثعالب و الذئاب الفضولية أمام الزرائب .. (صمت) أحفظكم و أتلوكم سورا و حكايات في الصباح و المساء.

الجوقة : أخرج من جسدك المسكون يا سرحان .. ليس فينا من يحمل بضع ريق.. في حناجرنا كلام ميت .. في أنوفنا دخان هزيمة .. في أذاننا صوت مخيف .. (تنسحب).

سرحان : (بغير مبالاة) أنا العاصفة .. فانشروا قلاعكم ..

(ب 1 .. و .. ب 2 يقتربان منه ،، يضغطان عليه ..)

ب 1 : كل ما نستطيع أن نفعله .. أن نكتب في تقريرك السري .. جمجمة هذا الرجل عنيد.. لكنها ما تزال محنطة بالرمل و النفط .. و الكبريت .. و الفوسفاط ..

ب 2 : كل ما نستطيع أن نكتبه في ملفك الخاص ... أنك لا تملك هوية و لا عنوان .

(يقيدان يديه من الخلف ... من القضبان ،....)

(ينسحبان ....،، ،،،)

سرحان : (بصوت مخنوق..) صدقوني .. أنا العاصفة فانشروا قلاعكم ..

أنا البحر .. فدعوني ألمس مجاذفكم ..

أنا الأرض .. فازرعوني نخيلا ... و زيتونا ،،،، و حنطة ....

أنا البحر و الورق ...فاكتبوا أيامكم الخالدة فوق قلبي ..

أنا الماء فابعثوا الإنسان .

(ظلام .... ،،)

(نيرون .... في فراغ ....،،)

نيرون : (صائحا) يا حاجب النحس ..

الحاجب : مولاي.

نيرون : أين ذهب مؤدبي .. ذلك الشيخ المسكون بالحكمة القديمة .

الحاجب ـــ س : قتلته يا مولاي بتهمة التحريض.

نيرون : أريد داهية يدير أفلاكي في هذا العالم ..

الحاجب ــ س : مولاي بالباب ألف مختص .. ينتظر أمرك .. يحمل ألف شهادة وشهادة.

نيرون : إلي بهذا الثعلب البشري .

(الحاجب يدخل يوسف العطار)

نيرون : أنت!!

يوسف العطار : مولاي يهمك خراج مدن الزيت ..

و قنديلك الذي يضئ لياليك .. يهمك حفل الدم و الخمر ..

نيرون : نعم الاختصاص .. نعم الذكاء و الدهاء أعطه شارتي و رايتي يا حاجب (صمت) اخبرني يا داهية الزمان من أين ستبدأ جمع الخراج .

يوسف العطار : أبدأ يا مولاي من مدن الزيت التي تشعل قنديلك .. و تضئ لياليك.

نيرون : أخاف أن تستسلم يوما لصعاليك البادية

يوسف العطار : فراستي لا تخطئ .. يا مولاي ... أبدأ حينما يشتد خلافهم وخصامهم .. وحينما تكثر في الأسواق بضاعة الخطب و الأشعار و الذكريات .

نيرون : أي سلاح تراه يصلح للجباية يا داهية ..

يوسف العطار : مولاي .. في مدن الزيت الزرقاء .. لا أحتاج إلا لفتيل واحد وعود كبريت واحد.

نيرون: (ضاحكا) أيها الحاجب .. امنحه تأشيرة الدخول و الإقامة إلى مدن الزيت روما فوق الجميع .

س(ينسحب نيرون .. ظلام .. ،،،)

(تظهر الجوقة .. أمامها يوسف العطار ..)

الجوقة : اخرج يا سرحان من جسدك المسكون .. في حناجرنا كلام ميت .. في أنوفنا دخان هزيمة .

يوسف العطار : أيها الأصدقاء .. جئت كعادتي لأبيع و أشتري منكم كلام الموتى و الأحياء ..

وكل القصائد العصماء .. كل الذكريات ..

سأمنحكم الآن جواز الصمت و الهجرة (يخرج)

الجوقة : سرحان عبثا تحلم سرحان أخرج من جسمك المسكون بالعودة .. في حناجرنا كلام ميت .. و في أنوفنا دخان هزيمة .

(يبقى ظاهرا من الجوقة الأقنعة فقط .. ..)

(بقعة ضوء فوق رأس سرحان .. كأنه يكتب رسالة ..)

سرحان : اكتب إليك يا وطني ..

و أخبرك .. إن قضباني المغروسة في القلب والعين واخضرت وأورقت عبر هذا الزمن المصلوب ..

و إني قريبا سأتحرر من صهد الصحراء القاتلة، أركب جسدي سفينة إليك في هذا المساء .

(صوت ربابة يرافق صوت امرأة .. يعيد المقاطع السابقة)

ظلام

ستــار

الزعيم

الـزعـيـم

تـقـديـم

الدكتور حسن المنيعي

يحاول مسرح الهواة منذ بداية السبعينيات ــ أن يفرض وجوده كواجهة ثقافية متميزة . و قد أمكن له ذلك من خلال ردم بعض الممارسات الفنية المشلولة التي عجزت عن تطوير الفعل المسرحي، و الارتقاء به إلى مستويات رفيعة وذلك لعدم ارتكازها على طموحات فنية و نقدية. و بالتالي، فإذا كانت الكتابة الدرامية لدى الهواة تعيش اليوم زمن الفيض الفني أو البلاغة المسرحية المتفاعلة مع الظروف السائدة في العالم، فإن ذلك يرجع بالأساس إلى بعض الكتاب الواعدين أمثال المسكيني الصغير، و عبد الكريم برشيد، و فاضل يوسف، و سعد الله عبد المجيد، و غيرهم من المبدعين و الفنانين الذين دخلوا مجال صنع «فرجة» المسرح المغربي الجديد عن طريق ابتكار اتجاهات فنية تتقارب في الأهداف و الغايات.

و بما أن مسرح الهواة لا يقف عند حدود الممارسة المسرحية العابرة، و إنما يعد مختبرا للإبداع و التنظير، فإن المسكيني الصغير قد ارتبط اسمه ب « المسرح الثالث» كنظرية تلح على بروز الخطاب الفكري للكاتب، و تعيد النظر إلى أدوات العرض وأنساقه، و إلى الجمهور / العين الذي يجب أن يكون مساهما في اللعبة المسرحية.

و كما نعرف جميعا، فإن المسكيني الصغير يسعى في جميع أعماله إلى التعامل مع التراث العربي بطريقة ذكية و ساحرة كما هو الشأن في مسرحيته «الجاحظ و تابعه الهيثم».... و إذا لم يفعل ذلك بطريقة مباشرة أو صاخبة، فإنه ليحيل عليه من خلال رموز و أسماء كما نلاحظ ذلك في مسرحية «الزعيم» (طروادة، أنوال، زرقاء اليمامة ألخ.....)

و هكذا، فإذا كانت طبيعة التذكير لا توازي أحيانا طبيعة الإبداع لدى كتاب الهواة، فإن هذه المسرحية تتوافر فيها مع ذلك بعض شروط الصنعة الفنية « الثالثة» حيث تجمع بين ثنائية الخطاب الفكري (النص) و الجمال الفني (إطار اللوحات كغطاء يتحرك فيه الشخص).و هذا ما يجعلنا أمام عمل فنتازي بسيط، و لكنه عميق في نفس الوقت، إذ بإمكاننا أن نقف فيه على حدث سياسي قديم و حديث أو على خطاب حول سيكولوجية تجار القمع و الخيانة، و تضحية الشهداء الذين يصنعون التاريخ.

و أيا كانت أبعاد القراءة، فإنها ستؤكد لا محالة مدى اندراج هذه المسرحية في مسار كتابة واعية يستطيع المخرج المسرحي الماهر أن يضيف إليها تصورات فنية و نصوصا فرعية صغيرة تعمل على بلورة المضمون الرئيسي، كما سبق للمخرج عبد القادر أعبابو أن فعل مع مسرحية «رحلة السيد عيشور الخالدة» التي لقيت استجابة كبيرة من الجمهور في الملتقى المسرحي الثامن لمدينة أكادير (يوليوز 1988) كما أنها أكدت تجدر المسكيني الصغير في مجال الإبداع الدرامي، و بعد نظره عن الحياة والإنسان و الكون.

شخصيات المسرحية :

1 / الرسام
2 / الزعيم
3 / الشهيد
4 / الكاتب
5 / المرأة / الجارية / أنوال
6 / المحب
7 / رجل من الريف
8 / شخصيات أخرى

الشهيد : (بغير مبالاة) امنحني فرصة الحركة و التفكير (صمت)
ارفع عني هذا اللون الخادع
الرسام : (بغير مبالاة) تطلب الكثير مني
الشهيد : دعني أخرج
الرسام : لا أستطيع أن أمنحك مكانا أكبر من حجم الإطار.

مسرحية الزعيم

1981 - البيضاء

الـركـح مفتـوح

- مرسم
- اطر لرسومات ذات مواضيع .... و أشكال مختلفة ... موزعة
- أطر كبيرة ... متوسطة ..... صغيرة .....
- أدوات الرسم .... مقعد أو مقعدين .. رفوف كتب قديمة
- شخصيات المسرحية داخل الأطر الكبيرة
- إنارة تناسب المشاهد ..... و الحركة المقترحة

الرسام : (يتأمل ... يدخن غليونه ... أمام إطار الزعيم) .... ها أنا أرسم صورة آخر زعيم خانه القدر .. (صمت) إنه ليس كباقي الزعماء في العالم (صمت) الزعيم الذي تكلم كثيرا ... و تزوج كثيرا ... وخطب فوق المنابر كثيرا (صمت) كان كثعلب جائع لا يكف عن الخطف و النهب و الاحتيال (الزعيم غاضبا) . تغضب يا سيدي الزعيم (صمت) فقد أغضبت الناس قبل هذه اللحظة ... كانت الزعامة عندك مجرد قشرة سلحفاة برية (صمت) إنهم يريدونك يا سيدي أن تبقى رسما يحفظون فيه أوراق تاريخهم الميت (صمت) .... أنت الآن في حكم فرشاتي وألواني لطخة من الألوان .. تتناسل فوق القماش .... تصنع وجه زعيم كان مهابا (ساخرا) غدا ينسخون عن رسمي هذا ألف صورة (صمت) سأصبح أنا الأصل في تاريخ ملامح الرجل الذي كان ضد الكلام الفصيح (صمت) فقد يهملك البعض يا سيدي الزعيم المشهور .... ويصيبك النسيان... (صمت) و يضعك البعض الأخر في مكان بارد ... حيث تسكن الصراصير .. و العناكب (يمرر فرشاته على وجه) لا بأس... فقد تغري جامع اللوحات و المتاحف الأجنبية و اللصوص المحترفين

(صمت) وجهك ... و جنتاك .. تذكران أي سيدة تحب الباذنجان

(ضاحكا) ... نعم ... لكنك الآن تبدو يا سيد الزعيم شاحبا من شدة

الخوف القديم (الزعيم يشتد غضبه ... يعجز عن الكلام) الحب يتطلب

دفئا كثيرا .

الزعيم : (ينعتق من صمته صارخا)....إني ... أني أمنعك .....

الرسام : (يتابع .... بغير مبالاة) لم أغش في اختيار اللون و القماش (صمت)

كل شيء مستورد من أجلك (صمت) المؤلفون وكتاب المذكرات الخاصة

وأصحاب القواميس و المعاجم ... و بائعوا الطرائف .. و تجار الفضائح ...

والأسرار .. نعم سوف يعتمدون كلهم على هذا الرسم ... لتأكيد وجودك

في عهد ما .. (صمت) . أنا لا أضمن صمت معارضيك. (صمت) إنهم

يتحركون في دهاليز الليل كالنمل . يقضمون رسمك ... و يثقبون عينيك

(الزعيم غاضبا ....)

أنت تعلم يا سيد أنك أقمت العديد من المشانق السرية.

الزعيم : (صارخا) أمنعك ... أمنعك.

الرسام : (بغير مبالاة) رجل في مستوى طموحك كان عليه أن يجد تبريرا للكذب

و التهور و الاحتيال و القتل (صمت) حاولت أن اختصر القوة و الكبرياء

في قسمات وجهك (صمت) ... كنت تعتبر الناس. أو هكذا كنت

تقرأ المحكومين بأمرك. قنطرة من الأجساد تمتد بين ضفتين(صمت).. سر

نجاحك الدموي.

الزعيم : (غاضبا) .... أمنعك ...

الرسام : (بغير مبالاة) كنت تقول للمعجبين و المعجبات (صمت) يعجبني أن

أقضم تفاحتي وحدي ... و أنا فوق الشرفة أغازل التحت . (صمت)

... كنت تحب أن تراهم يلهثون كالكلاب.... يتمسحون بأبوابك كالقطط

الجرباء.

الزعيم : (يحاول الخروج .. من الإطار) ... إني ...إني .... أمنعك ...

الرسام : (يجلس بالقرب منه .. يدخن غليونه ..) آه .. تمنيت لو أني أحببتك يا سيدي الزعيم ... كما أحب لوحاتي (صمت) حتى أتخيل رسمك مثلها يفعل الرسامة الكبار (صمت) و الأنبياء في سقوف وجدران المعابد المنسية (صمت) ربما كنت أجعلك راكبا حصانا .. شاهرا سيفك كصلاح الدين (صمت) هذا الرجل الذي كان بلاطه خيمة حرب قائمة ... فوق حصانه من أجل أن يبقى بلاد العرب محروسة كاللسان بين الأسنان .. (صمت) كنت ضد الرسامين يا سيدي الزعيم ....

الزعيم : أمنعك ... أمنعك.

الرسام : (يقترب من لوحة الشهيد) ... هذا الرجل اغتال غرورك .. (صمت) اغتصب خيالك المحموم بالدم و الزعامة.

الشهيد : (خلف الإطار .. بغير مبالاة) انك تقيدني بهذه الألوان.

الرسام: (يعالج لوحة الشهيد) أحاول أن ارسم داخل عينيك شيئا خارقا .. يخالف المعتاد (صمت) ارسم صرخة مؤجلة.

الشهيد : (بغير مبالاة) امنحني فرصة الحركة و التفكير .. (صمت) ارفع عني هذا اللون الخادع.

الرسام : (بغير مبالاة) تطلب مني الكثير ..

الشهيد : دعني اخرج.

الرسام : (يتابع) لا استطيع أن أمنحك مكانا اكبر من حجم هذا الإطار

الشهيد : عاهدتهم أن أنفذ ما جاء في الخطة الثانية.

الرسام : (بغير مبالاة و بعيدا عنه) أصبته إصابة دقيقة.

الشهيد : لم تصبه رصاصتي .. (صمت) احد حراسه أصابه بالخطأ..

الرسام : سقط مدرجا بدمائه (صمت) انفضوا من حوله مذعورين.

الزعيم: (ينتفض من شدة الغضب) .. لا..لا .. إني أمنعك .. أنا لم اسقط.

الشهيد: (بغير مبالاة) ربما خانتني نفسي. و أنا أتسلل بين حراسه و بطانته.

الرسام : لا احد يصدق قتله بالخطأ (صمت) .. الحضور و الضيوف و مراسلو
الصحف رأوك تشهر مسدسك في وجهه.

الشهيد : لم اضغط الزناد .. كنت مرتبكا كالطفل.

الرسام: انطلقت الرصاصة الحاسمة تعلن للملإ ولادة نجم جديد في السماء.

الشهيد: إنهم يضعون وساما مزورا فوق صدري.

الرسام: الكل يعترف .

الزعيم : (صارخا) لن يغتالني .

الشهيد : (بغير مبالاة) ما زلت أحتفظ بتفاصيل الخطة الثانية .

الزعيم : إني أمنعك أيها الرسام .

الرسام : (قريبا من لوحة الزعيم) فرشاتي لن تكذب يا سيدي ..(صمت)
لا يمكن أن تكون غير نفسك (صمت) أنا هنا أختصر زمانك و مكانك
بين إطار من خشب .. (صمت) مرسمي كتاب يجمع بين دفتيه القاتل
و المقتول .

- (الزعيم يجتاز الإطار .. من شدة الغضب ...)

- (الرسام يقف مندهشا بجانب لوحة الشهيد ...)

- أيها الزعيم ... إنك لست شيئا خارج الإطار .. (صمت) أنت الأن مجموعة
من الأصباغ (صمت) .. أنصحك بالعودة .. أنت ..

الزعيم : (يشعر بنوع من الحرية) أنا كل شئ ... سأبقى كل شئ في تاريخكم .

الشهيد : (يشعر باختناق) ... إنك تمنحه فرصة أخرى خارج الإطار ..

الزعيم : (يصفق بيديه ... يدخل الكاتب) ... أريد أن أعرف بتفصيل ...
ماذا فعلتم في مشروع تخليدي...

الكاتب : (بعد انحناءة طويلة) أعطيناهم يا سيدي الزعيم أمرك باختراع أحداث
مدهشة و وقائع أسطورية . تهز الوجدان و التاريخ (صمت) أنتم بطل
الأبطال ... أنتم الأعلى ...

الزعيم : (بكبرياء) حسنا .. أريد وصفا دقيقا.

الكاتب : في الفصل الأول من كتاب إليادتكم الخالدة (صمت) تظهر ياسيدي الزعيم كبطل أسطوري (يبدأ الزعيم تشخيص الوصف ..) تنقض كالنسر .. كالاه إغريقي .. راكبا عربة الشمس (صمت) تلبس درعا مرصودا يقيك من السهام الطائشة ..

(صمت) .. في يديك سيف مشتعل يقطر دما (صمت) و فوق رأسك خوذة مرصودة ضد فعل السحرة .. (صمت) ووراءك يا سيد جميع الجيوش تلهث .. و أمامك أكوام و كتل .. من جثث الأعداء.

الزعيم: (منتشيا صارخا) ها قد وصلت ..فلتفتح طروادة أبوابها السبعة (صمت) . ماذا بعد اختراق الحصون يا كاتبي المبدع .. (صمت) . احرقوهم .. ارموهم إلى كلاب البحر ضاعفوا الضرائب المباشرة و غير المباشرة عن المغلوبين منهم ..

الكاتب: (يتابع) في الفصل الثاني من الاليادة يا سيد الجميع .. تقود سفينة ملأى بالغنائم .. و برجال غلاظ شداد . تشرئب رؤوسهم كالزرافات النافرة ينتظرون حركة من أصبعك العبقري في الهواء (صمت) سفينتك يا سيدي تعبر جبالا من الأمواج و الثلوج .. تخترق العاصفة .

الرسام : (صائحا) ارموا الأعداء في البحر (صمت) أيها الكاتب أين تتجه سفينتي المنتصرة إني أراها تتلاطم كنقطة سوداء فوق صفيحة الماء المالح. إني أتيه ...

الكاتب : للفتح يا سيدي .. لفك الحصارات عن ولاياتك السلبية .

الزعيم : (مذعورا) لا ... لا .... أخطأتم التقدير .. إنكم تثيرون حلفائي وأصدقائي العجم ... لا ... أنا لا أطمئن للبحر .. أعيدوا كتابة هذا الفصل من الاليادة (صمت) البحر امتحان عسير يا كاتب . و أنا لا أريد أن أنهزم مرتين .. أعيدوا السفينة إلى المرفأ .. أسرعوا .. قبلما أغرق .

الكاتب : (يتابع بغير مبالاة) العدو يا سيد الجميع وراءك و أمامك.

الزعيم : لا .... أرغموا كل المبدعين .. انقلوا جنود الأعداء بالطائرات بعيدا عن سفينتي المنتصرة ..

الكاتب : حرب طروادة يا سيدي .. تتطلب شجاعة وقرابين كثيرة .

الزعيم : اخترعوا معركة سهلة .. انتصر فيها بسرعة (صمت) أعطوا للشعراء والكتاب كل ما تبقى في خزانة الرعية .. اشتروا خيالهما الجامح .

الكاتب : سيدي .. لا بد من أن نفترض في الالياذة الخالدة .. جهادكم ... المشروع ..

الزعيم : أيها الكاتب الغبي هل تعتقد أني سأنجح في الخيال ، ما أغباك .

(صمت) قلت .. أعيدوا كتابة الفصل الأخير .. إنه يفضحني أمام الرعية.

الكاتب : في الفصل الأخير .. يظهر في عمق الظلام الدامس .. رجل ملتحي عن أعيان المدينة يجرجر أذيال الخيبة و الانهزام .. يتقدم أمامكم ليسلمكم مفاتيح المدينة..

الزعيم : فكرة رائعة و خيال جامح .. أعطوا لصاحب هذه الفكرة جواز المرور إلى حفلات السمر الخاصة .. حتى يصبح من ندمائي .

الشهيد : (بغير مبالاة) انك تمنحه فرصة أخرى خارج الإطار ..

الكاتب : (يتابع) ها أنا أفتح طروادة العنيدة . أفك الحصار مثلما أفك أزرار لباس امرأة فوق سريري .. (صمت) .. إني أدك حصونهم عبر السطور

الكاتب : ولاة المدينة يا سيد الجميع .. و نبلاؤها .. و تجارها يهدونك أجمل جارية في مدينة طروادة المنهزمة.

الزعيم : آه .. ما أروع طروادة المنهزمة

- (تجتاز المرأة / الجارية الإطار بلباس أبيض)
- (خلفها شخصيات الأطر .. تخص أهل المدينة)
- (الزعيم يقترب من الجارية .. يتفحصها بشراهة)

أيها الكاتب. أعطيني تاريخ ميلادها .. و أين نبتت بالضبط هذه الزنبقة .

الكاتب : إنها هدية المحاصرين.

الزعيم : (ينحني أمامها) أخشى أن أفقد رجولتي أمامها .. (صمت) (للجارية) أيتها الزنبقة الرائعة .. ملكتك . فاحملي ما تشائين من ألقابي السامية .. سأجعلك محظيتي الأولى .. بعد الألف.

المرأة / الجارية : إني أغار يا سيد الجميع..

الزعيم : اعرف .. أعرف فأنت كباقي النساء .. (صمت) أيها الكاتب أعط أمري المطاع بطلاق كل زوجاتي فزنبقتي الجديدة لا تريد من ينافسها في قلبي (ضاحكا بهستيريا) اجعل منهم مجرد وصيفات لها حتى الموت

الكاتب : سيدي .. هل ننهي الالياذة بانتصارك على الأعداء .. أم بمشهد الطلاق...

الزعيم : اتركوا الالياذة مفتوحة .. تطول .. و تمتد في عرس طويل إلى الأجيال القادمة .

- (يتهالك .. منتشيا فوق مقعد الرسام).
- (الجارية / المرأة .. تعود إلى إطارها).
- (الكل ينسحب .. إلى إطار ..).

الرسام : (يحاول الاقتراب منه) .. انك لا شئ خارج الإطار .. (صمت) أنت مجرد صباغة طائشة.

الزعيم : (يستيقظ من غفوته) ماذا أسمع .. من يعارضني .. بعد الفتح المبين.

الكاتب : رسام منحرف .. زنديق .. لم يشارك في إحياء إلياذتكم يا سيد الأسياد.

الزعيم : كسروا فرشاته ... قيدوا خياله الجامح..

- (الكاتب يقبض على الرسام ... و يدفعه أمامه ..)
- (يدخله .. في إطار الشهيد)

- (ينسحب الزعيم .. و الكاتب ....)

الشهيد : (بغير مبالاة) أذكر إني وصلت إلى الحفل .. (صمت) استعنت بأوراق مزورة ... (صمت) ربما كانت سحنة وجهي قناعا ناجحا ... (صمت) ... إنهم يحبون الأجانب و الغرباء (صمت) سمعت.. و أنا في غمرة اندفاعي نحوه .. طلقة رصاصة .. (صمت) .. صدقني .. أنا لم أضغط زناد مسدسي.

الرسام : الكل يشهد أنك فعلت ..

الشهيد : (يتابع .. بغير مبالاة) قبلما أشعر بدفء أحمر يغمرني .. و ظلمة غامضة امتصت بريق الأشياء في عيني.. (صمت) .. نعم . حدث ما يشبه الفوضى في الصفوف الأولى .

الرسام : وجدوا أصبعك ضاغطا بعنف .. و رائحة البارود ما تزال في جعبة مسدسك المجنون.

الشهيد : أ أطلقت النار ؟

الرسام : إصابة دقيقة .. و قاتلة ..

الشهيد : لا أصدق .. و لن أصدق .

الرسام : إني أحتفظ لك بود أيها الرجل .. (صمت) .. ربما تمنيت أن أكون مثلك (صمت) نشروا صورتك مكبرة على صفحات الأخبار المثيرة.. (صمت).. أبرزوا قبضة يدك ..(صمت) كنت رائعا في بسمتك (صمت) .. كل التعاليق تؤكد أنك شخص غريب الأطوار .. (صمت) .. الغرابة هي جوهر البطولات و الأساطير .

الشهيد : (صارخا) لا .. لا ..(يجتاز الإطار تاركا الرسام وحده ...).

رأيت وجها يعرفني .. (بعيدا منه .) نعم كان يترصدني .. حضر لإفشاء خطتنا..

الرسام : لم تترك أثرا يدين رفاقك . (صمت) تتحدث عن شئ لم تكتشفه التحريات .. و الصحافة .. و العيون ..

الشهيد : إنه صديق العزيز.

الرسام : أوصاني أن أجعل رسمك مؤثرا .. يليق بالمناسبة،

الشهيد : أصبحت مصدر إلهامهم .. (صمت) .. يخونني في بداية الطريق ..

الرسام : أنت الآن مجرد رسم مطلوب .. و ذكرى غالية (صمت) سأحاول أن أنقل حدود نظرتك (صمت) .. لا تحاول أن تطلب مني الكثير .

الشهيد : ليتني أستطيع أن أقنعك (صمت) لماذا لا ترسم خواطر الناس بالنار .

- (الزعيم يعود .... من خلال إطار رجل من الريف).

- (يتجه الكاتب ... من نفس الإطار ...) .

الزعيم : (يتابع كلامه ..) أريد خطة مشتعلة .. (صمت) إنهم متلهفون كعادتهم .. ينتظرون مني المعجزة .. (صمت) أيها الكاتب فكر في مشاريع مغرية

الكاتب : هل تفضل يا سيد أن أعيد تنفيح العهود السابقة .

الزعيم : الزعامة يا كاتبي .. هي أن تقول أشياء لا وجود لها في ذهن و بطون المحبين و الأتباع .. (صمت) حاول أن تجعل الرؤوس المغروسة بين أكتافهم المتعبة تشرئب و تقفز من الفضول و الفرجة .. لتتدلى منحنية في الأخير .. (صمت).. خطابك هذا يا كاتبي يتطلب لمسة .. من لمسات عبقريتي في الإقناع ..

الكاتب : أخشى يا سيد الجميع .. أن أسقط في الإعادة .. (صمت) أرى أن تستعين بأقرب الناس إليهم .. (صمت) انه ما يزال ينتظر عطفك ..

الزعيم : (ضاحكا) .. أدخله.. لعله يحمل أفكارا تفيدنا في خطابنا الجديد .. (ضاحكا).

الكاتب : (يخرج .. ليدخل برفقة (المحب)) جاء السيد المحب .. يا سيد الجميع.

الزعيم : (ملتفتا عنه) رغبتك .. و طموحك السليم يا محبي .. تجعلنا نعتمد عليك فيما تنقله من الأخبار عن الأزقة الضيقة.

المحب : (منحنيا) انتهوا يا سيد الأسياد من إعداد خطتهم.
الزعيم : هل رشحوك للمغامرة .. هذه المرة.
المحب :اختاروا أقرب الأصدقاء يا سيدي ..
الزعيم : حاول أن تقنعه يا محب .. إذا كنت تريد أن تحتفظ به .
المحب : إنه أكثر الناس إصرارا .. (صمت) إنه يشبه حصانا جامحا ..
الزعيم : (قريبا منه) لمثل هذا الحصان أعددنا السوط و اللجام .. (صمت) ماذا تريد منا يا محب . (صمت) لا تخجل (صمت) أيها الكاتب أطفئ ظمأه

- (ينسحب المحب فرحا .. مع الكاتب).
- (يعود الزعيم إلى إطار ..).

الرسام : (مستنجدا ..) حررني أيها الشهيد من نفسك .. (صمت) لقد وعدته أن أسلمه رسمك .. (صمت) في مثل هذا اليوم يحيون ذكراك .. (صمت) يستحضرون بطولة المبدأ النادرة (صمت) .. سوف يلتقون في اجتماعهم السري .. في انتظار ما سيحدث غدا ...
الشهيد : (بغير مبالاة) لا شئ يحدث داخل المجزرة .. غير الذبح العلني .. (صمت) الذئب يا صديقي ما يزال كعادته يلبس قناع الفحل المتحكم في القطيع (صمت) إنها الخيانة .. جرب أن تكون حرارة في دم بارد .. (صمت) إن ما أحمله من النعوت و الألقاب خيوط عنكبوت ، إياك وهذه الألوان الخادعة ..

- (يدخل المحب .. صديق الشهيد ..).
- (الشهيد يتأمل اللوحات الموزعة..).

المحب : (باندفاع .. يحس برهبة .. و حركة داخل الأطر .. طقطقة أحذية قادمة) أسرع يا رجل (خائفا ..) أين الصورة .. (يقترب من الشهيد ..) ماذا ترسم (ينتبه إلى الرسام داخل الإطار ..) انك ترسم نفسك .. تصبها في الآخرين ..
الشهيد : (يتابع التأمل) مرحبا .. شهيدك يا سيدي يتقمص جميع الأشياء ..

(صمت) إنه كالريح يملأ كل فراغات الكون ..

المحب : (يحدق فيه) لا أصدق .. أنت .. تشبهه ..

الشهيد : يجب أن تصدق كل شئ .. (صمت) تتعدد الأقنعة لكن الوجه الحقيقي واحد .. (صمت) أنت مثلا يا سيدي تلبس قناع السيد المحب (صمت) مرحبا بالمحب العاشق الولهان (صمت) ماذا أحببت في الجلاد.

المحب : ماذا أسمع .. (صمت) من تحدث يا رجل في هذا المرسم الغريب ..

الشهيد : اسمك السري يخالف أنانيتك المعهودة .. أليس كذلك ..؟ (صمت) ربما كنت تحتمي داخله خوفا من شئ أكبر منك (صمت) اغفر لي يا سيدي فضولي ..فانا رسام مجنون ..و مهووس بتفسير الأحلام ..(صمت) تتأملني بعيون مندهشة نعم .. و تستغرب أن أكون أول من يتعرف عليك .. (صمت) إن ما يجري داخل هذا المرسم يشهد علي أنني على حق .. (صمت) أنت الآن مكلف بإحياء الذكرى (ضاحكا..)

المحب : (خائفا) أين ذهب الرسام .. إني أحدث شبحا ؟

- (همهمة ....)
- (الشخصيات تتحرك في مكانها ...)
- (طقطقة أحذية قادمة ...)

أصوات : (تترد بتناغم) الحب لا يلبس القناع .

المحب : (تائها وسط الأطر) ماذا اسمع .. هل أنت فعلا يا سيدي صاحب هذا المرسم .. (صمت) (لنفسه) مقبرة من الأشباح .. (صمت) انك تشبه صورك الغامضة .. (صمت) هل ما زلت تتذكرني جيدا .. نعم أنا .. أعطيتك صورته الصغيرة .. لكي تنسخها في حجم كبير .. وان تلفها في الورق .. قبل مجيء.

- (تعود نفس الأصوات .. و الهمهمة ..).
- (تتردد بتناغم).

أصوات : أنت تعرف أن صورته ممنوعة.

فلماذا تفتل حبل المشنقة من جديد.

الشهيد : (بغير مبالاة) .. أنت في ضيافتي .. (صمت) ستصل إذا شئت .. (صمت) هذه اللوحات ستكون موضع المعرض القادم .. (صمت) ليتك تسمح لي بعرض صورته ..

المحب : (بعيدا منه) .. لا اصدق.

المحب : (طقطقة أحدية و.. همهمة .. خائفا ..) إنهم .. نعم.. لا اصدق..

الشهيد : استرح يا رجل .. (صمت) فقد يروقك رسم ذكي يذكرك بأشياء تعشقها .. (صمت) .. قبلما يتحول لونا.. و موضوعا انطلق من بين يدي كالعصفور، أصبح فرشاة ساحرة .. (صمت) صدقني يا سيدي .. ملامحه مثيرة.

المحب : (صائحا بخوف) .. أريده داخل إطار من حديد..

الشهيد : (بغير مبالاة) يجب أن تصدق يا سيدي ..

- (يقترب من إطار الرسام..).

- (همهمة .. ضحكات .. طقطقة أحذية).

- (حركة داخل اطر الشخصيات ..).

المحب : (أمام إطار الزعيم .. متوسلا) لا .. لا اصدق يا سيد الجميع . حررني من خاطري المرعب .. (صمت).

الشهيد :(بغير مبالاة .. أمام لوحة الرسام ..) ليس غريبا أن تصنع ربا كأجدادك و تعبده .. (صمت) نعم .. طقوس صلاتك العميقة كانت تبرر القتل و الخيانة و الكذب فوق المنبر و داخل المحراب. (صائحا ..) أيها المحب العزيز .. (صمت) تحمل هذه المرة أن ترى صورتك كاملة في أوجه المصلين خارج المعبد ..

المحب : لا .. أرجوك .. يا سيد الجميع ..

الزعيم : (يجتاز إطاره .. ضاحكا بسخرية مرة.) هل كنت تضلني أم كنت

تفضل نفسك (صمت) كنت محبا .. لكن ليس كباقي المحبين .. (صمت) غزلك العذري الطويل في ذاتنا كان يهبك المناعة .. كان يصيبني بالأرق (صمت) كنت مع الأقوى (صمت) أما أنا فقد كنت مع ضعفي ابحث عن ملجأ يقيني من الموت واقفا

المحب : أنا المحب المخلص يا سيد الجميع ..

الزعيم: و أنا المرفوض ..

المحب : من أجلك يا سيد الجميع .. غسلت صداع الضمير (صمت) ماذا تسمى الذي يحبك حتى الخيانة.

الزعيم : (بسخرية مرة) آه للخيانة منظر غريب إنك تشبه مومسا كلما تقادمت في المهنة ازداد ضحاياها من الزبناء .. و تنسى أنها تحمل قلبا .. كان يحب و يعشق.. (ضاحكا) .. كنت أتابع نشاطك عبر تقارير شرطتي الخاصة .. لم تكن تدري .. أو كنت تتجاهل أني فرنك المشتعل .. بقدر ما انضج خبزك الشهي استطيع أن التهمه و أحيله رمادا .. (ضاحكا) .. هل كنت تحبني..

المحب : تهينني يا سيدي الزعيم المنقذ ..

الزعيم : ماذا كنت تسمي هداياي و عطفي .. ؟

المحب: لم اطمع في غير حبك .. ورضاك ..

الزعيم: (ضاحكا..) كانوا في نظرك ضدي (صمت) نسيت انك كنت اقرب الناس إليهم .. (صمت) كنت تخونني فيهم (صمت) حبك شديد ألبسني كسوة فضفاضة . افقدني جسدي و نبض قلبي .. (صمت) .. كنت تطمع في كاسي .. قبل سقوط راسي ..

المحب: .. لا .. انك تفضحني يا سيدي.

الزعيم : فلنتفرج على ما تبقى مني و منك .. اقترب (يقترب المحب خائفا ..) انظر (يشير إلى المرأة ..) إنها لا تختلف عن باقي الأمهات و الزوجات والأخوات ..

المحب : لا .. إنها تشبه زوجته .

الزعيم : تقريرك السري ضده كان يلح .. و يذكي الحماس في القبض عليه ..

المحب : لا .. لا ..

اقترحت علينا اغتياله .. (صمت) لكي لا ينكشف دورك المزدوج داخل الخلية..

المرأة : (تجتاز إطارها .. تقترب من المحب).

أنت ...

الزعيم : (يتابع .. بغير مبالاة) من اجل أن نوقع بفريستك تحولنا جميعا .. إلى كلاب مسعورة ..

المرأة : أيكما الخائن .. ؟

المحب : (صائحا ..) لا .. لا..

الزعيم : ما ذنبي أنا الزعيم .. إذا كنت أنت تشحذ سيدي و تفتل حبال مشانق الليل للأطفال .. و الرفاق.

المرأة : (بغير مبالاة) قبل خروجه .. و اختفائه المفاجئ .. أوصاني أن افتح باب بيته (صمت) و أن تنام في سريره.

(بصوت باك) كان يحب الجميع.

الزعيم : كنت تحقد عليهم كمومس محترفة.

المحب :لا .. لا ..

الزعيم : كتبت لنا بخط احمر .. احذروه فهو في كل مكان، و بأنه يدخن سيجارة رخيصة ..

المرأة : (تتابع بغير مبالاة) ونسيت أني امرأة ..

المحب : بريء .. أنا بريء (يقترب من الشهيد) أيها الرسام .. آه .. ماذا اسمع.؟

المحب : أرجوك (لنفسه) .. هل كنت احدث نفسي.

الشهيد : (بغير مبالاة) الرسم لم يكتمل..

المحب : (يعود الزعيم إلى إطاره ..يتابع ..) أشباح حاقدة ..

المرأة : (باكية) قبل جبهتي .. وأوصاني أن افتح الباب في وجوههم ..

_(يجتاز رجل من الريف إطاره ..)

_(يحمل سلاحه ..).

رجل من الريف : أشم رائحة خيانة في مقدمة صفوف رجالي (للمرأة) إن البكاء لا يليق بمن يحمل وطنه فوق راحته ..

المرأة : (بغير مبالاة) ليتني أعرف قبره ..

رجل من الريف : امسحي وجهك يا امرأة .. (صمت) كان المبدأ قبل المواجهة، أن يصمد حامل الراية .. و أن يسلمها لرفيقه متى أصيب .

المرأة : اغتالته الخيانة ..

رجل من الريف : ربما كان الخائن .. أحد الجبناء في الجبهة .. (صمت) منطق النصر كمنطق شجرة فاكهة .. قدرها أن تعطي ما أنضجته في الليل والنهار.

المرأة : سقط المبدأ .

- (تتردد الأصوات .. كصدى بعيد ...)

- (حركة ..)

أصوات : الأرض باقية

الأشجار باقية .

و الماء ما يزال يغسل الفأس الصدئة .

- (يعود رجل من الريف .. إلى إطاره ...)

- (تتبعه المرأة بخطى وئيدة ...)

المحب : (للشهيد ..) أشباح حاقدة .

الشهيد : (بغير مبالاة) الرسم لم يكتمل يا رجل .

المحب : أريده محصورا بين إطار من حديد .

الشهيد : انك تغتاله ميتا مرة أخرى.

- (طقطقة أحذية ..)
- (الكاتب .. ينحني أمام إطار الزعيم ....)

الزعيم : أخبار جديدة..

الكاتب : المحب يا سيدي يتابع نشاطه .. (صمت)
بعد التحري يرفع تقريرا في موضوع الرجل المخطوف

المحب : (صائحا) ... لا .... لا أرجوك .. لا تفعل.

الشهيد : (بغير مبالاة .. يتابع معالجة اللوحة) تريده محصورا بين إطار من حديد!؟

المحب : لست وحدي (صمت) إنك تشيع أخبار محبتي .

الكاتب : (يتابع بغير مبالاة) و يقترح يا سيدي أن يشنق المخطوف في سجنه السري ..

الزعيم : لست مسؤولا إذن ..

الكاتب : و يرى يا سيدي أن سلامتكم في نفي أخبار هذا الرجل (صمت) بالمناسبة سوف يشيع رجالنا أخبارا مضللة . عن اختطافه المفاجئ .

الزعيم : (ضاحكا) بالذكاء ..
- (يسقط ضوء على إطار ذي قضبان ..)
- (شخصان بلباس غريب .. متميز .. يخرجان ..)
- (سجينا .. و يوقعانه أرضا ..)
- (الزعيم .. يوقع ملفا مرفوعا إليه ..)
- (.. طلقات رصاص ..)
- (يسقط السجين .. يحملانه خارجا المرسم).

الزعيم : (صائحا) لننس يا كاتبي ألعاب السياسة .
- (يعود إلى إطاره ..)
- (يخرج الكاتب ..)

الشهيد : (بغير مبالاة) أخشى أن يفوق حجم الإطار .

المحب : لا .. (صائحا) قلت لك أريده محصورا بين إطار صغير ..

- (همهمة ..)

- (أصوات .. حركة الأطر ..)

أصوات : إنه لن يختفي ..

إنه كالشمس التي تصنع الصباح و اليوم و التاريخ ..

إنه يعانق عيوننا وصوتنا الشجي ..

يكتب فوق جباه الصغار ..

حكاية الأرض التي تعطي كل يوم بسخاء ..

أشجارا .. و أطفالا .. و فاكهة ..

المحب : (حائرا .. للزعيم) .. صدقني يا سيد .. إنها مجرد أشباح حاقدة .

رجل من الريف : (يجتاز إطاره غاضبا) ستكون معركة فاصلة .. (صمت) الأعداء يلعقون هزائمهم .. (صمت) هذه الحرب ستنهي وجع تاريخ لم يكتمل .. (صمت) (يقترب من الشهيد ..) ما هي أخبار الجبهة يا رجل .. (صمت) نعم كعادة الأعداء يبحثون عن حليف جبان في صفوفنا .. احذروا التواطؤ ..

الشهيد : (بغير مبالاة) يذبل اللون الفصيح يا سيدي ..

رجل من الريف : أخبار الجبهة ..

الشهيد : أي لون تقصد يا سيدي .. (صمت) اختلطت الألوان و لم اعد أميز ما يحدث في اللوحة ..

رجل من الريف : نحن في الشمال يا رجل (صمت) إنهم يتحدثون بإعجاب عن أنوال ،

الشهيد : آه .. تذكرني بوجع لم ينته .. يا سيدي.

رجل من الريف : الأعداء .. يبحثون عن ثقب في جدرانا .. (صمت).

الشهيد : (بغير مبالاة) ربما كنت مكلفا خارج الجبهة (صمت) لكني أحس بانتماء إلى رائحة البارود ..

رجل من الريف : نسيت دورك .. من تكون إذن (صمت) نعم ..، لباسك .. وحيرتك .. و كلامك المهموم .

الشهيد : (بغير مبالاة) أنوال .. (صمت) يحكى أنها امرأة أجهضتها الخيانة..
رجل من الريف : ماذا أسمع .
الشهيد : أنا الوارث يا سيدي (صمت) فماذا تسمي المحاصر و المخطوف والمغتال من أبنائها ..
رجل من الريف : خيانة .. خطف .. اغتيال (صمت) أي لعنة هذه التي تمطر جبال النسور .. (صمت) إني أمرك أن تعود إلى الجبهة .. و أن تحرر المرأة الموعودة .. بالولادة ..
الشهيد : (يعالج لوحة .. بغير مبالاة) حلم كاللون الباهت .
المحب : (خائفا ..) توقف عن الحديث إلى نفسك ..
رجل من الريف : (يتابع) لن يستطيعوا اختراق جبال النسور ..
الشهيد : هذه المرة .. الأوتاد تخون حبال الخيمة .. يا سيدي .
رجل من الريف : لا أصدق .. عد إلى الصفوف الأولى .. ارفع رايتها صدقني ستلد انوال وليدا نبيا يعشقه الماء و الشمس .. و سيرث كل هذا الضوء..

- (المحب يسر الزعيم .. في أذنه ..)
- (موسيقى عسكرية ..)
- (ضابطان غربيان .. يتوسطهم رجل ..)
- (بسلهام .. و طربوش .. و نياشين).
- (يشير الرجل ذو السلهام إلى رجل من الريف ..)
- (يلقيان القبض على رجل من الريف ..)
- (يسوقانه أمامهما .. يودع الشهيد).
- (بعينيه .. همهمة تعم المرسم .. أصوات) .
- (حزينة .. متناغمة ..)

أصوات : الصورة لم تكتمل لكن انوال امرأة أجهضتها الخيانة قبل الفجر ، وهذه الفأس الصدئة لن ترحم جذر الشجرة المغروسة في القلب و العين ، يا أيها المسافر المهموم بأحزان الأرض الطيبة نحن في انتظار عاصفة تهز القلاع فنحن ما نزال بعدك لم نملك ميناء يعانق العائدين.

ما يزال الطريـق إلى اسمـك ضائعـا بين أدغـال .. من الأشبـاح .. الحـاقـــدة..

(يدخل الكاتب ينحني أمام إطار الزعيم)

الزعيم : هذه المرة تبدو حائرا .. و مشغولا بأفكار جديدة (صمت) أرى كلاما كثيرا يزدحم في عينيك (صمت) تخاف علي أم تخاف منهم..

الكاتب : المدينة يا سيدي تتحدث بصوت مهموس عـن الـرجـل الغائب والرجل المنفي .

الزعيم : سيبقى غائبا .. و يتابع المنفي طريقه الليلي .. (صمت) من يختار قطار الليلي .. ينتظره برد المحطة الفارغة ..

الكاتب : أصبحوا يا سيد السادات .. يفسرون احتمالات الصمت الرسمي .

الزعيم : اشتريت النتيجة (صمت) و لم يبق إلا أن أجعلهم يبررون أعمالي ..

(صمت) ألست زعيمهم .. (صمت) صحبة الأسد وسط هذه الأدغال تتطلب جرأة كبيرة يا كاتبي .. (ضاحكا)

- (المرأة تجتاز إطارها .. تتصفح الأطر الأخرى ..)

المرأة : (بغير مبالاة) أحمله في عيني .. فمن يبكي الغائب و المنفي .

الكاتب : سيدي أسمع صوتها المقلق .. (صمت) الكل يتحدث في المدينة عن المرأة التي تدعي أنها تتنبأ بالذي سيحدث ..

المرأة : احمله في عيني ..

المحب : (خائفا من صوتها) أشباح المرسم تعود ..

الكاتب : إنها زرقاء اليمامة يا سيدي .. (صمت) بصرها ينفذ إلى ما خلف الحصون ..

الزعيم : (ضاحكا) يا للفضيحة .. افتحوا لها ملفا و اتهموها بمعاشرة السياح الغرباء .. الصقوا بها تهمة التشرد ..

المرأة : (تتابع .. بغير مبالاة ..) .

احمله في عيني .. انظروا إليه .. إنه يرحل صامتا .. اسألوه..

المحب : صوتها يرعبني.

الشهيد : (بغير مبالاة) تعود يا سيدي أن تحدق في عمق الأشياء .

- (رجل من الريف بين الشخصيتين السابقتين ..)
- (كأنهم في سفينة .. أعلام منكسة تظهر ..)
- (حركة الرحلة .. أقنعة تتحرك ..)

الكاتب : لن نستطيع أن نقنع الناس بالصمت (صمت) الكل يعتقد أنها على حق ..

المرأة (بالقرب من رجل من الريف)

ها أنت ترحل .

فمن يعزيني في وجهي القادم .

و يبكي الجبال و الأشجار و الماء

أيها الموعود في ألواح هذا الوطن .

ها نحن نتلوا اسمك قبل بداية حروف الهجاء قبل الصمت و الكلام ..

الكاتب : المدينة تعيش حزنا عاصفا يا سيد السادات .

الزعيم : (ضاحكا) من يبكي متحسرا لا يبصر الطريق (صمت) أيها الكاتب، أعط أمرنا بإقامة مأدبة فاخرة للفقراء و الحزانى - (صمت) ؟ سأطعم الرعية حتى النسيان ..

(صمت) هذه العلة أملك دواءها ..

- (تختفي سفينة رجل من الريف ..)
- (موسيقى عسكرية أجنبية).
- (تعود المرأة . إلى إطارها ..)

الكاتب : إنهم حاقدون ..

الزعيم : أمام مائدتي الملونة .. و مظلتي يختفي الحزن العميق، اقتربوا أيها الضيوف.. اقتربوا ..

- (جماعة الأطر بسلاهم سوداء .)
- (رؤوس حليقة ..)

الكاتب : استيقظت المدينة ..

الزعيم : بخيلاء إنهم في ضيافتي .. يحيون ذكرى الغائب المنسي

الكاتب : ربما كانوا يا سيدي يخفون صورته الممنوعة

الزعيم : (بغير مبالاة) أيها الضيوف المحتشمون

- (يلتحق المحب بالمجموعة .. و يتقدمها ..).

- لنشرب نخب الذكرى .. (ضاحكا) .

المحب : ربما كانوا يتذكرون فعلا ممنوعا ..

الزعيم : (ضاحكا) علمهم يا محبي العزيز .. كيف يعيشون حزنهم الشجي

وكيف ينظمونه شعرا في .. الأيام القادمة .

المرأة : (داخل الإطار ..)

في عيني يتكئ المحبوب

فمن يبكي الجبل الريفي ..

و الشجر الريفي ..

و الماء الريفي

و الضوء الريفي ..

و يوقظ السيل من غفوته ..

- (.. تجتاز إطارها ..)

- (همهمة .. تعود المجموعة إلى إطارها ..)

- (يخرج الكاتب .. يتحول المرسم إلى مشرب ....)

- (يظهر في العمق اسم المشرب مضيئا ..)

- (" مشرب الأميرال " .... يتحول المحب إلى ...)

- (نادل ... و صاحب المشرب ..)

المرأة : أين أضع حملي ..

المحب : (يستقبلها بحفاوة) تفضلي .. هكذا يفعل الحلم بنا جميعا يا سيدتي

المرأة : ما اسم هذا المكان المغلق.

المحب : أنت في مشرب «الأميرال» و أنا مضيفك .. ماذا تشربين.
المرأة : اشرب .. ماذا اشرب.
المحب : سفرك كان متعبا .. و طويلا.
المرأة : (لنفسها) حلم غريب .. (صمت) هل سبق أن زرت هذا المكان.
المحب : أنت زيتونته الظريفة .. فانا النادل .. و مالك المشرب.
المرأة : تتعب نفسك من اجل أشياء تافهة (صمت) ابق مالك نفسك ودع من يتولى منصب النادل الظريف.
المحب : لم أجد في المدينة .. من يقدم الكؤوس نظيفة.
المرأة : هل تقبلني نادلا .. يخبرك بالزائرين قبل الوصول .. إني أراهم يقبلون .. بجيوب فارغة ..
المحب : و من يتولى الضيوف الحاضرين؟.
المرأة : (لنفسها) حلم غريب .. إني لا اعرف شيئا عن سفري الطويل.
المحب : أنت ألان في مشربي المشهور (صمت) أحميك من العرف و القانون .. (صمت) لنتفق على لقب جميل أناديك به .. (صمت) العادة تقتضي أن تخفي اسمك الحقيقي للحفاظ على شرفك المصون . و سمعة المشرب.
المرأة : (ضاحكة) أتعرف اسمي الأول يا سيدي .
المحب : «انوال» أنت انوال يا سيدتي الظريفة .. لكنه اسم يزعج الأقارب والأجانب .. أحيانا .
المرأة : اقتلع كل جذوري في مشربك .. وقد ولدتني أمي زرقاء اليمامة؟
المحب : (بخبث ..) ضعي نظارة تحمي عينيك من فضول ما رأيت (صمت) هنا .. سأناديك . بوردة ..
المرأة : سوف يدمي الشوك عودي .
المحب : إنهم يفضلون مشربي الهادئ (صمت) صدقيني يا وردة .. ستربحين كثيرا وتنسين انك مسافرة ..

المرأة : (بغير مبالاة) إني أراه و أراهم ، لم يرحل .. ما يزال في عيني متكئا .

المحب : (يقترب منها) انسي يا وردة المشرب .. لا قيمة لتاريخ اصفر ..

المرأة : أراهم يشبهون زرقة السماء .. (صمت) دعني أتصفح وجوه الزبناء ..

(تبدو شخصيات الأطر. كأنها مشاركة في المشرب) .

المحب : إنهم يستلذون صمتهم .. (صمت) فهل تقبلين شرطي (المرأة تقترب من الشهيد). لا تمارسي الحب خارج مشربي فانا أتعهد للدولة بالمحافظة على النظام (صمت) ادفع الرسوم و الضرائب .. (صمت) انه مجرد رسام مهووس بالألوان ..

المرأة : (للشهيد) ارسمني يا سيدي .. فقد رأيتك تلبس زرقة عين أمي .. (صمت). أنا اسمي انوال

المحب : صدقيني يا سيدتي (صمت) لن يستطيع أن يفعل شيئا

المرأة : (بغير مبالاة) تبيعني وتشتريني (لشهيد) ارسمني فأنا أمنحك رؤياي .. (صمت) امتلكني قبلما تشربني ظلمة هذا المكان .. (صمت) إنهم يكبرون في عيني .. إني أراهم كالجراد الأزرق .. يغسلون الأرض الموبوءة . و يحرقون الشيطان.

- (تتحرك بطريقة مجنونة ..)
- (تعود إلى إطارها ..)
- (الشهيد .. كأنه يرسمها ..)

الشهيد: (بغير مبالاة .. أمام إطار المرأة) .. إني أزرع أشجارا و أغرس جذورا .. و أنتظر فاكهة ..

- (يدخل الكاتب مهرولا .. و خائفا .. ينحني أمام)
- (إطار الزعيم .. ...)

الزعيم : متى تكف .. طاعتك العمياء تقلقني .. و تغتال حلمي (صمت) أيها الكاتب .. استقم كنخلة (صمت) نعم .. من يسوق قطيعا في ليل يهيم لا يخاف من عواء الذئاب (صمت) أنتم .. نعم لماذا تصرون على تلقيني

كطفل كيف أذنب في حقهم باسم العدالة .. (صمت) .

الكاتب : اغفر لي يا سيد السادات .. صراحتي ... فأنا لا أستطيع أن أخفي حقيقة ما يقع .

الزعيم : اجتماعات سرية .. مناشير .. متربصون ؟

الكاتب : الجراد يا سيد السادات .. يكتسح الأرض ..

الزعيم : (ضاحكا بهستيريا) تخافون من حشرة (يجتاز الإطار) لا تقوى على الحبس و حبل المشنقة .. (صمت) ها أنتم تخشون كل شئ.

الكاتب : دمر أكثر .. من نصف مزارعك الخاصة في الجنوب و الشمال ..

الزعيم : (بغير مبالاة) طريقة جديدة في الاحتجاج (صمت) تبدو مضطربا (صمت) جراد جائع يحاربه جراد قامع و متسلط (ضاحكا) ألا يمكن أن نبرم اتفاقا سريا مع أصدقائنا للردع و القمع .. (صمت) اكتب لهم رغبتنا في التعاون .. فقد تعودنا الحماية من الخارج (صمت) آه .. سوف تعجز شرطتي السرية في اغتيال أصغر جرادة .. تتقدم الصفوف ..

الكاتب : سيدي إنه الجراد.

الزعيم : ربما كنت غارقا في علم غريب.

الكاتب : نحن في انتظار أمرك المطاع.

الزعيم : (بغير مبالاة) الجراد الأزرق .. (صمت) عشت أمارس إرادة سجينة (صمت) و كما ترى يا كاتبي العزيز .. ذنبي إني أصدر أوامر .. مضحكة (صائحا) افتحوا سجنا جديدا .. اشنقوهم .. دمروهم ..(ضاحكا بهستيريا يقترب من الكاتب) هل جربت يا قلمي السري أن تحس برغبة الجراد الأزرق (صمت) .. ما ذنب الجلاد إذا كانت أوامري تعطيه حق جني الرؤوس بشهية .

الكاتب : انه مجرد جراد ..

الزعيم : اعرف أنكم فشلتم في تحديد نسله و إجباره على أن يظل عقيما يستجيب للقهر .. (صمت)

- (صوت طقطقة أحذية .. يتابع بغير مبالاة)

مرحبا بالجراد الأزرق (صمت) ستطول أظافرك كسيوف الجلادين (صمت) فلنفتح النوافذ و الأبواب الموصدة .. (صمت) أيها الكاتب.. هل هناك أخبار سرية تصف مشاريعك في تدمير الأشجار و الحصون والسجون (صمت) ستقول كعادتك عيوننا المفتوحة تترصد حركاتهم.. (صمت) ها أنا أصحو و أنا على الخديعة. (ضاحكا..) يهمكم جميعا من هذا الجسد أن يبقى منتصبا بين الجموع المقهورة.. (صمت) إنها قشرة سلحفاة يا كاتبي .. آه .. أصبحت أكره أنوفكم الجرباء.

الكاتب : جراد عابر يا سيد السادات .

الزعيم : (بغير مبالاة) تريدون أن يكون استقبالي رائعا .. (صمت) أيها الجراد الأزرق أقبل .. انك تحل عقدة لساني .. أخرجني من هذا الرماد (صامتا) ليتني أستطيع أن أقنع جرادة واحدة.

- (يزداد صوت الطقطقة ..)

- (حشرجة .. غريبة ..)

الكاتب : (خائفا) الجراد ينهب المدينة يا سيدي..

الزعيم : (بصوت هامس في أذن الكاتب الخائف) .. إنك تنتظر مني أمرا بإطلاق الرصاص .. أليس كذالك .

الكاتب : سوف تفشل مراسيم الاستقبال ..(صمت)الواجب يدعونا إلى حمايتك

الزعيم : (بغير مبالاة) ..

ماذا تكتب الجرائد الحليفة .. سحقنا الجراد الأزرق ....؟

- (ضاحكا بهستيريا)

- (حشرجة .. ترافق طقطقة الأحذية القادمة)

- (الأطر تتحرك ....).

الكاتب : (خائفا ..) انتبه يا سيدي.

الزعيم : (بغير مبالاة) أيها الجراد الأزرق .. آه لو أنت تسعفني ..

(صمت) إنهم طيبون يا كاتبي .. أه .. كيف ضيعت وجوههم ..
(صمت) نعم .. قبلما يقيمون حولي الحواجز .. و قبلما أسكر من خمر
أنانيتي نعم .. كنت أعرفهم جيدا ..

الكاتب : لم تخطئ يا سيد السادات

- (ينسحب الكاتب .. ..)

- (المرأة تجتاز الإطار بلباس غريب ..)

أنا يا سيدي أخرج لا تسقط أخبارهم الأخيرة (ينسحب) .

المرأة : (تقترب من الزعيم .. بخطى وئيدة ..)
لست وحدك أيها الزعيم .

الزعيم : من تكونين ؟

المرأة : امرأة تحمل عينيك الضائعتين .

الزعيم : هل أنت مسجلة في لائحة مسامرتي .. و منادمتي الليلة .

المرأة : أنا الكأس الأخيرة .

الزعيم : من تكونين . أنا في خلوتي .. اهئ نفسي للسهر الحزين.

المرأة : أرى الثاني منك جدارا من رمل و زبد .. (صمت) لا تلمني يا سيد السادات فأنا امرأة تعشق الأوقات الحرجة ..

الزعيم : قلت لك من تكونين .. جرادة تائهة.

المرأة : زعيم في كل شئ (صمت) ستكون أيامك عاصفة يا سيدي ..قبل بداية الليل ..

الزعيم : (قريبا منها) تختفين وراء عشيقاتي ..(صمت) أيتها الساحرة ..(صمت) هل كنت تمثلين كأسي ..فنسيت وجهك ..

المرأة : أنا الكل .. جئت لأختصر كلي في واحدة .. (صمت) لأكون السؤال و الجواب (صمت) فماذا تريد أن تشرب الليلة .. (صمت) العواصف كثيرة .. و سفينتك يا سيدي لا تقوى على الإقلاع .

الزعيم : كأني أسمعهم فيك .

المرأة : أجيئك .. بوجهي و عيني .. لأعلمك كيف تندم ..

الزعيم : أنت منهم .. إذا .. نعم أنت جرادة حاقدة .. دوخت العسس و الشرطة السرية.

المرأة : (ضاحكة) كنت أجني حلمي و أتلهى بقراءة برجك المحموم فرأيتك تسرق من حدائق النهار فاكهتي

الزعيم : أنت ملكي ..

المرأة : أراهم يقبلون حفاء عراة ..

الزعيم : ضاع المفتاح يا امرأة ..فمن أين أبدا ..(صمت) اخبريني من تكونين في لائحة المنادمة حتى اطمئن لكأسي و خمرتي و ليلتي .

المرأة : زرقاء اليمامة .. يا سيد السادات .

الزعيم : عرفت كبوة حصاني (صمت) دعيني أدلج ..و أموت مختفيا في جلد الليل.

المرأة : سوف يحرقك النهار يا سيد السادات.

- (تسمع حشرجة مخيفة ..)
- (طقطقة أحذية قادمة ..)

الزعيم : (خائفا) الضوء .. الضوء (يخفي عينيه).

- (تعود المرأة إلى إطارها ضاحكة)
- (همهمة .. تتحرك الأطر ..)
- (يعود الكاتب ... .)

الكاتب : الجراد يلتهم أعمدة الضوء و الهاتف و المنبر يا سيدي.

الزعيم : (بغير مبالاة) فلتتوضأ المدينة بالنار (ضاحكا)

- (طلقات رصاص .. أصوات)

ماذا أسمع .

الكاتب : يقتربون ..

الزعيم : لم أعط أمري بإطلاق الرصاص (كأنه يطل) تخونون عقولكم من اجلي

الكاتب : يجب أن تبقى .. (صائحا) عاش الزعيم (يقترب من أذن الزعيم)
ابشر يا سيدي . ألقينا القبض على زعيمة الجراد الأزرق ..

- (يظهر في العمق .. شخصان يخرجان المرأة)

- (يسقطانها أرضا .. ..)

1 - : تكلمي أيتها الساحرة .

2 - : أيها الرحم العاصف

1 - : من أغراك بتفسير الأحلام.

2 - : لماذا تتنبئين بعودة المخطوف و المنفى.

- (يعيدانها إلى إطارها ..)

- (ينسحبان .. ..)

الزعيم : (بغير مبالاة) هذه المدينة موبوءة .. (صمت) بضاعتي لم تعد تغري
السوق يا كاتبي .

الكاتب : سيدي وصل الضيوف (كأنه يطل) و خطابك التاريخي سوف يؤكد
وجودك الرسمي ..

الزعيم : (لنفسه) لكنها تعرف كل أسراري .

الكاتب : (يتابع) أصدقاؤنا ..و حلفاؤنا سيكونون في مقدمة الضيوف (صائحا)
عاش الزعيم .. عاش الزعيم(كأنه يرى و يسمع شيئا)..إنهم حاقدون ..
احرقوا المنبر و مكبر الصوت ..

المحب : (يستيقظ من غفوته .. صائحا) عاش الزعيم .. عاش الزعيم ..

الكاتب : (فرحا) اسمع صوتا يا سيد السادات ينصرك خارج القاعة ..

الزعيم : صوت لا يحبه الجراد الأزرق.

- (حشرجة و طقطقة أحذية)

- (شخصيات الأطر تتقدم في لباس أزرق)

- (تشرع في تفكيك أطرها .. و تضعها ككومة)

- (في الوسط .. يندفع المحب إلى جانب)

- (الزعيم و الكاتب .. ..)
- عاش الزعيم .. عاش الزعيم .
- (بصوت خافت) عاش الزعيم .
- (المجموعة تحيط بالزعيم و الكاتب و المحب ..)
- (و تجرفهم كتيار من همهمة و حشرجة ..)
- (يبقى إطار الرسام منتصبا في فضاء) (الركح .. ..).

الشهيد : (بغير مبالاة يلوح بفرشاة) .. اخرج أيها الرسام .. تحرر من ألوانك الباهتة .. تحرر من الخيال ..

الرسام : (يجتاز الإطار بصعوبة)

صدقني .. نعم .. سأرسم جرادة كبيرة .. تحمل فأسا و مذراة .. سأرسم جرادة زرقاء بألف جناح نعم .. (يردد جملته الأخيرة باحثا .. و ضاحكا بهستيريا) وحدتها .. و جدتها . نعم صدقني ... سأرسم جرادة كبيرة .. (الشهيد يجتاز إطاره إلى الخارج / المجهول) .

انتهـــــــى .

باب أربعة

شخصيات المسرحية

1 / حميد
2 / عباس
3 / السيد ...م .....م
4 / الغول

الحـركـــة 1

المنظر

- منظر مجسم لرافعات الميناء العملاقة .....
- مكان مهمش بجانب الميناء ..
- أعمدة ضوء .. إنارة مبعثرة .. بقع ضوئية ..
- صناديق .. و علب من القصدير فارغة .. برميل ..
- لائحة باهتة .. مكتوب عليها (مضربون حتى النصر).
- الوقت .. مساء ..

حميد : (يبحث عن مكان وسط العلب و صناديق السردين الفارغة) سوف يختفي الدفء قريبا (صمت) شقوق كثيرة في معاطفنا (صمت) ويصبح هذا المكان قطعة من الثلج (صمت) صدقني .. لقد اتهمونا بالجنون (صمت) الشرطة و القضاء أكدوا عدم جدوانا في الدفاع عن حقوقنا .. (صمت) قطط جرباء (صمت) كنا طعما لذيذا (صمت) (يلتقط بقية سيجارة و يشعلها ببقية سيجارة أخرى)

عباس : (ينهمك في تهيئ مكان له) مجنونان ابتلعهما الحوت الكبير في بحر الظلمات.

حميد : (بغير مبالاة) بدأت أنسى وجود عائلتي و أصدقائي (صمت) اعتقد أنها ليست مدورة تماما.

عباس : تذكر .. أننا صمدنا قبل الآن كبغلين في العقبة (صمت) و كان عدونا من غير جلدتنا (صمت) امتصنا الكافر حتى النخاع .. لكننا لم نيأس (يطفئ ما تبقى من سيجارته).

حميد : كنا نعمل ..و نكسب ثمن العلف في الأخير .

عباس : (ساخرا) نعم .. كان يعترف بشكيمتنا ..و يعطينا نصف الحق (صمت) أما الآن فقد ذهب الحق كله .

حميد : تتحدث عن مسيو «فرانسوا » الأشقر .. مدير مكتب «الجوطنا» في ميناء الشحن (صمت) كان طويل القامة .. أتذكره .. جيدا.

عباس : (بغير مبالاة) كان يضع غليونه في زاوية من فمه الأيسر .. و يبصق إذا غضب بالنصف الباقي في وجوه عمال « الجوطنا » (صمت) أنسيت .. كان يختارك وحدك من بين عمال الشحن .

حميد : (بعيدا منه) في المرة الأولى لم أكن اعرف قصده اللئيم (صمت) اقترح علي أن اعتني بكلبه الرومي و حديقته ..و ..

عباس : كان يتفرج على صدورنا و سواعدنا العارية و يغمز بعينيه.

حميد : حاولت أن أقنعه بالعمل بينكم ..و لكنه أصر أن أرافق زوجته الغليظة.. كل مساء إلى سوق الخضر .

عباس : عمال « الجوطنا» أصبحوا يخشون صحبتك و الاقتراب منك (صمت) فقدوا ألسنتهم ..

حميد : ماذا أفعل إذا كان الخنزير يضع خبزي كطعم فأر داخل قفصه.

عباس : (يقترب منه مهنئا) هنيئا .. لقد هللوا .. و صفقوا لك (صمت) في تلك الليلة وقع الخبر كالصاعقة (صمت) الكل وقف أمام الرافعات وأرصفة السفن .. ينتظر نتيجة البحث في أمر ثورتك و انقلابك الرائع .

حميد : كان الوطن أكبر مني .

عباس : (بغير مبالاة) بعد العملية الناجحة (صمت) بدأوا يقدرون سواعدنا ويتخوفون من صمتنا .

حميد : (صارخا) خنقته .. لأنه كان يهين الوطن في سحنتكم القمحية.

عباس : أيها المجنون العاقل .. أيقظت أشياء كثيرة في عيوننا .

حميد : (ضاحكا بهستيريا .. يتحسس جسمه .. يقوم بعميلة خنق وهمية صارخا) مسيو فرانسوا .. هل تعرفني .. صديق كلبك و زوجتك .. اقترب .. أيها الخنزير البري (يقوم بعملية الخنق) مت .. إني أقتلك يا مسيو فرانسوا .. مللت نفسي عن عهر زوجتك .. كرهت كلبك و حديقتك .. كرهت الخبز المغموس بين فخذيها (صارخا) أه لا .. لا .. لا (ماسكا مكان عضوه التناسلي) لماذا تحتقرني تلطخ جسدي .. (صمت) ماذا كنت أفعل ..

عباس : (مندهشا) كنت تخنق مسيو فرانسوا .. أمامي .

الحـركـة 2

- تدخل السيدة .. م.م
- تجلس فوق صندوق بعيدا منهما ..
- تشرع في معالجة وجهها بالمساحيق على ضوء كشاف صغير..

السيدة : (ضاحكة) خنقته .. أنقدت رجولتك من الضياع .

حميد : (ينتبه إلى وجودها في مكان شبه مظلم) من تكونين..

م.م : جارة فضولية .. (صمت) تحمل قلبا وجسدا دافئا ..

عباس : (منشغلا بنفسه) استيقظي يا امرأة .. فأنت تمشين نائمة ..

م.م : (ضاحكة) يعجبني فعل الخنق بين الفخذين و الصدر.

عباس : (بغير مبالاة) جاءت لتساعدنا في إضرابنا اللا محدود .

م.م : (تتابع النظر إلى مرآتها الصغيرة) أعطني نوما أعطك ذاتا (صمت) بضاعة الليل لذيذه (صمت) خنقت غولك (صمت) هنيئا (صمت) من يعرف منكما لماذا تحكي الأمهات و العجائز قصة الغول الذي يخطف أطفال المدن و القرى (صمت) لكي لا يحدق الأطفال للشمس في النهار.. و يرافقون القمر بالليل خلف السحب الداكنة (ضاحكة) منذ عودتي من سجن النساء بالمدينة .. و أنا أفكر في زيارة أصدقاء الليل.

حميد : إنك تدخلين معنا في إضراب لا محدود .

م.م : (بسخرية) صديقك نظيف (صمت) اغفرا لي فانا أسهر قليلا .. فالوجوه كثيرة .. و مع ذلك جسدي يتحمل جنونهم المفرط (صمت) لا أخفيكما إعجابي بهدوئكما (صمت) لعلكما من فوج الشحن الليلي (صمت) تنتظران انفتاح الباب الخلفي .. باب أربعة (صمت) أجئ قبل الشحن و الإفراغ (صمت) لا تخجلا من تهوري .. يكفي أن تلفنا ظلمة ركن مهمل هناك (صمت) حائط الميناء طويل و مظلم (صمت) المطلوب هو الشجاعة لشراء بضاعة مهربة .

حميد : أيتها المرأة ليس فينا من يرضيك (صمت) نحن من أجل كرامتنا نضرب

م . م : (بتغنج زائد) خطأ في التقدير (صمت) أبيعكما كرامتي مرتين (ضاحكة) اقترب (ل . عباس) فالليل غطاء أملس (ضاحكة) أنا قطتك (تقلد مواء القطة و تدور حوله) لن أكلك يا فأري العزيز .. اقترب سوف نلعب معا .. و ننسى أحقادنا و عداءنا القديم (صمت) ثم نختفي عن الأنظار (صمت) يبدو لي أنكما قضيتما يوما عسيرا (صمت) التفكير أبو المصائب (صمت) كنتما كأي مسافر يبحث عن شئ يحمله كزاد ..و عن شئ يقوله للمودعين (صمت) انس .. يا رجل .. ماذا تفضل (صمت) واجهة حانوتي تقدم لزبنائها الكرام قطعة شهية من الحلوى المحشية بالشكولاتة .. (تكشف عن ساقها) (نفير باخرة) أوه .. سفن تجئ .. و سفن ترحل .. و التعب لن ينقضي (صمت) الخجل لا يجتمع أبدا مع تأنيب الضمير (ضاحكة) من يشعل الفتيل منكما و يفجر هذا الليل الأخرس (صمت)

حميد : ليس فينا يا امرأة من يرضيك .. انصرفي .

م . م : من قتل الغول بالأمس يقتلني الآن

حميد : خطأ قديم .

م . م : (تقترب من حميد) أنا ضحية هذا الخطأ (صمت) ليتك تكرر خطأك التاريخي (صمت) تركته وحده (تجلس حزينة فوق الصندوق) سيموت جوعا (كأنها تسمع صوتا) لن يغريكما وجهي (تمشي أمامهما) وساقي (صمت) بضائع أهربها .. اشتر يا رجل قبلما يشتغل المزاد السري (صمت) سيموت جوعا (صمت) لن احكي له قصة الغول الذي يخطف الأطفال (تبتعد منهما) لن احكي له (صارخة) لماذا تضربان في الليل..

عباس : (يحاول إخفاء رأسه) انصرفي يا امرأة (صمت) انفجري متى شئت بعيدا من هذا المكان .

الحركة 3

- يدخل الغول ..
- زعيم متشردي حائط الميناء .. بمعطف متسخ .
- نفس المنظر السابق ..

الغول : (ماسكا زجاجة خمر من النوع الرخيص .. يتفحصهم بطريقة غريبة) أنفي لا تخطئ .. رائحة قطيعي (ضاحكا) تكلمي (ل . م . م) تخلفت عن تسديد الديون .. (صمت) أين رسوم الحماية .

م . م : قبضوا علي كالعادة .

الغول : دين نصف سنة كاملة يضيع مني (يشرب) أنا دائن لا أقبل اعتذار من يتخلف .

م .م : حاولت معهما (تشير إليهما)

حميد : دعها ترحل.

الغول : (ضاحكا) كنت مثلك يا رجل .. لطيفا و غيورا كأي مصلح (صمت) بل كنت أصدق من واعظ ملتحي في جامع المدينة (صمت) خسرت الرهان كله و بقيت وحيدا (صمت) اكتشفت أسباب خسارتي (صمت)

إني لا أشك في الهدف .. و لكني بدأت أشك في المصلحين جنبي و ورائي (صمت) من يملأ بطني إذا كان كل واحد منهم يضمن لبطنه مائدة تنطق باسمه صباح مساء (ضاحكا) .. أنا غول الميناء هل سمعتما عني (صمت)

حميد : (بغير مبالاة) لم تخسر نفسك بع يا رجل .

عباس : تستطيع أن تعلن إضرابا لا محدود .

الغول : (ضاحكا) من اجل غباوتي (يشرب بعنف)

م . م : إنهما لطيفان

الغول : أيها اللطيفان العزيزان .. ادفعا لي ثمن زجاجة النبيذ الأحمر (صمت) فأنا لا أتحمل التركيز في أمور لا تضمن استقرار نسياني .. بجانب هذا الحائط الموبوء (يشرب بشراهة) لو تركتها بلا حماية لافترستها حيوانات المدينة (صمت) أسلفها أحيانا بلا فائدة .. من اجل ألا ينفخوا ببلاهة في صفاراتهم بالليل.. (صمت) إني اخلص في حماية هذه الأرنب الشاردة (ضاحكا) و أمنحها عطفي .. و فرصة الممارسة تحت خيمة الليل (ضاحكا) هل يخجلكما أن نقتسم الأتعاب .. و نخبئ حقدنا إلى الغد (ضاحكا) سوف تتعودان على طبائع الليل المتقلبة (صمت) أنصحكما بالمروءة (صمت) إني اكره صفيرهم (صمت) ها أنا أفعل خيرا بطريقتي (صمت) ما أقوم به قد يخالف القوانين و العادات و لكنه يضمن لي أن أتنفس هواء مغموسا في رغوة هذا الحائط المبكي (ل . م .م) اقتربي يا حمامتي .

م . م : تركته وحيدا و جائعا .

الغول : متى يكبر الطفل .. (صمت) إنه ينتزع حقي منك (صمت) أريده كاملا (صمت) سوف يحقد علي هو الأخر .. إذا عرف أنني أفرض ضريبة على جسد أمه (ضاحكا) يا لسوء حظي (صمت) إني أشبه بغلا بلا ذيل (يشرب) تكلمت كثيرا (صمت) أنتما تذكراني بنفسي

(صمت) الحماس لا يفيد (صمت) آه .. أفشل في التفسير .

م . م : (تقترب من الغول) سأدفع لك .. إذا

الغول : أيها المضربان (يدفع م . م أمامهما) من يقرأ الجسد قراءة ذكية (صمت) يحمي أرضا من الجفاف (صمت) أفشل في التفسير (ل حميد) تكلم أنت افتح فمك جيدا (صمت) هل تعرف شيئا عن الشطان الأخرى البعيدة خلف البحر (صمت) إنهم يتحدثون بشوق و إعجاب عن أناس يشبهون الصابون المعطر (صمت) رائحة ساحرة .. سأعود بواحدة .. تغسلني كل ليلة من صناديق السردين النتنة.

حميد :لن يمنحوك جوازا

عباس : لأنك عاطل حاقد

الغول : (صارخا) سأرحل يوما .. أنا الغول.

حميد : لأنك مضرب قديم .

عباس : و متهم بالجنون المزمن.

الغول : (بعيدا منهم .. يشرب بعنف) يا لسوء حظي (نفير باخرة)

حميد : (يتابع بغير مبالاة) و رضيت أن تكون غولا فاشلا خارج الميناء

م . م : (تحاول ترضية الغول) في الصيف المقبل يزورنا الأصدقاء و الأشقاء.

الغول : تعلمت ألا أعترف مرتين .

عباس : غول يحمل قلبا

حميد : و لن يخطف أطفال القرية

عباس: و لن يغسل أطرافه السفلى بالصابون المعطر (ضاحكا)

حميد : و لن يحلم كباقي الناس

الغول : (يتابع الشرب .. يشعل سيجارة بصعوبة) ربما كنت الغول الوحيد في هذه المدينة الذي يحمل قلبا (صمت) آه أفشل في التفسير (صمت) أذكر أني تحملت التهمة وحدي

حميد : هنيئا لك .

الغول : كان الطرد من نصيبي
عباس : (بغير مبالاة) كنت تأكل باليسرى طعامك المهموم .. و مرشحا لأن تصبح غولا بلا أظافر .
م .م : (بغير مبالاة) عندما أحدق في وجهه الصبي .. أستحضر عينيه و ملامحك .. و ليلتنا الدافئة .. (صمت) في تلك الليلة توسدنا الفارغ من زجاجات النبيذ .. و تغطينا بجرائدنا الوطنية (صمت) كنت تحاول الاختباء و الهروب من بقايا ضوء (صمت) كان يتعقب عينيك المفتوحتين .. (صمت) شاركتنا نجمة شاردة ولادة السر في أعماقنا.
(صمت) تم دفنت نفسك في أحشائي .
الغول : (منتفضا) لن أقتنع .
م . م : دعني أبحث له عن طعام عبر هذا الحائط.
الغول : قولي له ... الغول لن يخطف الأطفال.
م .م : إنه يشبهك تماما (صمت) تركته يبكي.
الغول : لن يرق قلبي (صمت) في تلك الليلة لن تمنع الجرائد الوطنية لسعة البرد القارص.
حميد : (ل عباس) يتحدثان عن طفل يبكي .
الغول : (صارخا في وجه م . م) من أين لي بثمن زجاجة نبيذ.
عباس : غول فاشل خارج الميناء
الغول :(صارخا) يكفي أن أحميها منهم.
حميد : لن تستطيع وحدك
الغول : (بعصبية) جميع الإضرابات لم تنجح.
م . م : لماذا تهينني وحدي .
م . م :(بغير مبالاة) بعدما تخلصت من الحمل .. خرجت أبحث عن حليب و خبز
الغول : (بسخرية) كالعادة قبضوا .. و ألصقوا التهمة القديمة .. الفساد و التشرد و تشويه المدينة.

م . م : صدقني .. اشتقت إلى حمايتك (صمت) انه يشبهك تماما (صمت)
لم يحقد عليك

الغول : أريد أن أنسى (يشرب و يدخن بشراهة)

م . م : (قريبا منه) تخيله و هو يمشي .. رأسه منتصبا .. يصنع كلمات ساحرة ..
يبحث عن مكامن الشمس (نفير باخرة) - (تأخذ صندوقا تعانقه كمهد
طفل) نم يا طفلي الحبيب .. تشبع غدا .. و تلبس حذاء (تناغيه) انه يحلم
..شفتاه تتمطق عسلا (تضعه فوق الصندوق) سأعود إليك الليلةبلباس
جديد.. و أغسل جسمك بالصابون المعطر (صمت) نعم .. سأجعلك
تشبههم تماما .. أبيض كالحليب (تتابع مناغاتها .. و دندنتها) و جميلا
كأطفال الإشهار .

الغول : (غاضبا .. يرمي الصندوق أرضا) لماذا تضعين في طريقي هذا الفخ
القاتل .

حميد: أيها السادة و السيدات .. طابت ليلتكم .. لندخل جميعا في إضراب
لا محدود

الغول : (يستيقظ من غفوته) من أجل غباوتنا جميعا .

م . م: (ل الغول) أغريتني .. إذن.

الغول: لماذا لم تقولي .. أنقذتك من أشداقهم.

م . م : (بغير مبالاة) وعدتني إن جمعنا ثروة .. نفتش عن عش بعيد .. ونعطي
لطفلنا اسما يليق به.

الغول : (ضاحكا) ربطوا يدي يا حمامتي و رجلي بحبل من حديد (صمت)
كان وتدي مغروسا في بطن المدينة الملعونة (صمت) و رموك أنت
في طريقي طيرا بلا ريش (صمت) كنت تحملين جراحك العديدة (
صمت) لماذا لم تغرسي أظافرك في جلودهم (صمت) لماذا لم تنتقمي
من ابن سيدك و سيدتك الفاجر

م . م :كنت أجس بأنني خادمة .. و هم أسيادي

عباس : (يستيقظ من غفوته .. يدخل في تشخيص ابن السيدة ينادي..)
عائشة

م . م : سيدي

عباس : اقتربي .. هل تخافين مني.

م . م : أخاف من الجوع.

عباس : لماذا أخاف ... و أنا أكثر من شبعان.

م . م : غرفتك دافئة و هادئة يا سيدي.

عباس : تعالي.. نقتسم هذا الخوف .. و أدفعه بعيدا عني.

م . م : (خائفة) سيدي.

عباس : (ضاحكا) أدخلي .. (يعود عباس إلى مكانه)

الغول : (يتابع بغير مبالاة) الفوق مخيف و مرعب (صمت) تخافين من سقوف وهمية (صمت) ضاع شرفك و براءتك في البيت الكبير (صمت) قلت لي بأن ابن سيدك كان يخشى الظلمة .. فأرغمك ذات ليلة أن تشاركيه خوفه الرهيب فوق السرير (ضاحكا)

م . م : رفضت .. هددني بالطرد (صمت) كانت أمي مريضة

الغول : أما أنا فقد أضربت و طردت (صمت) لكن أنت وحدك قبلت النوم بين أحضانه.

م . م : صدقني .. لم أقبل .. هددني بالطرد فورا.

الغول : لم تفكري في الانتقام.

م . م : كنت أحس باني خادمة.

الغول : (ضاحكا) لماذا تخافون هؤلاء (صمت) الغول وحده لن يخاف.

م . م : قررت أن تحميني منهم .. بشروط مجحفة.

الغول : (بغير مبالاة) تعلمت منهم (صمت) تعلمت أن أصبغ الأشياء المعروضة للبيع (صمت) لا أخفيك ، اكتشفت لعبة النسيان (صمت) و كنت أول بضاعة رائجة.

حميد : لعبة لن تشرف مضربا قديما ،

الغول : (ضاحكا) لعلك كنت ضحية سلعة مغشوشة

عباس : (بغير مبالاة) نستطيع دائما إذا جمعنا همومنا في كيس عطار أن نصنع منها فرنا كبيرا يبتلع صناديق السردين النتنة.

الغول : كنت مشهورا بين العمال (صمت) آه .. أفشل في التفسير.

عباس : كنت تأكل لحما نيئا ،

الغول : (ساخرا) إني أضفي على العظام العارية حلة رائعة .. و مسحة من السكر حتى أغري نفسي (صمت) لم يتركوا لي شيئا (صمت) لا تستغرب إذا كنت اصنع لنفسي وسط هذه الطيور الجارحة التي تعودت أن تأكل ما تبقى من الجيفة (صمت) (ل عباس و حميد) تستطيعا هنا .. أن تبدلا جلديكما كثعبان و صوتيكما الغرابي فالحائط طويل

عباس : (ينتفض .. يقف أما م . م) من تكون هذه المرأة (صمت) آه لست الوحيد الذي يفقد ذاكرته .

الغول : (يداعب م .م) ورقة ينا صيب خاسرة.

م . م : اعترف انك نصف زوج مقهور.

الغول : أيتها الفاجرة العزيزة .. ما يزال الليل طويلا.

م . م : اعترف انك نصف زوج مقهور

•الغول : (بعيدا منهم) من يملأ كأسي (يرمي زجاجته الفارغة .. يبحث عن أخرى في جيب معطفه الداخلي) لا أطيق الفراغ (صمت) من يشحنني كهذه السفن المبحرة حتى أتقيأ يقظة الزمان.

حميد : (يقترب من م . م) يجب أن نعمل شيئا

الغول : (ضاحكا) مجانين

م . م : (بغير مبالاة) طردتني سيدة البيت (صمت) كان علي أن أعيش من اجل أمي (تبكي) ماتت قبلما أتعود و أنجح في اقتناص أول رجل تعجبه مؤخرتي.

حميد : ابتعدي يا امرأة .. من هذا المستنقع

الغول : (بغير مبالاة) الضفادع تموت أحيانا مسحوقة (صمت) لن أحفر لها قبرا

عباس : (من تحت الغطاء) لنقنع عمال الشحن و الإفراغ (صمت) لا يكفي أن تقفوا دقيقة صمت ترحما على أرواح المغتالين في الليل.

الغول : (ضاحكا) من اجل إضراب فاشل.

عباس : أريد أن أنام.

حميد : ابتعدي يا امرأة .. فأنت تغرقين وحدك (صمت) الغول لن يشبع.

الغول : (يعالج حذاءه) أنا الغول الوحيد الذي لم يخطف طفلا في حياته (نفير باخرة) آه كم يوجعني نقيق هذه الضفدعة الحديدية .

م . م : انه يشبهك .

حميد : ابن الغول .

الغول : (بغير مبالاة) بعد إضراب ناجح .. قرروا الاستماع إلى مطالبنا الحقيرة (صمت) كانت شروطهم الاستغناء عن ممثلي العمال المضربين (صمت) و لكي أستمر أنا في العمل اقترحوا علي أن أصبح عينا و أذنا طويلة لرب العمل (ضاحكا) إني أدفع من اجلها نفسي (صمت) آه أفشل في التفسير .

م . م : تهجرني .

الغول : (يتابع) عناية السيد بمقابلتي و بملفي المطلبي .. جعلتني أقضي سنة كاملة في زنزانة منفردة مع الصراصير الشاردة (صمت) بعيدا عن زرائب البغال (ضاحكا) طلبوا مني أن أتدرب عن النهيق (يشرب بشراهة) لنحلم يا جماعة إذا لم نقدر على تفسير الأشياء (يشعل بقية سيجارة .. نفير باخرة) لنسافر عبر هذه السفن المبحرة (صمت) آه .. ماذا يحدث لو تخيلنا جميعا أرضا بلا صفارات (صمت) كرهت أن أصبح حائط إعلانات للسيارات و القشدة المستوردة (يكشف ساعده) انظر (ل حميد) صورتها .. هكذا تخيلتها فوق ساعدي .. لا تذوب ولا تموت .

م . م : (تحاول النظر .. يمنعها) تحبني في السر .

الغول : (صارخا) ابتعدي .. (صمت) أرى الأفواه المقيحة ترقد فوق شفتيك
(صمت) و على جسمك يستلقي مليون فأس (صائحا) أيتها الغابة
المحترقة .. لم يبق إلا الرماد (صمت) أنت تحملين قبري (يشرب
بشراهة) ربما فكرت في أن أصبح حفار قبور ترحل في الليل إلى السماء
(ضاحكا)

م . م : (باكية في حضن حميد) أنا امرأة و أشبه أمك

الغول : (ضاحكا) هل ولدت حقا مثلكم مغموسا في الفاقة و الخنوع..
(صمت) لا أصدق (صمت)هكذا وجدت نفسي بغلا يركبونه..
يسعفهم في نقل الأموات و زرابي الاحتفالات الطارئة (ضاحكا) بغلا
علفه من لحم جسمه.

م . م : نسيت وعودك

الغول : (بغير مبالاة) أغرسي ما بيننا في أي مزبلة (ضاحكا) سوف يتعلم كأقرانه
المطرودين كيف ينهق (يقترب من حميد الشارد) بدأت تستلهم
(صمت) يخونك الوحي الصريح (صمت) أنت تابع إلى الأبد مادمت
تؤمن بالكتب الصفراء و بإضراب لا محدود .

حميد :لم يبق إلا أن نقنع عمال الشحن و الإفراغ .

عباس : (من تحت غطاء رأسه) يداك لم تقدرا على الخنق الفوري

الغول : يا لسوء حظي .. كلما ابتعدت أقترب (صمت) أيها الصديق الملعون
(صمت) أكتب طلبا في الموضوع .. و أنتظر السيد المدير المسؤول ..
أنا..(ضاحكا) سوف أمضي لك رخصة الخروج عن دائرة العقل (يجلس
فوق صندوق مرتفع .. يشخص السيد المدير .. تجلس م . م كسكرتيرة)
اكتبي لهم يا عزيزتي .. بيني لهم أسباب غيابي عن الاجتماع الطارئ
(صمت) مزاجي غير مهيئ لمناقشة الزيادة في أجور السواق و الخدم ..و
حاملي المظلات (صمت) أكتبي أمري بإنابة سكرتيرتي الجميلة الخاصة

(يشير لها)

م . م : (بتغنج .. تشكره بكل اللغات) هل تسمح لي بالظهور أمامهم بكامل زينتي المعتادة يا سيدي المدير (تقف .. تستعرض نفسها) .. ماذا تقترح هل أرتدي لباس الصيف أم تقليعة السباحة .

الغول : تماما (يصفق) شريطة ألا تضعي العطر الذي أشتمه في عنقك وخصرك

م . م : أي العطور تفضل يا سيدي المدير .. في مناقشة مطالب عمال « الجوطنا »

الغول : لتكن مخارج كلماتك مؤثرة .

م . م : هل يفهمون لغتي الثانية .

الغول : أقترح أن يرافقك كاتبي المخصي للترجمة.

م . م : ماذا أقول إن سألوني عنك بتفصيل .

الغول : اختصري النقاش حول الزيادة في الأجور بغمزة خفيفة (يقف ضاحكا)

م . م : يا غولي الحبيب (صمت) في كل مرة تبيعني.

الغول : ها أنت تخلين بشروط الحماية.

م . م : أعود إليه فارغة اليدين ؟

الغول : يا لسوء حظي (ل حميد) كان عليكما أن تبتعدا عن منطقة نفوذي وحكمي (صمت) أفشل في التفسير .

م . م : متى تشبع !؟ .

الغول : (ضاحك) من قال إن الغول يشبع !؟

م . م : لنكتف بكرامة ليلة واحدة .. و نسمة الليلة.

عباس : (بغير مبالاة) أحلام موبوءة (يعتلي صناديق السردين .. يقرأ مطالب وهمية بصوت مرتعش) نريد صابونا معطرا يغسلنا من الوعود الكاذبة (صمت) و بهذه المناسبة .. أعدكم بملابس نقية و أحذية جلدية للوقاية من الرمد المزمن .. و حديقة لشم الهواء (صمت) و مختبرات لتحليل أوجاع الرأس و المصران الأعور (صمت) أيها السادة .. إن صدوركم الملأى بالدخان و الضغائن و الأحقاد القديمة سوف تمطر جمرا فوق

رؤوس أعداء الحق (ضاحكا) اشتركوا أيها السادة في كفن واحد إذا لم تستطيعوا أن تموتوا عرايا و حفاة حاقدين .

م . م : أنه يخطب مثلهم .

الغول : مهما يقول .. فهو في ملفاتهم أحمق .. و مرفوض.

عباس : (يعود إلى مكانه خجولا من كلامه منكمشا يردد بصوت خافت) و بهذه المناسبة .. أدفن كلبي .. لأحتل مكانه في النباح .. (ينبح .. يدور حول الغول)

الغول : (ضاحكا) إني أتساءل دائما إن كان حقا ما تحلمون به يحرر قدرا من العدس بين أيديكم (صمت)إنها الخيانة العظمى و الجبن القاتل (صمت) الناس في هذه المدينة علبة من السردين النتن (صمت) ينتظرون السماء أن تمطر فهلا سودانيا (صمت) إنكم تعيشون حسب تقاليد الأحياء المنهزمين .

م . م : (تقترب من الغول) لماذا تصدني .!؟

الغول : أدخرك يا امرأة.

عباس : (يحاول إخفاء رأسه وسط الصناديق) علب من السدين النتن .. اخ .. تفو .. تفو ..

الغول : (يغني) أيها الراقدون تحت التراب (صمت) يصرون دائما أن يضعوا علامة الجودة و الملكية و المحافظة على النوع محفورة بالنار في جباههم (ضاحكا) كما يفعلون بعجول أبقارهم (صمت) أفشل في التفسير .

حميد : (منتفضا) مضربون حتى النصر .

عباس : مضربون حتى النصر (يقف و يمشي كالنائم أمام الغول) مضربون حتى النصر (صمت) أيها الناس الغول يحتاج إلى غولة موشومة الخدين و البطن (يأخذ بيد م . م يمسح على ثيابها و يقدمها كعروس يردد أغنية العروس الشعبية ، يشاركه حميد)

صلى و اسلام على رسول الله (معا) لا جاه إلا الجاه العالي (معا)

عباس : لعروسة مرهونة.

حميد : ها هي مرهونة.

عباس: ها الزين المسرار.

حميد : ها عيون البلار.

حميد : ها هو .. (تنتهي الأغنية حسب أهمية الحركة الفنية المطلوبة)

حميد : (بعيدا بغير مبالاة) سوف نفشل في الإضراب المقبل.

عباس: (تأخذه نشوة غريبة) عاش الغول .. عاش الغول عاش مرشحنا الغول

حميد : إنك تخرج عن أهداف إضرابنا اللا محدود.

عباس: (يتابع) إن مرشحنا أيها السادة .. يملك أقوى حنجرة و أقوى حاسة شم .. فهو يستطيع أن يترجم طموح العميان و المقعدين منكم (يشير دائما إلى الغول) أيها السادة كلكم تريدون أن تحسوا بهدوء و طمأنينة وراء واجهات المقاهي لكي تتطلعوا أيضا بهدوء و نشوة إلى مؤخرات المارة (صمت) وتملأوا بلهفة مربعات اليانصيب .. و فراغات الكلمات المتقاطعة.. وتبحثوا كالأطفال عن الأخطاء السبعة في جرائدنا الوطنية (صمت) و أنتم في حالة تدخنون و تبصقون دخانكم على المارة في فراغ الشوارع .. في انتظار أن تتغير مقاعد الحكومة (صمت) أيها السادة نجاح الغول يضمن استقرار أرزاقكم في جميع أسواق الخميرة و الدجاج .. فهو الوحيد الذي في استطاعته .. بعد الله و الرسل أن يحدد أثمان بطائق الركوب لزيارة قبور الأولياء الصالين (صمت) و بهذه المناسبة يدشن مؤسسة النافخين في الأبواق (صمت) نعم .. أيها السادة الأفاضل لا أخفيكم إعجابي الشديد بمرشحنا الغول (صمت) عاش الغول . (صمت) أما مشاريعه الوطنية .. و آراؤه في السياسة الدولية (صمت) فقد تنبأ بسقوط أسماء وصعود أسماء (صمت) بل إنه الوحيد الذي قال لهم من فوق منبر. منصة الأمم المتحدة

نحن الذين نستطيع أن نقهركم بالقناعة .. و لا شئ غير القناعة (بنشوة) عاشت القناعة (صمت) القناعة كنز لا يفنى أيها السادة .. و لأننا لنا

القدرة على اقتسام ثمرة واحدة على مائة مليون رأس .. فسوف نتغلب على الجوع و المرض .. و الفقر .. و الظلم المتسلط .. أيتها الأمة الصابرة .. (صمت) عاش الغول.

(يعود خجولا أيضا من كلامه .. بعد أن يتفحصهم واحدا واحدا) هذه ليست هي الوجوه التي اعرفها.

الغول : (بغير مبالاة) كنت مثلك متصلبا في الإضراب الأول (صمت) لم انتبه إلى علامة الملكية و المحافظة على النوع المحفور في جبهتي.

حميد : (منتفضا) يوجد في الخفاء من يفشل إضرابنا.

عباس: (جالسا الفرقصاء فوق الصناديق) و عدتها أن أشتري لها عقدا و دملجا (ينزل ببطء زائد .. يقترب من م . م) كانت تعانقني و تهمس لي في أذني بأشياء تدغدغ دمي (يلتصق م . م) و كنت إذا مررت بيدي على جبهتها المرمرية أحس بدفء غريب .. و بدموعها المالحة تنسكب فوق شفتي (م . م .. تبكي .. يسمح دموعها) قلت لها سأفعل شيئا يرضيك (يعود إلى مكانه يجلس الفرقصاء) سأحمي طفلنا

م . م: أخاف من إهانة الغول

عبا س : (بغير مبالاة) لن يقدر على خطف طفلي (يقترب الغول) من تكون (صمت) انك تقتحم خلوتي و تسلبني حريتي.

الغول: (ضاحكا) أنا الغول .. أملأ سمعك و بصرك .. و أغلق الأبواب أمامك

عباس: (لنفسه) ماذا كنت أقول..

الغول : قل ماذا كنت تفعل في مزرعتي ..

عباس: (خائفا من م . م التي تتمسح به) من تكونين!؟

م . م : رجل لطيف ما يزال عفيفا .. لم يمسسه بشر (ضاحكة)

الغول : (ل عباس) ستكون تابعي الأمين .. و أعلمك كيف تحتال في القنص والصيد .. و سوف ترثني إذا أردت السلامة لنفسك الأمارة بالسوء

حميد : (صائحا) ملاعين ،، يفشلون إضرابنا .. يتواطئون في السر.

عباس : (خائفا) أريد أن أصبح غولا

م . م : (صوت صفارات) أقبلوا كعادتهم.
الغول : ساعة تقديم القربان.
م . م : تهينني
حميد : يجب أن نقنعهم بأننا مضربون من اجل كرامتنا.
الغول : (بغير مبالاة) التهم خلف مكاتبكم كالملابس الجاهزة (ل م . م) اذهبي
لا تمنحيهم أكثر من جسدك (يشتد الصفير)
م . م : (تضع مساحيق جديدة) ذئاب .. (تنصرف)
الغول : (يتابع) يطول نقاشنا .. و لكننا لا نملك صوتا يشبه الكبريت (يدخن
بعنف) الكل يدعي انه وحده يسكن صفار بيضة مقدسة (نفير باخرة
عباس : بيضة ثعبان
حميد : الشحن و الإفراغ هذه العلقة ما تزال تمتص الأكتاف و السواعد
عباس : (ببلاهة) الغول يحتاج إلى غولة (صمت) على مرشحنا الفحل وسط
القطيع أن يملأ المدينة بالغيلان (صمت) لنرقص لا شئ نخسره غير
الرقص و النهيق في عيد ميلاده .. و زواجه العاشر.
حميد : (غاضبا) الغول يفكر.
الغول : (صائحا) لماذا ألبسوني وحدي جلد الغول!؟
عباس : (ساخرا) يخاف أن يكون غولا مرشحا لجائزة نوبل للسلام (صمت)
شروط الفوز متوفرة فيه .. التواطؤ و النخاسة.
الغول :(بعيدا منهما) إني أصحو .. إني أصحو .. (يفتش عن زجاجة خمر)
عندما قررت أن ألبس جلد الغول .. كانت نيتي أن أنسى وجوههم
الصفراء (صوت صفارة)
ستكون ليلة عاصفة (صمت) لماذا يحاولون إجبارها عن الحب.
عباس : متى تمتلئ المدينة بالغيلان (صمت) أريد أن أصبح غولا (ضاحكا)
الغول : (نادما) صوتها يوقظ وجوها نائمة في ذاكرتي (صفارة)
عباس : الغول يستيقظ.
حميد : (بغير مبالاة) تخونها في نصف الطريق.

عباس : (ببلاهة) كنت قريبا من أن أصبح غولا محترما.

الغول : (صائحا) لا أطيق .. لا أطيق ..

حميد : يريدون أن يصنعوا من عمال الشحن و الإفراغ غيلانا من ورق ..

عباس : (يردد) كنت قريبا من أن أصبح غولا محترما (يمشي نافخا صدره ..) أحصدها رأسا رأسا (يضع رأس خشبة فوق نحر حميد) هل تزوجني عبلة يا عمي .. أنا فارسها المغوار (صمت) لماذا تبعدني عنها بمطالبك الخبيثة

حميد : (يدخل معه في تشخيص دور العم) ما تزال يا عنترة بعيدا .. و سيفك ما يزال قصيرا

عباس : تحتقرني .. أنا الذي أحميك من غاراتهم كل يوم (صمت) أدفع ديونك الخارجية .. للبنوك و السماسرة.

حميد : انك تختار أجمل ما في القبيلة (ضاحكا بخبث)

عباس: أواه .. مرة أخرى يا عبلة يغرسون سيفي في متاهة الرمال .. يبيعوني رخيصا في أسواق الروم.

حميد : إني لا اطلب أكثر من مهر يليق بعينيها ... و شعرها الفاحم.

عباس : ماذا تطلب و قد أعطيتك كل شئ .

حميد : (بخبث) أن تكف عن الإضراب اللامحدود .. و تعلن تبعتك المطلقة .. و تعود إلى رعي جمال القبيلة كسابق عهدك

عباس : تستعبد ساعدي و قلبي (صمت) إني املك سيفا

(يضع الخشبة فوق رأس حميد)

حميد: ماذا تريد أن تفعل .

عباس : أحرر نفسي من الشحن و الإفراغ .. و أشق رأسيك نصفين حتى أخرج منه شخصا يسرقني بالليل و النهار .

الغول :(بغير مبالاة) رائحة القربان تحترق (صفارة)

حميد : (للغول) تخون مبادئ الإضراب يا غول المدينة.

عباس : (يتابع بغير مبالاة) تختنق عبلة بأشعار البطولة و لا أحد ينقذها (للغول) هل أحببتها يوما حتى الموت.

حميد : (للغول) لماذا رضيت أن تسكنها صناديق السردين النكرة (صمت) (نفير باخرة)

عباس : (بغير مبالاة) كنت تدعي حمايتها (صمت) متى ينتصب سيفك البتار .. يا عنترة

الغول : (بغير مبالاة) قبضوا عليها كالعادة .. ألصقوا بها تهمة جديدة (صمت) من يدفع لي ثمن زجاجة نسيان.

حميد : سيموت طفلها جوعا.

الغول : ها أنا أصحو وحدي.

عباس : لم يبق إلا السيف حدا فاصلا بين القبيلة و شرعها القاتل (نفير باخرة)

الغول : (صارخا) تعريت إذن (صمت) أفشل في التفسير .

حميد : من يخرج من الميناء مرفوض .

الغول : كنت وحدي أتجرع الضياع .. صدقوني كنت وحدي

حميد : كنت جماعة.

عباس : (للغول) انهض يا عنترة ..و ليكن سيفك من عرجون نخلة تعانق السماء (صمت) اضرب رؤوسهم المفلطحة و كسر صفاراتهم المرعبة(صمت) قل لهم لن أشحن بواخر القراصنة .. و لن أفرغها في مخازنكم السرية.

الغول : كنت أريد أن أنسى.

حميد : لن ينتهي الإضراب.

الغول : لن أستطيع وحدي.

عبا س : الغول جماعة .. و ليس واحدا (نفير بواخر)

الغول : (بعيدا منهما) رفضوا الشحن و الإفراغ . (لنفسه) من قال إن الغول يبكي (صمت) لا ..لا (صمت)أعرف انك في عيني تغو صين بحثا عن رجل أكبر من هذا الزمان الموبوء كنت أخفي عنك رجلا يعشق عينيك ..

يتلهف لرؤية طفل يحمل لون بشرته وفضوله (صمت) لا .. لا (صمت) من قال إن الغول يبكي (صمت) إني انهزم وحدي و أتهدم كحائط لن يصمد أما الريح (صمت) من يطفئ هذه النار و يقهر هذه اليقظة التي تقتلع جذوري .. لكي تغرسني من جديد (صمت) أعدك .. سأحصد كالمنجل كل الطحالب .. و أعود إليه في المساء بخبز و حلوى (صمت) انه الآن يحلم كباقي الأطفال .. (صمت) صدقني .. هم الذين أغلقوا الباب دوني .. (صمت) آه .. لا .. أستطيع أن أتحمل الصحو وحدي (صمت) الغول يبكي (يحس انه يبكي) استغنيت واستنجد أمامك بعينين حجرتين (صمت) لماذا لا أكون مثلهم (صمت) هذه الريح يجب أن تسعف أجنحتي (صمت) أأكون قبسا ضائعا .. يجهل سراجه .. وطريقه .. و أهله (صمت) أريد يدا تنتشل حمولتي (صمت) أريد قلبا يسمعني (صمت) لا .. لا .. (صمت) اعرف أنك تبحثين عن رجل يسرج حصانه .. يغير و يغار (صمت) أرى في عينيك شاطئ... (صمت) ها أنا أمشي عاريا من الكلمات .. تصلبني عيونهم .. فيخر صني الصحو القاتل .. (صمت) أنا أفشل في التفسير (صمت) تراني أعترف.. لكي أقهر خجلي (صمت) صدقيني .. أنا الآن اعزل من نفسي.. وظلي .. أعزل من وجهي .. اعزل من لساني اعزل من الكلمات (صمت) هذه النار يجب أن تنضج الخبز و الريش (صمت) لا .. لا .. لن أتركهم.

(صمت) لماذا أسمع وحدي أصواتهم .. (صمت) نعم .. سأقهر خجلي.. أقتل الغول (صمت) نعم .. سأقتل الغول .. اعترف أمام عينيه البريئتين (صمت) آه أفشل في التفسير .. أنا أفشل في التفسير (لنفسه) ربما كنت ثورا بلا قرون

عباس : (يلوح بقطعة الخشب) نحن سيفك البتار (صمت) لماذا تحارب تحت جلد الآخرين.

الغول: (لنفسه) هل كنت حقا أمنع نفسي من السير

عباس: (قريبا من الغول) أنا حدادك .. هات سيفك و صفيحة حصانك

(صمت) من يعشق علبة في هذا الزمان يحمل سيفا أطول من هامة العدو. (صمت) صمتك يا رجل يجعلك تحن إلى الرق.

الغول : (صارخا يحاول خنق عباس) أنت .. صنعك قيدي.

عباس : (يتابع بغير مبالاة) بعت سيفك و صوتك.

حميد: (كأنه يقرأ منشورا) عمال «الجوطنا» في ميناء الشحن و الإفراغ صامدون كأعمدة الضوء في أول إضراب ناجح.

الغول: (لنفسه) صحوت إذن ...و تعريت

حميد: (يتابع) عمال الفوسفاط و الزيت و الكبريت و المخابز يعلنون تضامنهم

الغول: (صارخا .. يبحثون عن بقايا خمر في الزجاجات الفارغة) آه ... صحوت و تعريت .

حميد : (يتابع) الطلبة يرفضون تدريس مادة شروط صندوق النقد الدولي

الغول : (بهستيريا) صحوت .. و تعريت .. (نفير باخرة .. عباس يضع فوق رأسه علبة صفيح فارغة .. يبدأ في تشخيص عامل منجمي .. يهبط الغار .. بحذر بين الصناديق .. يتبعه حميد .. الغول في وضع ألامبالاة ..)

حميد : (بحذر خلف عباس) وصلنا أخيرا إلى نهاية الغار (صمت) أنظر .. استنفدوا المعدن كله .. (صمت) و مع ذلك يوهمون الرأي العام .. بمخزون احتياطي ..

عباس : (يتابع سيره بحذر) نحن هنا من اجل أن نسدد ديونهم الخارجية .. ونستر عورتهم..

حميد : هل أتبعك حتى النهاية (صمت) أنت تدفنني حيا (صمت) لم يبق سوى عظام أجدادك

عباس : اعتقدوا أننا سوف نصنع منه معالق من فضة ..و سيوفا لا تصدأ لمقاومة الأعداء .. ربما لفتوحات قادمة (صمت) لم يتصوروا موتا بغير السيوف و الرماح .

حميد : أحس باختناق

عباس : جرب أن تموت واقفا (صمت) ضع رجلك في أثر رجلي . فقد نغوص معا في ثقب مجهول (صمت) الديون الخارجية تمصهم كالعلقة

حميد : ضاعت مناجم الأجداد و الأحفاد .. (خائفا) لم اعد أسمع شيئا (صمت) ألا تحس برغبة شديدة في الرجوع إلى الأرض

عباس : وعدونا بعلبة حليب إضافية إن نحن أفلحنا في اكتشاف معدن جديد (صمت) و بتعويض ممتاز عند الموت المفاجئ تحت الأنقاض

حميد : إنهم يدفنونا أحياء

عباس: و يمنحونك هدية عزاء من قبل السيد مدير المناجم (صمت) مع اعتراف مختوم لوزير الشغل .. يشهد بأنك كنت عاملا و مخلصا .. و بأنك أفنيت صحتك و عمرك من اجل ازدهار اقتصاد البلاد .. (صمت) و لم ينسوا أن يضعوا على صدر طفلك بدلا منك وساما برونزيا يحمل شعار المنجم المشهور (صمت) رسم في داخله عامل مثلك يدفع عربة المعدن .. و أخر يثقب جدار الغار (صمت)

حميد : أموت .. و لا أساوي قبرا فوق سطح الأرض (صمت) أني أحس باختناق.

عباس: (يخطو ببطء) ضع رجلك في أثر رجلي .. فقد نعوص معا في ثقب مجهول.

حميد : أحن إلى ابني (صمت انهيار)

عباس : تذكر أننا هنا من أجل تسديد الديون الخارجية .. (صمت) نحن نقترب

حميد: (فرحا) هل اكتشفنا معدنا جديدا .

عباس : اقتربنا من التعويض عن الموت اختناقا

حميد: (لنفسه) وعدته إن خرجت من الغار حيا .. اشتري له دمية تشبه المدير العام للمناجم(صمت) لها عينان زرقاوان .. وربطة عنق .. وبطن منتفخة.

عباس : اقترب مني .

حميد : (يعجز عن الحركة) اختنق .. أنا مشلول .

عباس: (بصعوبة) ارسم علامة النصر في مكانك .. ثم استسلم للموت المفاجئ (يغمى عليه .. يسقط) .

حميد : (بصعوبة يتكلم) انتظرني .. (يسقط بالقرب منه).

الغول : (ضاحكا .. يتقدم منهما الغول ليضع فوق صدريهما وسامين وهميين .. يستيقظ حميد و عباس خائفين) أيها العاملان المجدان .. لقدمتما من اجل صيانة صندوق الدولة .. وحفظتما دم الوجه (صمت) باسم قوانين الشغل والحوادث العارضة أضع على صدريكما وسام البطولة في اكتشاف المعدن الجديد من درجة فارس في الميدان .

حميد : هل نحن أحياء حقا ..

الغول : (يتابع) أيها العاملان المجدان .. سوف نكتب اسميكما بمداد الفخر .. في سجل العمال المفقودين تحت الأرض .. لكي تكونا عبرة للأجيال القادمة في نكران الذات ..

عباس : وعدتمونا بعلبة حليب إضافية لغسل حناجرنا من الرماد و الفحم والدخان

(نفير باخرة) .

الغول : (ضاحكا) سوف نرشح أبناء المفقودين لمتابعة البحث و التنقيب.

حميد : (صائحا) نموت و لا نساوي قبرا فوق سطح الأرض .

(صفارة .. الغول ينزعج).

الغول : (بعيدا منهما) لم تعد هذه المرة .

عباس : لماذا تهينها .

الغول : (بغير مبالاة) . لم تعد تروقهم (صمت) ها أنا أموت واقفا (صمت) سوف يلصقون بها تهمة جديدة (صمت) ثم تذوب بين أيديهم كصابونة قذرة .

حميد : ويموت الطفل .

عباس : (صائحا) لا .. لا .. قلت لكما لا .. (يدور بينهما مرتبكا) لا .. لا .. (يشكل سفينة من الصناديق و العلب).. أنا القبطان .. وهذه سفينة نوح.. اركبوها قبل الطوفان (صائحا في وجه الغول) أنت .. كان عليك أن تدق مسمارا في لوح من ألواحها .. وتغلق شقوقها بالقار (صمت) أيها السادة.. أي العواصم الناجية من الطوفان تشتهون .. باريس .. لندن.. واشنطن .. احذروا الأرض الواطئة ..ومن غضبة الطوفان (صمت) ممنوع من يحمل كبت العشيرة و أحقاد الأقارب ..(يتقدم حميد ..يدخل معه في تشخيص مسافر) تفضل (نفير باخرة) (يعتلي صندوقا) ها قد وصلت .. ماذا تشرب .. قهوة سوداء تذكرك بنفطك المسكون بالخصامات.. اطلب .. يا ضيفنا المحبوب .. فنحن نقبل كل الشيكات.. ونتكلم بفصاحة جميع اللغات .. أنا قبطان سفينة نوح .. (صمت) احذروا أيها الركاب الناجون من الغرق أن تحملوا معكم ألقابكم الثقيلة..

حميد : هل عرفتني .

عباس : أنت .. عرفتك و شممت رائحتك .. أنت من الثلث الناجي من الطوفان.

حميد : أسرع .. حرك سفينتك ..

عباس : عطشان إذن .. هل تريد يا سيدي كأسا و صديقة تغسل ما علق بك من أتعاب السفر و الغربة . (صمت) تعطر شواربك .. وتمسح على بطنك يا سيدي .. عفوا .. هل جئت سائحا أم تاجرا .. أم وسيطا أم ثائرا تدبر انقلابا من الخارج بطريقة 007 ـ الرجل الذي لا يقهر ..

حميد :(بكبرياء) مبعوث رسمي فوق العادة في مهمة رسمية عاجلة .

عباس : جئت وحدك .. وسفينة نوح لا تقبل المفرد (صمت) من كل جنس زوجين اثنين ..

حميد : أنا متعدد يا قبطان في جميع الأبناك و البورصات .

عباس : عفوا سيدي المتعدد . ماذا تطلب بعد نجاتك من الطوفان .

حميد : (واقفا) اطلب باسم العشيرة تدخلا سريعا .. وأسلحة فتاكة (صمت) سأدفع لكما مقدما عشرين جيلا من النفط و الفوسفاط .

عباس : حميد أسرع .. خذني إلى عاصمة تعلو الطوفان بسهمين أو أكثر (نفير باخرة .. حميد يصفر) .

الغول : انتظر أنا المسافر المهاجر الثاني ..

حميد : من تكون في لائحة جنس المسافرين .

الغول : (صمت) اطلب النجاة من نفسي .

عباس : عرفتك .. دخلت في إضراب لا محدود ..

الغول : ألبسوني جلد الغول .

عباس :(ضاحكا) لست مرشحا للنجاة يا غول الميناء .. (صمت) عملة جنسك في انحطاط هائل ..

الغول : تغولت لكن لم اخطف طفلا . (صمت) أنا ما زلت أصلح يا قبطان سفينة نوح لأكون حمالا لحجارة القناطر و الجسور.

عباس : (يصفر .. على الرحيل) لست مرشحا للنجاة .. وهمومك اكبر من حجم سفينتي .. (يعود الغول مهموما إلى مكانه بعيدا منهما .. نفير باخرة) .

(عباس و حميد بحركات آلية .. يقفان خلف الغول الذي يفاجئه وجودهما).

عباس : ميت جديد في طريقنا .

الغول : من تكونان .

عباس : اعذره يا ملاك الموت . فما يزال متأثرا بأسئلة الأرض الوقحة.

الغول : أين .. أكون خارج الميناء..؟

عباس : أنا ملاك الموت يا رجل (صمت) أقدم لك رفيقي .. أمين سر الموتى .

الغول : هل مت حقا (صمت) لم أتوصل منكما بأي إعلان أو دعوة (صمت) أين كنتما تختفيان .

عباس : نخشى أن تكون من الموتى المهملين عبر شوارع المدينة (صمت) نحن لسنا مسؤولين عن القطط المسحوقة . والجائعة فوق السطوح (للغول) تكلم .. هل تعرف شيئا عن نفسك .

الغول : (بغير مبالاة) اذكر أني كنت احد المضربين عن الحمل .

حميد : (كأنه يقلب صفحات كتاب وهمي) ربما يكون احد المتسللين (صمت) رجل مات قبل اجله .

الغول : أتذكر جيدا .. أني دخلت في إضراب لا محدود . وأنهم ضربوني لكي اعترف بالمحرض الرئيسي .

عباس : (لحميد) أيها الرفيق .. افتح للميت الجديد ملفا .. وأعطه رقما خاصا (صمت) فحالته تدعو إلى الحيطة و الحذر .

حميد : لكننا لا نملك نوعا من الحسنات تحت اسم (الإضراب اللا محدود).

عباس : (الغول ضاحكا) الميت المجهول الهوية يضحك يا ملاك ..

الغول : اضحك .. لأني الوحيد الذي انتقل إلى عالمكم من غير أن يزعج سيارة نقل الموتى التابعة للجماعة الحضرية .

عباس : ربما كان منحرف المزاج لا يشبه الأموات و الأحياء أو عضوا في جمعية المسرح الثالث (صمت) .

الغول : لا اصدق .. فانا لا استطيع أن أتأكد من حياتي (صمت) لم أزعج في حياتي مكاتب الشغل بل ولم أشوش خاطر السيد وزير الشغل .. فقد ضللت مطرودا احمل بطاقة عاطل رسمي حتى الموت (صمت) .. فلتكن أول حسنة أسجلها اليوم ضد وزارة الشغل و السكن و حماية التراب الوطني .. (صمت)

حميد : (لعباس) أيها الرفيق .. لا نملك حسنات تصلح لهذا النوع من الأعمال الغريبة .

عباس : (لحميد) اكتب يا رفيق .. بان الميت الجديد المجهول الهوية .. استجاب بكل تلقائية .. بعيدا عن الترهيب و التهديد و التخويف و الترغيب . وبأنه استفاض بأسلوب سلس في التعبير عن أخطائه الدنيوية .

الغول : (يتابع) ربما فكرت كباقي الطيور و الناس أن اصنع عشا من طين و أرغم امرأة من جنسي فوق سريري على أن تضع في حسابي المفتوح كم طفل .. اعتز به (صمت) أيها الملاك ها أنا اربح نقطة أخرى تسجل هدفا في لائحة الحسنات ضد وزير الصحة و التعليم .

حميد : لا نملك حسنات لهذا النوع من الأعمال ..

عباس : لماذا لم تمارس حقك في الفعل .

الغول : كنت اقدر ظروف الوزارتين المنشغلتين عن أشباهي .

حميد : (لعباس) أيها الرفيق .. أي صنف من الحسنات أضعه في كفة هذا الميت.

عباس : ضع علامة استفهام أمام جميع أقواله .

الغول : ربما قد أكثرت التصفيق فوق الأرض.

عباس : اعترف .. (بحماس) تصفق لمن .. وعلى ماذا كنت تصفق .

الغول : أيها الملاك الطاهر القاهر .. ذنبي أني كنت مهووسا بالخطب .

عباس : (لحميد) اكتب أيها الرفيق (صمت) كان الميت الجديد منحرفا ومنجرفا بخط احمر كبير .

الغول : كنت مخدوعا بمبادئهم .

عباس : هل لك أقوال أخرى تضيفها عن عالم الأرض و موتك المفاجئ.

الغول : أحيانا يا سيدي الملاك .. أتسلل في غياب العسس .. لأتفرج عن أفرشة النوم و المقاعد الفاخرة أتمسح بواجهة المعارض داخل المدينة.

عباس : كنت تذنب في حقهم .

حميد : كنت تقض مضاجع حراس الليل .

عباس : ها فكرت في تحريك يديك .

الغول :كنت احلم .

حميد و عباس معا :أيها الميت الجديد .. نحن نعاقب على النية قبل العمل .

حميد : (لعباس) أيها الرفيق .. أين أضع أعمال هذا الرجل الغريب .

عباس : كالعادة ضع علامة استفهام كبيرة (يبتعدان .. يضحكان بهستيريا) .

الغول : (يردد بصوت هامس) من يمسك بقبضة الميزان ..؟ (صمت) آه افشل في التفسير .

(يخرج من البرميل زوارق من ورق يوزعها فوق الركح ..)

الغول : ألبسوني جلد الغول (صمت) اقتلعوا كل الأشجار .. ودمروا كل الواحات .. وأقاموا ألف مستعمرة (صمت) أيتها القبيلة الخائنة (منتفضا) أخذوها رهينة (صمت) وضعوا في كل نقطة حدود ألف حارس ذكي (صمت) مطلوب حيا و ميتا من يحمل عينين .. من يحمل لسانا.. من يسمع حفيف عرا جين نخل مراكش و البصرة (صمت) تكلموا. تكلمي .. أيتها الأرض اهتزي كعادتك و انتفضي ساخرة من جذور مهترئة و خيام فاجرة (صمت) استطيع الآن أن ارمي وجهي كقطعة من الفلين و البس ألف وجه يغامر في عرض البحار (يحرك زورقه الورقي) أنا المجداف الذي لا يتعب أنا البوصلة (صمت) أنا الزاد (صمت) ها أنا أبحر لكي أنساك يا قبيلة تبيع فرسانها (صمت) (يجدف) أيتها الريح عانقي قلاع سفينتي .. ودعيني البس جلباب الماء و السماء .. اختفي كنجمة البحارة في اتساع زرقة هذا الكون .. (بنشوة) ها أنا اشتم نجاتي عبر القواقع و البقايا الطافية (صائحا) ها أنا اقترب من ارض مجهولة (كأنه يسال) هل رأيتم مثلي طيورا جائعة تحوم فوق رأسي (صمت) انه البر (صمت) ما يزال البحر يمتد في عيني .. يدغدغ سفينتي كطفل يحلم بثدي أمه (صمت) هذه المرة أن اخطىء (كأنه يسال) هل رأيتم مثلي طيورا تحلق فوق أشرعتي الراقصة (يسرع في التجديف)

عباس : (بغير مبالاة) ترحل وحدك بلا بوصلة ..

الغول : (يتابع) إني اقترب (صمت) اجتاز الحدود .. وعيون العسس .. وأنوف الكلاب (صمت) إني اجتاز كل الحدود .. اقهر بحر الظلمات (صمت) أيتها الريح انطلقي حمامة (صوت صفارة) آه ماذا اسمع (يشتد صوت

الصفارة) القراصنة الملاعبين يقتفون اثري .. يتربصون .. يشحذون أنيابهم و سيوفهم (صمت) إني اقترب (صمت) لن ادعهم هذه المرة يسرقون حمولتي (صوت صفارة .. مع صيحات و زعيق) أريد أن اكتب فوق الماء قصة الرجل الذي كان يكره البر الموبوء (صمت) (صوت صفارة .. وزعيق) لا .. لا ..لن تنالوا مني شيئا (صمت) آه أين ذهبت طيور البر (يشتد الزعيق و الصباح) قراصنة .. أيها الناس القراصنة أمامكم وخلفكم (صمت) لن اتركهم يسلبون مني رغبتي (صمت) لا .. لا .. (يحس بعياء من شدة التجديف .. و المراوغة) اعبر بحر الظلمات ولا أصل .. أين اختفت الطيور .. لا .. لن اترك للقراصنة فرصة الهجوم. (يجلس منهوكا يردد الجملة الأخيرة .. شاردا) اعبر بحر الظلمات ولا أصل .. أين اختفت الأرض .. (حميد عباس يخرجان .. ثم يعوذان في نفس اللحظة حاملين على كتفيهما جسد م . م يمران أمامه يردّدان ..)

حميد و عباس معا : خنقوها .. (صمت) فاركب جسدك الآن .. البر موبوء البحر موبوء

(صمت) أيها الناس احذروا القراصنة (يخرجان بها في الوقت الذي يحرق فيه الغول آخر زورق صغير كان يوجد في مقدمة الركح ..)

نـهايـة

الفهرس

صـدر عـن



وزارة الثقـافة

الأعمال الكاملة
المسكيني الصغير

المسرحيات

الجزء الأول

■

الجزء الثاني

